قديس الصحافة المصرية

لويس جريس

شاهد على العصر

(ناصر . السادات . مبارك . الإخوان)

يحكيها لـ

ممدوح دسوقي



مكتبة جزيرة الورد

بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : **لويس جريس شاهد على العصر**

المؤلف : ممدوح دسوقي

رقم الايداع /٢٠١٧/٣١٤٥

الترقيم الدولى / ٩-٥٧-٦٥٦٥-٩٧٧-٩٧٨

الطبعة الأولى ٢٠١٧



مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ - ٢٧٨٧٧٥٧٤

Tokoboko_5@yahoo.com

الإهداء

إهداء إلى ...

العطاء والنبل والوفاء

إلى قديس الصحافة

أستاذي لويس جريس



إلى روح أبي الغالي ..

الحاج محمد دسوقي حسن

إلى القدوة والرمز

ممدوح دسوقي

كلمة لويس جريس

الحق أقول..

انني كنت سعيداً جداً بالكلام مع «ممدوح دسوقي» ، وتسجيل ذكرياتي الشخصية له عن هؤلاء الأصدقاء والشخصيات، خاصة أن منهم من كان في مقام الأساتذة أو الأصدقاء أو التلاميذ بالنسبة لي، يعني الحديث عن «إحسان عبد القدوس» و«أحمد بهاء الدين» و«يوسف السباعي» و «صلاح حافظ» و «عبد الرحمن الشرقاوي»، أو «مصطفى محمود» و«عبد الحليم حافظ»، و«سناء جميل»، أو «مفيد فوزي» أو «رءوف توفيق» كل هؤلاء كان حديثي عنهم بحب وصدق لأنهم أحبائي، وأيضاً لأنني كنت أسعد بلقائهم ولهذا حكيت ما شعرت به تجاههم حيث أن كل منهم ترك في نفسي أثر بشكل أو بأخر.

وأيضاً حكاياتي عن الأحداث والمواقف التي عاصرتها أو شاركت فيها أو كنت شاهداً عليها، سواء كانت سياسية أو تاريخية أو إنسانية، أو كانت تتعلق بالوطن أو بالأشخاص أو بالمجال الصحفي أو الفني.

ورغم أن الكثيرين طلبوا مني تسجيل أو كتابة سجل حياتي بأي طريقة سواء كانت شهادة على العصر أو ذكريات أو مذكرات، ولكنني لم أوافق ولم أنفذ، ولكنني خصيت بها «ممدوح دسوقي» والحقيقة أن الفضل في ظهور هذه الذكريات يرجع إلى «ممدوح دسوقي» شخصياً لأنه أصر على أن يستنطقني وأصر على أن يجلس إلى ويستمع لي وواظب على المجيئ إلى والحوار معي، مما جعله السباق إلى إستخراج

هذه الذكريات من داخلي، لأنه لم يسبق لأحد أن حاول معي هذه المحاولات الجادة والصريحة والجريئة التي فعلها «ممدوح دسوقي».

وأذكر انه في أحد الذكريات التي حكيتها لـ«ممدوح دسوقي» والخاصة بالأستاذ «محمد حسنين هيكل» تم نشرها في جريدة «الوفد» حيث كان توفي الأستاذ «هيكل» أثناء تسجيل هذه الذكريات، فقام «ممدوح» بنشر جزء من هذه الذكريات في حوار عن «هيكل»، والحقيقة أن هذا الحوار أعجبني بعد ما قرأته، لأنه لم يكن نهجاً وافياً بالنسبة لي فقط بل أن الكثيرين من أصدقائي الصحفيين أو غيرهم حدثونني عن ذلك الحوار، وهم يؤكدون انه حواراً جيداً، وبالطبع لم يكن يقال عن الحوار انه جيد إلا إذا كان مكتوباً بقلم صحفي محترف يجيد فن إدارة وكتابة الحوارات، وكان يمكن لغير «ممدوح دسوقي» أن يلخبط الكلام أو يضع الأمور في غير موضعها، لكن كون انه أعجب الأخرين فهذا دليل على أن الذي تلقى هذه المعلومات أحسن إستخدامها وأوردها في واقعها التي جعلها تعجب ناطقها أولاً، والذين قرأوها من أصدقائي وزملائي، وعندما سألني «ممدوح» عن الحوار الذي نشر وهل لي من ملاحظات يتلافاها في كتابة باقي الذكريات أم انه يسير على هذا النهج الذي إتبعه، قلت له بل يسير على النهج الذي إتبعه، لإنني أثق فيه وفي قدراته المهنية وفي أمانته وصدقه ومحبته لي ولعمله الصحفي..

وعندما قام «ممدوح» بنشر بعض أجزاء من هذه الذكريات في جريدة «الوفد» أعجبتني أيضاً ونالت إستحسان كل من قرأها وقد وصلتني إتصالات كثيرة تثني عليها، ولهذا وافقت على ضمها كاملة ونشرها في هذا الكتاب .

لويس جريس

المقدمة

تقاربت من الأستاذ «لويس جريس» الكاتب الصحفي الكبير منذ سنوات عديدة، فوجدته (ومازال) بشوشاً باسماً، متسامحاً متواضعاً، يُحسن إستقبالي، ويتباسط في حواره معي، ويُحسن وداعي، مصري أصيل صاحب قلب كبير، درس في الجامعة الأمريكية بالقاهرة، ثم جامعة «ميتشجان» الأمريكية، مسيحي الديانة قبطي الجنسية، مسلم ليبرالي ثقافياً، رافض لوصف المسيحيين بالأقباط دون باقي المسلمين المصريين، فالمصريون جميعاً يمكن أن يطلق عليهم أقباط، فالقبطية جنسية وليست ديانة.. لا يرى أحداً إلا ويبادره بقوله: السلام عليكم دون عقداً نفسية، أو كلاكيع دينية، مقتنعاً راضياً بأن «السلام عليكم» مع انها تحية إسلامية، إلا انها تحولت إلى ثقافة مصرية، كثيراً ما قال لي: شعب مصر راضي ومتسامح، يعيش في دولة محورية تقع في ملتقى القارات، وتحوي ٦٠٪ من أثار العالم، ولها تجربتها الخاصة والخالصة في النهضة والتنوير، لكن جماعات الإسلام السياسي أخرتها وعطلت نهضتها، لأنها تحتكر العقول وتسيطر عليها وتكبلها باسم الدين، مع انها لا تظهر ولا تتقدم إلا باللجوء إلى الغش والخداع والتدليس والمراوغة، لأن المسلمين في مصر بتسامحهم وإعتدالهم يرفضون تسييس الإسلام.

لفت إنتباهي أن معظم الزملاء الصحفيين والإعلاميين لم ينتبهوا جيداً إلى هذا الرجل، وما لديه من أفكار وأراء ومعلومات ورؤى للأحداث التي مرت بها مصر، وأيضاً ما لديه من أسرار في خزائن ذكرياته، عن الشخصيات السياسية والأدبية

والصحفية والفنية، التي صادقها أو زاملها أو تعامل معها، أو الأحداث التي شارك فيها أو عاصرها..

بل (للأسف) تم إختزال تاريخ هذا الرجل، وهـذه القامـة والقيمـة في انـه زوج الفنانة «سناء جميل» فجاءت جميع الحوارات الصحفية والإعلامية التي كان «لويس جريس» مصدرها، كانت للحديث عن زوجته الفنانة الراحلة، مع أن «سناء جميـل» جزء مكون من حياته، ولكنه ليس الكل.

ومن خلال إقترابي من «لويس جريس» إكتشفت أن لديه الكثيـر مـن الأسـرار والمواقف، فطلبت منه أن يفتح لي خزائن ذكرياته، والتي لم يفتحها من قبل كنافـذة على الزمن الجميل، لأبحـر معـه في دنيـا الفـن والصـحافة والسياسـة، والصـداقة والزمالة، والحب والزواج، والأهل والغربة، والدراسـة والعمـل، والإنتصـارات والإنكسارات، من خلال المشاعر الإنسانية التي يُغلف بها كل شيئ في حياته..

وافق الأستاذ على طلبي مشترطاً أن أسأله وأحاوره كعادتي معه كما أشاء، حتى أحصل على ما أريد من معلومات عن الأحداث والشخصيات.. فقلت لـه ولكنـي لا أريد إجراء حوارات، بل شهادتك وذكرياتك عن الأحداث والشخصيات.

فقال أعرف، وإسأل كما تريد، وسأترك لك طريقة الكتابة والعرض كما تراهـا، لأني أثق فيك ولا أخشى من شيئ .

وبدأ يتدفق نهر ذكريـات «لـويس جـريس» وتعـرج بنـا الأسـئلة إلى مسـارات، وتجرفها إلى مراسـي وشـطئان، وتعـود بهـا إلى مجـرى التـدفق مـرات ومـرات.. وإكتشفت أن «لويس جريس» من كبار عشاق الصحافة، والأدب والفن، ولكن لـه طريقته الخاصة في التعامل مع السياسة، وتأكدت انه حكـاء ثـري، عـف اللسـان، دمث الخلق، لم يقدم نفسه في دور البطولة، ولم يخلق له بطولات وهمية، ولم يفتعـل معارك عنترية، بل كان حيادياً موضوعياً، أميناً في نقل الأحداث، شاهداً على عصره بالحق حتـى عـلى نفسـه، متمسـكاً بسـمو الأخـلاق، والإمعـان في تأكيـد الحـب

لأصدقائه وزملائه الذين أتي بسيرتهم في حكاياته، طالما عاشوا في وجدانه وشغلوا قلبه، قبل أن يملأوا خزانة ذكرياته التي فتحها لي، لأقتحم معه الكواليس التي عاصرها عبر مشواره الصحفي، الذي يمتد لأكثر من ٦٠ عاماً، فأصبحت الحوارات معه ليست مجرد إجابات وحكايات، بل جاءت تأريخاً وتسجيلاً عن أحداث وشخصيات ثرية بالمعلومات والأسرار، ربما تكون سقطت من ذاكرة دفتر أحوال الوطن الرسمية، فتحدث عنها كاتبنا الكبير بكل الصدق والتقدير والحب.

أحد عشر شهراً هى عمر تسجيل هذه الذكريات، فقد بدأت بعد شهر رمضان ٢٠١٥ وإنتهت قبل رمضان ٢٠١٦ بثلاثة أيام، حيث كنت أواظب بالذهاب إلى الأستاذ «لويس» مرة أو مرتين كل إسبوع، لنتحدث، عن شخصية من الشخصيات أو عصر من العصور أو عن تجربة من التجارب التي خاضها، سواء عانى منها أو أسعدته.. وأعترف بأنني فقدت ثلاثة حلقات بعد تسجيلها، بتقصير أو إهمال مني، وأخبرته إنني فقدت هذه الحلقات.

ثم سألته: هل يمكن أن نعيد تسجيلها مرة اخرى؟

ووافق الأستاذ على إعادة التسجيل، ولم يغضب أو يضيق صدره من هذا الخطأ الشنيع، وأشهد الله عند إعادة التسجيل كان الرجل صادقاً في ما رواه مرة أخرى، وكأنه صورة كربونية مما تم تسجليه من قبل، وهذا دليل الصدق في ما يرويه من ذكريات.

وبعد الإنتهاء من تسجيل الذكريات، سألته عن طريقة الكتابة والعرض التي يرى انها تتناسب مع هذه الذكريات؟ ..

فقال: هى الأن أصبحت ملكاً لك، فافعل بها ما تشاء، وأعرضها كما تريد، وأنا أثق فيك يا «ممدوح» وفي مهنيتك، ولهذا وافقت على تسجيلها معك..

فقمت بكتابة الذكريات، بعيداً عن صيغة السؤال في الحوارات، وقمت بإعادة ترتيب الأحداث، في المواقف ومع الشخصيات، ووجدت كثيراً من الأسئلة والإجابات، لم يأتي اليها مكاناً في سرد الأحداث، سواء كانت حقب زمنية، أو مع الشخصيات التي جاءت مع سرد الذكريات، فجمعتها تحت عنوان «حوار على هامش الذكريات»، لأنها تعبر عن شخصية كاتبنا الكبير، وتلقي الضوء على كثير من ملامح هذه الشخصية ومكوناتها.. بل قمت بنشر بعض الحلقات منها في جريدة «الوفد» ونالت إستحسان الكثيرين، ومنهم الأستاذ «لويس».

إلى أن أصبحت هذه الذكريات بالصورة التي بين يديك عزيزي القارئ..

فإذا قرأتها وإستحسنتها فهذا يرجع إلى ما قاله الأستاذ «لويس»، وإذا رأيت فيها تقصيراً، ولم تعجبك فهذا التقصير يرجع إلى انا، ربما لم أعيد ترتيب أحداثها بشكل جيد، أو لم أصيغها صياغة سلسة أو بمضمون متناغم متسق.

والله الموفق والمستعان،،

ممدوح دسوقي

النشأة والتكوين..




المكان : مركز أبوتيج ، محافظة أسيوط ، صعيد مصر .

الزمان : ٢٧ يوليو ١٩٢٨ .

الحدث : ميلاد الكاتب الصحفي الكبير «لويس لوقا جريس» الشهير بـ«لويس جريس»، يسبقه خمسة أشقاء، ولدان «مفيد» و«فايز»، وثلاث بنات «فايزة» و«روزينا» و«لينا»، ثم «لويس» أصغر الأشقاء ، لكن تشاء الأقدار بعد (٧) شهور من ميلاده، يتوفى والده ويعيش يتيماً، فوصف بالولد «الفقري» داخل اسرته وبين أهل قريته، لأنه بعد ما جاء إلى الدنيا مات أبوه ..

ويقول كاتبنا الكبير: انه كان هزيل وضعيف، وفي أحد الأيام مالت رقبته من شدة الضعف، وظنوا انه توفي وقالوا: أهوو «الفقري» مات، وبدأوا في إحضار صندوق ليضعوه فيه لإتمام دفنه، وبالفعل جاء النجار وأتمم صناعة الصندوق، وعندما حاول رفعه ليضعه في الصندوق، والدته قالت له انه شهق .

فقال النجار: دا لسه فيه الروح، فخطفته أمه بلهفة وظلت تصرخ قائلة: هاتوا لي

أوتوموبيل.. هاتوا لي أوتوموبيل، وبالفعل أحضروا لها سيارة، وذهبت به إلى المستشفي الأمريكاني في أسيوط، ويقال انها ظلت معه (٣) شهور تمرضه، حتى عاد إلى الحياة سليماً معافى .

وعن أبيه ..

يذكر الكاتب الصحفي الكبير، انه كان الإبن الأكبر لجده، ثم توفيت أمه فتزوج جده من صبية صغيرة في السن، في حين كان والده في الـ(١٦) من عمره، وبعد أن أصبحت الزوجة الشابة حامل أرادت أن لا يشارك ابنها القادم احد في الإرث فقالت لجده: ابنك ينظر لي نظرات غير بريئة وانا لا أرتاح له .. وبما أن جده كان يعمل في دائرة «شعراوي» باشا في ديروط والمنيا، وكان عمله يحتم عليه أن يكون خارج المنزل طوال الإسبوع ولا يعود إلى المنزل إلا يومي الخميس والجمعة، فقام جده بضرب ابيه وطرده من المنزل فذهب إلى «منجده» إبنة خاله في قرية «بني سميع» التي تبعد عن ابوتيج بـ ٢٤ كم فرحبت به إبنة خاله وقالت له هات لك كنبه من فوق السطوح ونام عليها، وفي الصباح سألها أن تسلفه (٢) جنيه.

فسألته ماذا سيفعل بهما؟، فأخبرها بوجود فكرة في رأسه لو نجحت سيردهما اليها، فأعطته الـ(٢) جنيه، وكان يلف في القرى والنجوع، ليعرف إحتياجات كل قرية من السلع، وكان يحضرها اليهم، مثل الشاي والسكر والمعسل، وكانت معظم هذه السلع تباع بنظام المقايضة، نظراً لقلة النقود المتداولة، فكان يعطيهم السلع وهم يعطونه «بيض»، وكان يبيع البيض إلى محلات البقالة في «ابوتيج»، إلى أن استطاع أن يشتري حماراً، ليذهب به إلى القرى والنجوع محملاً عليه البضاعة، ويعود حاملاً البيض، وبعد فترة إزدادت تجارته فإستأجر محلاً ، وبدأ يضع فيه بضاعتة، ثم بدأ يتاجر في أسيوط إلى أن تجرأ وأصبح يذهب إلى القاهرة، بعد أن توسعت تجارته، ثم أكمل ابنه الأكبر «مفيد» إدارة هذه التجارة بعد وفاة والدهم .

***

وعن نشأته في الصعيد.....

يقول «لويس جريس»: هذه النشأة تعود به إلى مايقرب من ٨٠ عاماً، حيث انه لم يكن يعي شيئ حتى بلغ السابعة من العمر، في إحتفال الطهور، حيث كانت الأسر الصعيدية تجهز له وتحتفي به، سواء كانت حفلة الطهور للولد أو للبنت، قبل أن يعرف المجتمع أن طهارة البنت خطأ وجريمة ترتكب في حقها، ومشاهد الإحتفال بالطهارة كانت بشراء الحلوى والشكولاته والحمصية والسمسمية، ويذكر صاحب المذكرات، انه كانت له عادة غريبة وهو في هذا السن الصغير، حيث كان يهوى السير في الجنازات، ويقول: انه لم يترك جنازة، سواء كانت لميت مسلم أو مسيحي، إلا وذهب معهم إلى المقابر حتى يدفن، في محاولة منه لمعرفة اين يضعوا هذا الجسد الميت؟، إلى أن وقر في تفكيره أن كل حي مصيره إلى الموت لا محالة..

ويرى من عادات الصعيد، تأصيل فكرة أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، أي بالحق أو بالباطل، وليس بعدم إبعاده عن الظلم، وأيضاً يطبق في الصعيد المثل القائل «اللي إختشوا ماتوا»، لأن الكثيرين من الناس تجاهر بما لا يجب أن يقال في حالة الغضب، والأخذ بالحق دائما ما يكون بالعصبية والقبلية، وبالطبع يوجد الكرم والشهامة وعزة النفس، والتضامن العائلي والترابط الشديد بين أفراد العائلة الصغيرة أو البيوتات الكبيرة، ولكن تظل عادة الأخذ بالثأر، من أسوأ العادات القبلية هناك .. ويؤكد «لويس» أن المرأة الصعيدية قوية جداً، ولها كلمة مسموعة ونافذة في عائلتها، بل هى التي تشعلل صراع الثأر، بالضغط على الرجال وبالزن على آذانهم، بل ومعايرتهم بعدم الرجولة إذا لم ينفذوا الثأر .

وعن والدته يقول صاحب الذكريات ...

انه إرتبط بها إرتباطاً شديداً، لأنها هى التي قامت على تربيته، وكان لها دوراً أساسياً في حياته، خاصة إنها توفيت بعد ما أصبح رجلاً .. ويذكر عنها بعد إلتحاقه بالمدرسة الإبتدائية، كان يعود إلى البيت الساعة ٣٣٠ عصراً في شهر رمضان،

وعندما يسأل هو وإخوته عن طعام الغداء؟.

فتقول والدتهم: لسه اللحمة نيئة، وخلينا ناكل مع المسلمين في إفطار المغرب حتى لا يزعلوا منا..

وقد روى له بعض الناس من عائلة «العطيفي» الشهيرة، ومنها «جمال العطيفي» الذي قال: كانت لديهم شغالة تساعد أمه في أعمال البيت، وحكت لوالدته أن أم «مفيد» (والدة لويس) سيدة طيبة جداً، لأنها بعد ما تنتهي من عملها كانت تجلسها على السفرة، وتقول لها: انتي خدمتيني وأنا سأجهز لك الطعام، وبالفعل كانت تضعه لها على السفرة، وترفض أن تغسل الشغالة الأطباق التي أكلت فيها وتقوم والدته بغسلها.

ويذكر «لويس» انه كان كثيراً ما يتساءل: من أين جاء أبيه بأسماء شقيقاته البنات، خاصة «روزينا» و«لينا»، وكيف إختارها والده؟، ولم يعرف أبداً، ولكنه عرف كيف إختار والده اسم «لويس»، حيث كان يجلس مع احد الخواجات، الذين كانوا يروجون لبيع المازوت والبنزين والكيروسين، ويبحث عن تجار يحصلون على توكيلات لبيع وتوزيع هذه المنتجات، والخواجه كان إسمه «لويس»، ثم إختلف مع والده على نسبة العمولة، هل ستكون ١.٥٪ أم ٢٪، وأثناء النقاش جاء إلى والده الخبر، أن زوجته وضعت ولد..

فقال أبيه للخواجة: وافق خلاص أن العمولة تكون ٢٪ لأني سأسمي إبني «لويس» على إسمك، ووافق الخواجة على رفع العمولة إلى ٢٪ وأصبح والده يتاجر في أشياء كثيرة.

وعن دور المرأة في حياته ..

يقول انه يحترم المرأة دائما منذ نعومة أظافره، بسبب دور والدته وشقيقاته البنات، وأيضاً دور خالاته وعماته، لأن هؤلاء جميعاً قاموا بتربيته، لأن الوضع دائما كان يحتم وجود إحداهن في البيت، لمراعاتهم ولتحقيق مطالبهم.. ومن هنا قدر «لويس» دور المرأة في حياته، خاصة في الصعيد لأن دورها قوي ومهم،

ويذكر جدته «منجده» بأن شخصيتها كانت قوية جداً، وكان يشعر بسطوتها وهي تحضر لهم الجبن والزبد واللبن، وكيف كانت إدارتها للعائلة في المناسبات السعيدة أو غير السعيدة، أو عندما كانوا يجهزون للخبيز والعجين.

وعن نظرته للمرأة..

يقول المجتمع المصري، حصر المرأة وقضاياها في عفتها وشرفها وغشاء بكارتها، ولم ينظر إلى شخصيتها وتصرفاتها وقدرتها على العمل، ورؤيتها لذاتها ولمجتمعها ولمستقبلها.. ويرى أن من حق المرأة أن تدافع عن حياتها، ويرى المرأة قادرة على أن تخوض معاركها وان تقف في وجه من يعاديها، وتدين من تريد إدانته وترفض ما تريد أن ترفضه، ولا يجب أن تكون سلبية ومكتوفة اليدين .. ويعترف انه من المنحازين لإنصاف المرأة، وان من حق البنت أن تعبر عن نفسها، وان تعلن قبولها أو رفضها لمن يتقدم لخطبتها، بل يمكن لها أن تتقدم هى بنفسها لطلب الزواج ممن قد تراه مناسباً لها.

ويتساءل: لكن هل سيوجد الرجل الذي يقبل أن تتقدم له المرأة بطلب الزواج منه، ويضحك قائلاً : مع أن السيدة «خديجة» هى التي طلبت الزواج من الرسول عليه الصلاة والسلام .

عن بداية ... عشقه للصحافة

يقول كاتبنا الكبير: كان ما بين الإعدادية والثانوية في عمر الـ (١٤) سنة، حيث كان يذهب إلى قطار الصحافة، الذي كان يصل اليهم في «أبوتيج» الساعة ٢.٤٥ دقيقة ظهراً، وكان يتحرك من القاهرة الساعة ٨ صباحاً، وقطار اخر يتحرك من «أبوتيج» الساعة ١١ مساءً لكي يصل إلى القاهرة الساعة ٨ صباحاً، فأصبح «لويس» على موعد مع هذه القطارات، وكان يذهب إلى موعد قطار الساعة ٣ بعد ظهر كل يوم خميس من كل إسبوع، لشراء القصص والمجلات، خاصة القصص

المثيرة مثل قصص «شارلوك هولمز» و«أرسين لـوبين»، ليقرأهـا طـوال الليـل، وأيضا مجلات «روزاليوسف» و«الكواكـب»، و«الأثنين والـدنيا» و«المصـور»، وأيضاً كان يوجد عربة مكيفـة في القطـار يركبهـا السياح الأجانـب، وكـان دائمـا يحاول أن يرى هؤلاء السياح من خلال شـبابيك القطـار ويتـأملهم .. ويقـول: أن ثمن الجرائد لم يكن كبيراً، إلا انه أبرم إتفاقاً مع بائع الجرائد، بالإطلاع على بعـض الصحف والمجلات، ثم يعيدها إليه ويدفع له (٥) مليمات على قراءة كـل مجلـة، وكان يحرص على قراءة مجلة «روزاليوسف» التي كان يتابع من خلالهـا «إحسـان عبد القدوس»، ورواياته المسلسلة المثيرة، والتي تجعل القارئ متشـوق لإنتظـار الحلقة التالية، وكان يقرأ لكتاب أخرين، ويحلم بـاليوم الـذي يسـتطيع أن يصـبح صحفياً مثلهم، ويتعامل مع «فكري باشا أباظة» و«إحسان عبد القـدوس» و«أحمـد بهاء الدين» و«صلاح عبد الصبور»، ويذكر في إحدى المـرات، انـه أخـذ روايـات لـ«ارسين لوبين» وبعض المجلات ليقرأهـا، ولكنـه نسـى أن يعيـدها في الموعـد المتفق عليه مع بائع الجرائد، وتكلف هذا النسيان مصروف الإسبوع كاملاً ، ثمنـاً لهذه المجلات والجرائد، حيث كان يحصل على مصروف جنيه واحد في الشـهر، أي ٢٥ قرش في الإسبوع، وكان يشتري منه الأيس كريم والنبأ والحلويات، خاصة قمع السكر المصنوع من العسل الأسود، والرامخ وهو البلح الذي لم ينضج كاملاً، حيث كان يحب هذه الأشياء .

وأيضاً كان ....

«لويس» يهوى الذهاب إلى دور السينما، حيث كـان يعشـق الأفـلام بشـغف ويتابع أخبار النجوم، ويذكر انه كان يتابع مجلـة «السـينما والنـاس»، وأرسـل إلى إدارتها خطاباً يطلب فيه إرسال صورتي الفنانتين «مديحه يسري» و«لـيلى فـوزي»، وبالفعل ارسلت له المجلة صور النجمتين وعليهما إهداء منهمـا، وكـان في قريـة «النخيلة» شاب يدعى «عبد الرحمن» ابـن «مصـطفى باشـا خليفـة»، وكـان مـدللاً ويركب حصانه بتهور في القرية..

وفي يوم جاء إلى بيتهم وسأل عن «لويس»؟

فقالوا: له ماذا تريد منه؟

فقال: لديه صور جاءت له من «مديحه يسري» و«ليلى فوزي»، وأريد التأكد، هل هذا حقيقي أم لا؟ فأدخلوه وقابله «لويس» وأحضر الصور لكي يشاهدها

وسأله «عبد الرحمن: انت تعرفهم منين؟

ويضحك «لويس» قائلاً: حينها شعرت بالأهمية.

وقال: ابداً هو فقط ارسل لهما خطاب يطلب الصور وهما ردوا عليه وأرسلوا الصور ..

عبد الرحمن: انا عاوز الصور.

لويس : إزاي هى لي ولن أفرط فيهما..

عبد الرحمن : لا انا سأخذهم..

لويس : لا يا «عبد الرحمن» بك ما يصحش، وبعد أخذ وعطا في الكلام مع بعضهما، قال «مفيد» الشقيق الأكبر لـ«لويس» : طالما «عبد الرحمن» بك عاوز الصور أعطيهم له.

لويس : لا يا «مفيد» هذه الصور غاليه عليَ، ولن افرط فيهما .

فزهق عبد الرحمن وقال : خلاص خليهم وإنصرف ..

ومن هذه اللحظة فرح «لويس» بنفسه لأنه تمسك برأيه، ويضحك قائلاً وتمر السنوات وأصبح صديقاً لهما ويحكي لـ«مديحة» ولـ«ليلى» عن هذه الصور فيضحكان معه .

ولهذا...

يقول «لويس» عن نفسه انه نموذج مختلف، عن نشأته في صعيد مصر، حيث عشق الأفلام الأجنبية وعايشها، وكان يعيش قصصها ويتمنى أن يكون من ذلك العالم، الذي يراه على الشاشة الفضية، وعاش حلم السفر إلى قبرص واليونان وامريكا، وهذا ما حرره من الأفكار الضيقة، التي ترتبط بالعصبية والقبلية.

ويذكر خلال دراسته في الجامعة قائلاً : كان الطلبة يخلعون ملابسهم ويرتدون الجلاليب أثناء تواجدهم في البلدة، وذات يوم ترفع «لويس» عن إرتداء الجلابية، وإرتدى قميص وبنطلون بعد رجوعه من الجامعة، فنهره عمه على هذا الفعل وأمره أن يعود ويرتدي الجلابية، وغضب «لويس» ولكنه عاد وارتدى الجلابية رغما عنه، ويقول: لكنه لم يشعر بأي صراع داخلي بينه وبين الصعيدي الداخلي، وهذا ما شجعه على السفر إلى أمريكا، أو دراسته للصحافة في الجامعة الأمريكية ثم زواجه من فنانة فيما بعد.

السفر إلى القاهرة...

ويذكر «لويس» أول مرة جاء فيها إلى القاهرة، كانت مع شقيقته الكبرى «مفيده»، عندما قامت بإجراء عملية جراحية في مستشفى القبطي بالقاهرة عام ١٩٤٥، والمرة الثانية عندما كان ذاهباً إلى الأسكندرية، بعد حصوله على الثانوية العامة بمجموع ٦١.٥ ٪، وكانت عائلته تتمنى إلتحاقه بكلية الطب جامعة فؤاد الأول، والتي توقفت عند ٦٢.٥٪، وجامعة فاروق الأول توقفت عند ٦٢٪.. فإقترح الأستاذ «لوقا» صديق شقيقه «مفيد» فليلتحق «لويس» كلية العلوم جامعة الإسكندرية ..

فسأله «مفيد» لماذا؟

فقال: من ينجح في كلية العلوم في السنة الأولى والثانية بدرجة جيد جداً، يحق له أن يحول إلى كلية الطب في السنة الولى، فمر على القاهرة خلال سفره إلى الأسكندرية، بهدف الإلتحاق بكلية العلوم، للتفوق ثم التحويل إلى كلية الطب بعد ذلك .

لكن حدث ...

تحول كبير غير مسار حياة كاتبنا الكبير، لانه خلال دراسته في السنة الثانية في كلية العلوم، جاء إليهم أحد أساتذة علم الحشرات من أمريكا، وكلفه رئيس مجلة الكلية بإجراء حوار معه، حول دراسته وموضوع رسالة الدكتوراه التي نالها من أمريكا.. وبالفعل كتب «لويس» الحوار في (٤) صفحات، وتم نشره في مجلة الكلية، وهذه أول مرة يشاهد كاتبنا الكبير كلام منشور له، وفي أخر الصفحات اسم «لويس جريس»، وحصل على عددين من المجلة، وكان يتمنى لو انه يستوقف المارة من الناس، ليقول لهم انه نشر حوار له في مجلة الكلية ..

ويقول انه جن جنونه، وإنتهى هذا الجنون والحماس بالكتابة والنشر، إلى انه دخل على رئيس قسم الفيزياء الدكتور «عبد الفتاح»، وسأله: ماذا يفعل من يريد أن يدرس الصحافة؟ واين يتم تدريسها ؟

فقال الدكتور «عبد الفتاح»: يا بني لا يوجد في مصر غير مكان وحيد، يمكن لك أن تدرس فيه الصحافة، وهى الجامعة الأمريكية بالقاهرة..

وهذه كانت أول مرة يستمع فيها «لويس» لكلمة الجامعة الأمريكية سنة ١٩٥٠ .. وعند مغادرته الإسكندرية للعودة إلى «أبوتيج»، تخلف في القاهرة، وظل يبحث عن الجامعة الأمريكية، وعرف أنها في ميدان الإسماعيلية «التحرير» حالياً، ويقول: انه ذهب إلى هناك ودخل الجامعة.

وقال لهم: انه يدرس في كلية العلوم بالإسكندرية، وحاصل على درجة جيد في السنة الأولى، وجيد جداً في السنة الثانية..

فقالوا: وهل تريد أن تلتحق هنا بالسنة الثالثة؟

فقال: لا بل أريد الإلتحاق لدراسة الصحافة .

فقالوا: إذن تلتحق بالسنة الأولى من الكلية، وبمصاريف الفصل الدراسي

الواحد (٧٥) جنيه، والسنة (١٥٠) جنيه، ويؤكد كاتبنا الكبير أن هذا المبلغ في ذلك الوقت كان ثمن فدان أرض .

ورجع كاتبنا الكبير إلى بلدته، واخبر شقيقه الأكبر «مفيد» المسئول عن تربيته بعد وفاة والدهم، انه يفكر في الإنتقال من جامعة الأسكندرية إلى الجامعة الأمريكية في القاهرة.

فسأله مفيد» : عن الفرق بين الجامعتين ؟

وقال لويس : الدراسة بالجامعة الأمريكية باللغة الإنجليزية وهذا سيفيده جداً .

فقال واحد من عائلتهم : اقولك حاجة يا «مفيد»، عندما يتخرج «لويس» من الجامعة الأمريكية، سيعين في شركة بترول السويس براتيب (٣٠) جنيه في الشهر، وحينها كان راتب خريج الجامعة (١٢) جنيه وبالزيادة(١٧) جنيه، ووافق «مفيد» على سحب أوراقه من جامعة الأسكندرية، وقدمها «لويس» إلى الجامعة الأمريكية لدراسة الصحافة.. ولكن كيف تعامل «لويس» مع السنتين اللتين قضاهما في دراسته بالأسكندرية ؟ ..

يقول انه بدأ يكتب إلى أهله أن الإمتحانات صعبة، وجميع المواد الدراسية باللغة الإنجليزية وهذا صعب، مما جعله يرسب في هذه السنة، وظل يقول مره انه نجح ومره رسب، إلى أن مرت الأربع سنوات، وفوجئ أهله عندما جاءوا إلى الجامعة لحضور حفل التخرج، بأن الجامعة تنادي على «لويس جريس» الناجح في بكالوريوس الصحافة» .

وسأله شقيقه «مفيد» وأين سيعمل ؟

وقال «لويس»: انه خلاص اشتغل لأنه في أخر سنة من الدراسة، كان قد فاز بجائزة الأهرام، وكانت الجائزة تعطى صاحبها الحق في أن يحصل على راتب شهري لمدة عام، ويعين بعد تخرجه محرر بقسم الخارجي بالأهرام، ولهذا قال

«لويس» انه سيعين في الأهرام .

وبالفعل ذهب إلى الأهرام...

ومعه شهادته، على أساس أن جائزتهم هى تعيينه.

ويقول: إنه لم ولن ينسى هذا اليوم ابداً ولن ينسى الأستاذ «عزيز ميرزا» الذي كان مدير تحرير الأهرام وسؤاله ماذا تريد يا أستاذ؟

فقال: انا «لويس جريس» الذي فاز بجائزة الأهرام، وقد دفعتوا لي مصاريف الدراسة لمدة سنة، وقادم لتعييني في القسم الخارجي .

عزيز ميرزا : خلاص بطلنا وإستكفينا، ومن هذا العام لن نعين أحداً .

لويس : طب عيني انا اخر واحد وإستكفى .

ميرزا : بقول لك إيه، بلاش دوشه .

وحاول معه «لويس» باللين والمحايلة ولكنه فشل، ونادى الأستاذ «عزيز» على الفراش، قائلاً : وصل الأستاذ إلى الباب .

وخرج «لويس» من مبنى الأهرام الذي كان في باب اللوق، ثم ذهب إلى الجامعة الأمريكية يائساً بائساً، ونام تحت شجرة، وفي الساعة الخامسة وجد الدكتور «رزق جرجس» يوقظه ويقول: إصحى الجامعة انهت يومها الدراسي وستغلق ابوابها.

ثم سأله الدكتور «رزق» ماذا به ؟

فحكى له ما حدث معه.

فقال: إرجع إلى بيتك اليوم وطلب منه أن يقابله في الغد بمكتبه .

وبالفعل ذهب اليه ثان يوم، فعينه مساعداً له حيث كان مسئولاً عن قاعة

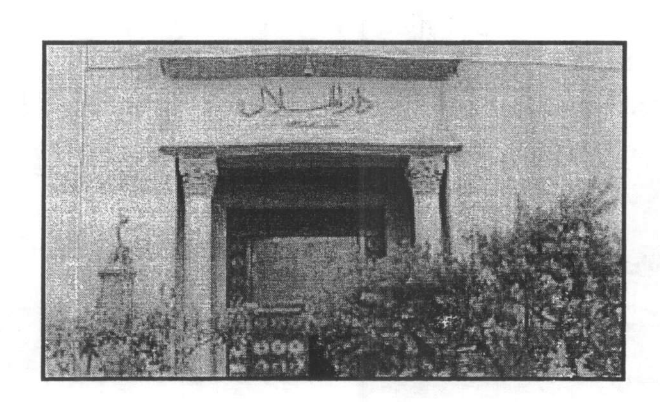
«إيوارت»، وكان «لويس» يستقبل ضيوف القاعة ويجلسهم، مثل رجل «البلاسيه» في السينما الذي يأخذ التذكرة ويجلس المشاهد في مقعده، ويتذكر «لويس» أن قاعة «إيوارت» كان بها محاضرات يوم الأثنين في علم الإجتماع، ويوم الثلاثاء كانت محاضرات في علم النفس، أما يوم الأربعاء فكان حديث الأربعاء للدكتور «طه حسين»، وكانت أسعد ايام «لويس» في العمل هو يوم الأربعاء، حيث كان يستقبل الدكتور «طه» في مكتبه ثم يصحبه إلى قاعة المحاضرات، وكان معه تلميذه «شحاته»، وإستمع «لويس» إلى الدكتور طه حسين« في حديث الأربعاء لمدة فصل دراسي كاملاً .

ويذكر خلال تلك الفترة....

كانوا يصدرون مجلة الجامعة باسم «القافلة»، وكانوا يطبعونها في مطابع جريدة «المصري» التي كان يملكها «أحمد ابو الفتح» في شارع القصر العيني، و«روزاليوسف» كانت في شارع «حسين حجازي»، وكان «إحسان عبد القدوس» قرر منح مكافأة (١٠) جنيهات، لأي طالب في قسم الصحافة، يستطيع إحضار خبر يصلح للنشر في «روزاليوسف»، وإستطاع زميله «رائد العطار» أن يفوز بأول مكافأة، وقابل «إحسان عبد القدوس» وجاء وحكى لهم ما دار في اللقاء، وتمنى «لويس» أن يستطيع إحضار خبر يصلح للنشر حتى يقابل «إحسان»، ويحصل منه على (١٠) جنيه ولكن هذا لم يحدث في ذلك العام .

تجربة لم تكتمل..





يقول كاتبنا الكبير..

بعد ٢٣ يوليو ١٩٥٢ تم إنشاء جريدة الجمهورية، وكان يشرف عليها في ذلك الوقت «محمد أنور السادات» عضو مجلس قيادة الثورة، و«محسن عبد الخالق» من الضباط الأحرار كان نائبه في دار التحرير، وكان من الذين يريدون الإرتقاء بمهنة الصحافة والعمل الصحفي، وأيضاً بتكنولوجيا الصحافة، لذلك حرص على شراء ماكينات حديثة لدار التحرير، وبإضافة عدد من الصحفيين الجدد للمهنة .. وكان يتردد على دار الشرقية للإعلانات، التي كانت ملكاً لعائلة «أبو الفتح» مستر «كرسبوس» اليوناني الأصل، وكان مدرساً في الجامعة الأمريكية ويعمل مستشاراً في دار الشرقية للإعلانات ..

وفوجيئ «لويس» بمستر «كرسبوس» يسأله: هل تريد العمل في الصحافة يا «لويس»؟ توجد فرصة لك ما رأيك ؟

فسأله «لويس» أين ؟ ..

فقال كرسبوس : في جريدة الجمهورية .

وبالطبع وافق«لويس» وذهب معه وقابل السيد «محسن عبد الخالق» نائب المدير العام لـ«دار التحرير»، وذلك في نوفمبر ١٩٥٥، ولكنه وجد نفسه يجلس في مكتب «محسن عبد الخالق» ولا يفعل شيئاً..

وذات صباح قال «لويس» ما رأيك يا «محسن بك» في إنشاء جريدة للدار؟.

فسأله «محسن بك»: لماذا ؟.

فقال «لويس» : في دار التحرير عدد كبير من الصحفيين، والأقسام تشعبت وتعددت، والزملاء لا يعرفون بعضهم، وفي ذلك الوقت تم إنضمام جميع الصحفيين، الذين كانو يعملون في صحف الوفد، والمصري، والتعاون، والمقطم، وبعض الجرائد الأخرى ..

وأكمل «لويس» قائلاً: سأحاول عمل جريدة «الدار» لتكون جريدة داخلية لأسرة التحرير لكي يتعرف أسرة التحرير بعضهم ببعض ووافق «محسن عبد الخالق» وأثنى على الفكرة ..

وبدأ «لويس» ...

يجمع موضوعات لهذه الجريدة، وذهب إلى صديقه «حسن فؤاد» خريج كلية الفنون الجميلة، وكان يعمل في تجهيز الصفحات للجرائد والمجلات، ويكتب عمود بعنوان «الفن للحياه»، وطلب منه تصميم صفحات جريدة «الدار»، وفي ذات الوقت بحث عن من هم الزملاء الذين سينضمون اليه ليكتبوا في «الدار»، فوجد «محمود السعدني» بكتاباته الساخرة، و«طوغان» برسوماته الكاريكاتورية، وتعرف عليهما وطلب منهما الإنضمام إلى الجريدة الوليدة، وأخبرهما انه من طرف الأستاذ «محسن عبد الخالق» نائب المدير العام، وأطلعهما على فكرة الجريدة، فرحبا بها .. وإستمر «لويس» في جمع موضوعات الجريدة بحماس

شديد، وسأل «محسن عبد الخالق» عن رأيه في أن يبدأوا الجريدة بطرح سؤال..

من يملك دار التحرير ؟ مع انه كان يعرف أن صاحب الإمتياز لـدار التحرير هو «جمال عبد الناصر»، ورحب «محسن» بالفكرة، ووعده بـأن يصطحبه معه في أحد الأيام إلى «عبد الناصر» شخصياً، ليطرح عليه السؤال بنفسه..

ويقول «لويس»: انه لم يتمكن من هذا الأمر لأنه طلبه في أحد الأيام وقال له: لقد قابلت «عبد الناصر» وطرحت عليه فكرتك فقال له: جاوب أنت يا «محسن» عن هذا السؤال نيابة عني.

وبالفعل بدأ «محسن عبد الخالق» في الإجابة عن السؤال، وكتب «لويس» الإفتتاحية بأنها بقلم «جمال عبد الناصر»، ولكن الذي أجاب عن السؤال هو «محسن عبد الخالق» الذي كان في بداية الثورة مديراً لمكتب «عبد الناصر» .. وإستمر «لويس» في جمع باقي الموضوعات الصحفية، من «السعدني» و«إبراهيم الورداني» و«إبراهيم عامر» والرسومات من «طوغان» ، وكان يتجول بين الصحفيين الذين يعملون في دار التحرير لإستكمال هذه المهمة .

وذات ليلة...

سهر «لويس» مع «السعدني» و«طوغان» سهرة خاصة في مكان ما، ويقول «لويس» والكلام جاب بعضه، وفجأة وجدهما يقولان له: عارف يا «لويس» ماذا يقول عنك زملائك في دار التحرير ؟ ..

«لويس» مستفسراً : خير ماذا يقولون ؟..

فرد «طوغان»: بيقولوا انك جاسوس لـ«محسن عبد الخالق» وانك بتحصل على الأخبار من الزملاء لتنقلها إليه .

«لويس» : يا نهار إسود !! هو انا سأبدأ حياتي العملية بسمعة اني جاسوس «محسن عبد الخالق» ؟! وفي صباح اليوم التالي كتب «لويس» إستقالته من دار

التحرير وكتب فيها .. السيد / «محسن عبد الخالق»

نائب المدير العام لدار التحرير

تحية طيبة وبعد،

أتشرف بأن أتقدم لسيادتكم بإستقالتي من العمل في مكتبكم، وذلك لأسباب صحية . وعندما قدمها لـ«محسن عبد الخالق» نظر إليه وسأله، عاوز تستقيل ؟ ..

«لويس»: نعم

«محسن بك»: موافق بالسلامة ..

وكان «لويس» عمل في دار التحرير (٣) شهور، وذهب إلى قسم الحسابات وأعطاهم الإستقالة وقال لهم: انه يعمل منذ (٣) شهور وتقدم بإستقالته ولم يقبض .

فسألوه : من أنت ؟ ..

فقال «لويس جريس» .

فقالوا : لم يخبرنا أحد إنك تعمل هنا، انت لا وجود لك، وليس لك راتب عندنا . ويقول «لويس جريس» ضاحكاً هذا الأمر جعله لا يتقدم بأية إستقالة طوال حياته المهنية، وأعتبر ذلك درساً لا ينسى ..

وخرج «لويس جريس» من دار التحرير في شارع الصحافة لا يدري إلى أين أو ماذا يفعل ؟.. ووجد الترام أمامه ولا يعرف إلى أين يتجه أو من أين جاء ؟

فقذف بنفسه داخله وجلس على احد المقاعد، ووضع رأسه على شباك الترام ينظر في الشارع ولكنه لا يركز في شيئ .

وفجأة إنتبه على صوت المحصل يقول : يا أستاذ «الترام» وصل إلى نهاية الخط ، نازل فين ؟

ونظر «لويس جريس» منتبهاً فوجد مبنى «دار الهلال».. ونزل من «الترام»

واتجه إليه وسأل : من المدير ؟

فقيل له : الأستاذ «إميل سمعان» .. فكتب «لويس» ورقة وأعطاها إلى الساعي بها : الأستاذ «إميل سمعان» مقدمه لسيادتكم «لويس جريس» خريج الجامعة الأمريكية، وأرغب في الإلتحاق بأي عمل صحفي في دار الهلال .

وجاء إليه الساعي يطلب منه أن يصعد ليقابل الأستاذ «إميل سمعان» ، ووجده يرحب به ويقول له : انه خريج الجامعة الأمريكية أيضًا، لكن ليس لديه عمل له في التحرير، لكن يوجد له عمل في تلزيق الماكيت ..

فسأله : وما هو هذا العمل ؟

فقال «إميل»: نحن نجمع الحروف ثم نطبع الصور، ونجمع ماكيت حتى يراه استاذ «فكري أباظة» رئيس التحرير، ليوافق عليه أو يعدل أو يغير أو يلغي ما يشاء، أو يقدم أو يؤخر في ترتيب الصفحات، وانت ستقوم بتلزيق هذا الماكيت، لنقدمها لرئيس التحرير وأي تعديلات يطلبها ستقوم بتنفيذها .

وبالفعل ...

عمل«لويس» في دار الهلال، وكان يعرض الماكيتات على «إميل سمعان»، وهو الذي كان يعرضها على «فكري باشا أباظة»، وحددوا له راتب شهري (٢٥) جنيه، ويقول: انه لم يكن يتخيله وقد فرح بهذا المبلغ كثيراً، لأنه كان أعزب وفي عام ١٩٥٥ وكان يستطيع أن يفعل به أشياء كثيرة، مثل إرتياد المطاعم والمقاهي ويوفر لع علبة سجائر يومياً ..

وكان «لويس» إعتاد الخروج يومياً من دار الهلال لتناول غدائه في مطعم «الركيب» بالسيدة زينب، أو يسير من دار الهلال حتى مقهى «ريش» لتناول غدائه هناك، حيث كانت مطعم ومقهى وبار ..

وفي أحد هذه الأيام وهو ذاهب إلى مقهى «ريش»، مر بمقهى «علي بابا» التي كان

يجلس عليها «نجيب محفوظ»، وكان بها مكان من الرصيف يجلس الرواد يلعبون الطاولة او الدومينو، فوجد «حسن فؤاد» و«راجي عنايت» و«جمال كامل» يلعبون الطاولة على مقهى «علي بابا»، فسلم عليهم وسأله :«حسن فؤاد» اين تعمل؟

لويس : أعمل في دار الهلال ..

فضحك «حسن» وقال: الإسم الصحيح هو دار الهلاك !! وضحكوا جميعاً ثم قال «حسن»: دعك من دار الهلاك وتعالى قابلني يوم الخميس في «روزاليوسف» ومعك مجموعة أفكار، لأني سأقابلك بالأستاذ «أحمد بهاء الدين» رئيس تحرير «روزاليوسف»، لأنهم بصدد إصدار مجلة جديدة بعنوان «صباح الخير»

وانتظر ..

«لويس جريس» ذلك الخميس بفارغ الصبر، وكان من يخرج أثناء العمل من دار الهلال دون إذن مسبق، يتم خصم اليوم كاملاً من راتبه، وجاء يوم الخميس وفي الساعة الواحدة ظهراً خرج «لويس» من دار الهلال، وذهب إلى «حسن فؤاد» وقابله بالأستاذ «أحمد بهاء الدين» رئيس تحرير مجلة «صباح الخير»، وإتفق على العمل معه .

وذهب ...

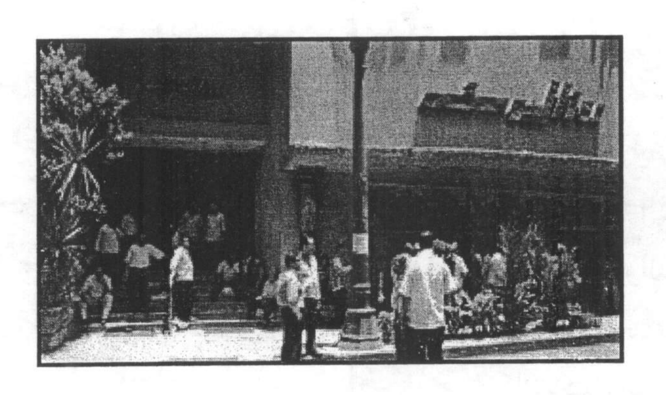
«لويس جريس» إلى دار الهلال، وقال لهم: انه سيعمل في مجلة «صباح الخير» الجديدة، لأنها ستدفع راتب أعلى ، وكان «لويس» عمل في دار الهلال لمدة ٦ شهور .

فسألوه عن الراتب فقال (٣٥) جنيه .

فقال «إميل سمعان» روزاليوسف لا تدفع مثل هذه الرواتب هذا مستحيل !! ولن يدفعوا لك هذا المبلغ ، وعلى كل حال لو أردت أن تعمل هناك فلا مانع لدينا.

المشوار..





بدأ مشوار «لويس جريس» الصحفي في عالم صاحبة الجلالة، أو مهنة البحث عن المتاعب في مجلة «صباح الخير»، حيث تم تعينه بها قبل إصدارها خلال فترة الإعداد والتجهيز للإصدار الذي تم في١٢ / ١ / ١٩٥٦ ، ولم يترك كاتبنا الكبير مجلة «صباح الخير» وأمضى حياته المهنية كلها في مؤسسة «روزاليوسف» حتى بلوغه سن المعاش عام ١٩٨٨، ولكنه استمر في منصبه حتى مجيئ «مفيد فوزي» مكانه في مارس ١٩٨٩ .

وبدأت...

مجلة «صباح الخير» برئاسة «أحمد بهاء الدين» ثم «فتحي غانم»، وكان «لويس جريس» ثالث رؤساء تحرير مجلة «صباح الخير»، ولكنه كان من ضمن المشاركين في التحضير لميلاد المجلة الوليدة، وكان وضع تصميماتها «حسن فؤاد» المستشار الفني للمجلة، وقد شاركه«حسن عثمان» الفنان التشكيلي الذي كان يعمل في جريدة الجمهورية في وضع التصميمات حيث شارك في وضع الماكيت الأول للمجلة، بدعوة من «إحسان عبد القدوس» .

وشهدت ....

مجلة «صباح الخير» بزوغ العديد من الكتاب والرسامين، مثل «صلاح جاهين» و «محمود السعدني» الذي انتقل من جريدة الجمهورية إلى مجلة «صباح الخير»، و«مفيد فوزي» و«رؤوف توفيق» و«كريمة كمال» و«إقبال بركة» و«صالح مرسي» و«صبري موسى» و«عبد الله الطوخي»، هذا بخلاف رسامي الكاريكاتير مثل «جورج البهجوري» و«رجائي ونيس» و«جمال كامل»، وأيضاً كتاب القصة القصيرة، منهم «زينب صادق» و«نهاد جاد» و«سمير سرحان» الذي كتب سلسلة مقالات عن المسرح الأسود، الذي كان مشهوراً في أمريكا، والذي كانت فلسفته تقوم على موت جميع ابطال المسرحية .. ثم إتفق «لويس جريس» مع «عباس الأسواني» للكتابة في مجلة «صباح الخير»، حيث كان يكتب المقامات الأسوانية على غرار مقامات الحريري، وأيضا «لويس» كان اول من نشر قصة قصيرة لإبنه «علاء الأسواني» مؤلف رواية «عمارة يعقوبيان» فيما بعد .

وكانت الرقابة ...

في زمن «عبد الناصر» عبارة عن رقيب موجود في المؤسسات الصحفية، يراقب المواد الصحفية بعد أن يجيزها رئيس التحرير، حيث كان الرقيب هو الذي يأمر بالنشر أو بعدم النشر، ومع هذا كانت الرقابة مكونة من نوعين، الأول كما يؤكده الكاتب الكبير هم الصحفيين الذين تأقلموا على حدود الرقابة التي وضعها «عبد الناصر»، وأصبح لديهم رقابة داخلية من تلقاء أنفسهم، ويضع «لويس» نفسه ضمن هذا النوع، لانه تأقلم على هذه الرقابة واصبح يعرف ماذا تريد الحكومة وماذا لا تريد، وعرف مايجب أن ينشر وما يجب أن لا ينشر من وجهة نظر نظام «عبد الناصر» وحكومته ..

ويضحك قائلاً: كنت لا أسير جنب الحيط بل كنت اسير داخل الحيط .. والنوع الثاني من الصحفيين، لم يأخذ باله من سطوة النظام وشدته في زمن «عبد

الناصر»، فيهبل ويخبط ويعرض نفسه للسجن أو المصادرة (الإعتقال)، ولهذا كان «لويس جريس» حريص جداً حتى لا يسجن أو يعتقل، لأنه كان يخاف من هذه التجربة ويكره أن يقبض عليه، لأنه لم يتخيل نفسه يوماً ما مسجوناً، ولهذا كان ملتزماً إلتزاماً شديداً بما ينشر وبما لا ينشر، ويعرف ما الذي يمكن أن يغضب الحاكم إذا نشر وبالتالي يقول: انه أمضى الأيام والسنوات في مجلة «صباح الخير» بخير وسلام .

ويعترف انه إنتابه إحساس شخصي بأن تأميم الصحافة في صالح الصحفيين، وربما هذا التأميم يجعله يوماً ما رئيس مجلس إدارة «روزاليوسف»، وقبل ذلك لم يكن ممكناً، بل كان مستحيلاً، لأن أصحاب هذه المؤسسات الصحفية هم الذين كانوا يتولون هذه المناصب، وتأميم الصحافة فتح المجال امام العاملين بها، ليصلوا إلى أعلى المناصب التي كان يحتكرها أصحاب هذه الصحف والمجلات، ولكنها في ذات الوقت، فرضت قيوداً شديدة جداً مما كان يفرضها ملاك المؤسسات، لأنها اصبحت ملك للحكومة .

ويؤكد «لويس» على وجود منافسة بين المؤسسات الصحفية في تلك الفترة، كانت بين أخبار اليوم، وبين الأهرام، ثم بعدهما بمسافة تأتي الجمهورية، إلى أن عين «حلمي سلام» رئيس تحريرها، فرفع من توزيعها.

ويذكر لويس« ضاحكاً: في إحدى هذه السهرات نزل «حلمي سلام» إلى احد المراكب ليدخن حجرين معسل، وفجأة قيل لهم أن الرئيس «عبد الناصر» يريده، فأرسلوا وراءه من يحضره من المركب ليلبي طلب الرئيس «عبد الناصر» ...

أما «روزاليوسف» فقد كانت تتميز بانها تضم الكتاب اليساريين الذين يؤمنون بالإشتراكية، أو بالإشتراكية العلمية بمفهومها التنظيري، ولهذا دأبت «روزاليوسف» على نشر مقالات لـ«فتحي غانم» الإشتراكية، ولكن بعد إنتقال «أحمد بهاء الدين» إلى جريدة «اخبار اليوم»، هاجم ما يكتبه «فتحي غانم» في

«روزاليوسف»، ووصفها بإشتراكية الخديوي «إسماعيل»، وأوضح أن هناك فرق بين الإشتراكية بمفهومها العلمي وبين الإشتراكية التي يكتبها «فتحي غانم»، لانها لا تمت للإشتراكية العلمية من قريب أو بعيد .. ويرى كاتبنا الكبير أن مؤسسة «دار الهلال» في هذه الفترة كان يطلق عليها دار الهلاك، لان العاملين بها لم يكونوا يقدمون أو يؤخرون وغير مؤثرين، ولا يستطيع احد أن يصفهم بالإشتراكيين او العلمانيين، ولكنهم كانوا بلا لون سياسي، وقد تولى «فكري باشا اباظة» و«أحمد بهاء الدين» رئاسة مجلس إدارتها وتحريرها، وهما من القامات الكبرى في الثقافة والسياسة والصحافة المصرية.

وفجأة....

أسند الرئيس «عبد الناصر» رئاسة تحرير الأهرام والأخبار إلى «هيكل»، وأسند رئاسة مجلس ادارة «دار الهلال» و«روزاليوسف» و«دار التحرير» إلى «أحمد بهاء الدين»، ومن هنا ولأول مرة يتم لخبطة ما إعتاد عليه الوسط الصحفي من تنوع في الصحافة والفكر، وأصبح «هيكل» يتحكم في الجرائد اليومية، و«أحمد بهاء الدين» يتحكم في المجلات الإسبوعية .. وبنظرة إلى هذه التقسيمة نجد أن «هيكل» إستأثر بأنجح مؤسستين، هما الأهرام والأخبار، وترك المؤسسات الفقيرة، التي تحتاج إلى مجهود كبير لكي تقف على قدميها لـ«أحمد بهاء الدين»، لأن «دار الهلال» و«روزاليوسف»، كان وضعهما متردياً ومن هنا حاول «أحمد بهاء الدين» أن يصل بهذه المؤسسات إلى بر الأمان، فعقد عدة إجتماعات في «روزاليوسف» لتحميس أبناءها بالنهوض بمؤسستهم، وفعل هذا أيضاً في «دار الهلال» وفي «دار التحرير»، سواء كانت جريدة الجمهورية أو شركة الإعلانات المصرية، أو شركة الإعلانات الشرقية ، ولكن لم تستطيع باقي المؤسسات بالنهوض أمام قوة الأهرام والأخبار في المجتمع الصحفي، لانها كانت مؤسسات قوية أمام المؤسسات الأخرى الضعيفة ..

وظهر في تلك الفترة وصف مؤسسات الجنوب على هذه المؤسسات، أما الأهرام والأخبار فوصفا بمؤسسات الشمال، تماما كما كان يحدث في وصف دول الشمال المتقدمة في أوربا، ودول الجنوب ف المتخلفة في إفريقيا..

وبالطبع بهذه التقسيمة كانت المنافسة تصب في صالح «هيكل»، وقد تحدث الجميع في هذا الأمر، بأن قرب «هيكل» من «عبد الناصر» جعله يحتكر الخبر الذي تفوز به الأهرام، وتحرم منه الصحف الأخرى، وطالب الجميع بالمساواة بين الصحف في الحصول على الأخبار الرئاسية الهامة، ولكن رد عليهم «عبد الناصر» رداً كان غريباً لأنه قال: انه و«هيكل» يتبادلان المعلومات، وطالبهم الرئيس «عبد الناصر» بأن يفعلوا مثل «هيكل»، وان يتوقفوا عن الشكوى منه، فتساءلوا فيما بينهم كيف يفعلوا مثله؟ و«هيكل» كان يتمتع بميزة لا يستطيع احد الوصول إليها ، حتى «موسى صبري» مع انه كان احد رؤساء التحرير الكبار المهمين، لكنه لم يكن يستطيع أن يصل إلى ما وصل اليه «هيكل»، لأن «موسى» كان أحيانا يلتقي برؤساء بعض الدول، مثل السودان، تشاد، جيبوتي، كذلك «أحمد بهاء الدين» و«إحسان عبد القدوس» و«فكري أباظة»، لكن «هيكل» كان اتصاله مباشرة بـ«عبد الناصر» وبكل من يتقابل معه، وأيضاً كان بمقدوره أن يستقطب أي من الكتاب المرموقين ويضمه إلى الأهرام او الأخبار، كما فعل وخطف «إحسان عبد القدوس» من «أحمد بهاء الدين» وغيره الكثيرين .

ويدلل على ذلك....

استاذ «لويس» قائلاً ذات يوم كان ترجم رواية «الوزير»، ونشرها مسلسلة في مجلة «صباح الخير»، ثم طبعها في كتاب بعنوان (الوزير والحب)، وذهب إلى «نوال المحلاوي» في الأهرام لإهدائها نسخة من هذا الكتاب، حيث كانت زميلته في الجامعة الأمريكية وكانت مديرة مكتب «هيكل»، وكان الأستاذ «هيكل» خارج من الحمام غاسل يديه لأنها كانت مبتلة، فقال دون أن ينظر ناحية «لويس ونوال» :

انت كدا زي الأشباح نسمع عنهم ولا نراهم، ثم دخل إلى مكتبه وطلب «نوال»، وبعد أن خرجت من مكتبه قالت: «لويس» الأستاذ «هيكل» يريدك أن تدخل له، فدخل عليه «لويس» ..

وقال «هيكل» : شوف يا استاذ «لويس»، الأهرام لا تطلب من احد أن يعمل بها، ومن يريد أن يعمل في الأهرام عليه أن يطلب، وحينها عرف «لويس» انه كان يريد أن يعمل في الأهرام بحيث يختطفه من «بهاء الدين»، فشكره «لويس» وأخبره انه كان قادماً لإهداء نسخة من كتابه إلى زميلته «نوال» وانصرف ..

ولكنه عندما عاد إلى «روزاليوسف، وحكى هذا الموقف لـ«بهاء الدين»، فاعتقد أن «لويس» يريد الذهاب إلى الأهرام، فقال له بغضب شديد: المكان اللي يعجبك وتريد العمل به اذهب اليه، فندم «لويس» اشد الندم على ما قاله لـ«بهاء الدين»، لانه فسره خطأ نظراً لما كان بين «هيكل» وبينه من صراع على إختطاف الصحفيين.

لكن التجربة تختلف في تطوير مجلة «صباح الخير»، حيث طلب «لويس» من مدير عام «روزاليوسف» ميزانية تطوير بمبلغ ٣ آلاف جنيه، ووعد بإرتفاع التوزيع خلال ٣ شهور بحوالي ١٠ آلاف نسخة، وبالفعل حصل على المبلغ وأطلق الصحفيين في «صباح الخير» إلى المحافظات، خاصة الإسكندرية والأقصر وأسوان، وطلب من «مفيد فوزي» السفر إلى محافظة قنا في فصل الصيف، حيث إعتاد الصحفيين في مصر الإهتمام بالموضوعات الصحفية من محافظة الإسكندرية، وفي الشتاء كانت الموضوعات الصحفية تأتي من الأقصر وأسوان، لكن «لويس» عكس هذا النظام المعتاد، ومن خلال التجوال في المحافظات والإهتمام بأخبارها، نهضت مجلة «صباح الخير» وإرتفع التوزيع من ١٨ الف نسخة إلى ٢٧.٥ ألف نسخة خلال ٣ شهور، وقال «لويس» لـ«عبد الفتاح عبد الغني» مدير المؤسسة: لو أعطيتني مبلغ آخر استطيع أن ارتفع بأعداد التوزيع أكثر

من هذا.. وبالفعل بدأ «لويس» يحصل على مبالغ مالية على فترات زمنية، للإرتفاع بالتوزيع إلى أن ارتفع توزيع «صباح الخير» إلى ٤٥ ألف نسخة إسبوعياً..

وكان «عبد الرحمن الشرقاوي» إقترح في تلك الفترة على «لويس» أن يخصص محرر للإهتمام بأخبار عروسة، قيل انها سقطت في بالوعة يوم زفافها وإختفت داخلها، فكلف«مفيد فوزي» بمتابعة هذه القضية، وظل ينشر أخبارها من خلال جيرانها وأقاربها وأصدقائها، إلى أن كاد يقترب من كشف الحقيقة، وفوجيئ جميع العاملين في «صباح الخير» بـ«عبد الرحمن الشرقاوي» يطلب منهم التوقف عن نشر اخبار عروسة البالوعة، لأن زوجها اتصل به وإستأذنه أن يوقف النشر، حيث إتضح لهم فيما بعد انها قد بيعت لأحد الأثرياء العرب .

وعن أمراض الصحافة يقول ..

أهم أمراض الصحافة وخطورتها، تتمثل في غياب الدقة وعدم التدقيق فيما ينشر من ارقام ونسب أو بيانات غير دقيقة، وهذه من أمراض الصحافة المصرية المزمنة لانه لا يوجد تأكيدات عن رقم أو موقف، وأيضاً عدم وجود نوع من الإحصائيات والبيانات.. ولا يوجد تحديد واضح للفروق بين المؤسسات الصحفية وبعضها، فلا يستطيع احد أن يدعي بأن هذه الصحيفة يسارية أو انها يمينية، لان الفروق غير واضحة في الأيدولوجيات، حتى مع وجود الصحف الحزبية .. هذا بخلاف أن جميع الصحف وخاصة الحكومية تحقق خسائر الا انها لابد وان توزع ارباح على العاملين بها كل عام .

وعن عيوب الصحفيين ...

يقول كاتبنا الكبير: في السابق لم يكن عدد كبير مؤهل للعمل الصحفي، وكان عدد كبير منهم غير حاصل على شهادات، إلى الدرجة التي جعلت «كامل زهيري» وهو من وصف بنقيب النقباء، يصر على ضرورة من يعين في رئاسة التحرير، أن

يكون حاصلاً على شهادة جامعية، ولكن استمر عيب عدم التأهيل للعمل الصحفي حتى مع حصولهم على شهادة جامعية، وأيضاً يوجد عيوب أخرى تتمثل في انهم لا يرتقون إلى مستوى القضية التي يناقشونها، وذلك لعدم توافر المعلومات، وبعدم العكوف على البحث عنها، لانه من المفترض في الصحفي البحث عن الحقيقة التي قد يكون لها وجوه عده، ولهذا على الصحفي أن يدقق في بحثه حتى يتأكد من كل شيئ يصل إليه، وانه نقي وحقيقي ولا تشوبه شائبة، ولكن التسرع صفة من صفات الصحفيين الذين يريدون تحقيق خطوات دون أن يخطوها..

ومن العجب أن نجد بعضهم يسعى لرئاسة التحرير، دون أن يتدرج في الصعود المهني، من محرر إلى رئيس قسم إلى سكرتير تحرير فمدير تحرير، واحيانا بعضهم يقفز من محرر إلى منصب رئيس التحرير، دون توخي العواقب التي يمكن أن تجرها عليه بسبب هذا التسرع، فليس من المستحب أن يتسرع الصحفي في القفز إلى الوصول إلى المناصب، ولا بد أن يعرف أن المنصب لا يصنع صحفي، لان في الصحافة إما أن يكون الصحفي موهوباً، ولديه استعداد للإستمرار فيها ويحقق نجاحات، أو أن يكون غير موهوب، وبالتالي غير مدرك لأهدافها ولا يمتلك أدواتها، وحينها لن يستطيع تحقيق شيئاً في المجال الصحفي.

أما العيوب الشخصية....

فالصحفيين مثلهم مثل باقي فئات المجتمع، يحملون جميع مقوماته السلبية والإيجابية، وبالطبع هذه الصفات تختلف من صحفي إلى أخر، فمن تربى على اخلاقيات الصحافة ستجده ملتزماً بالوفاء للرواد في العمل الصحفي، وللأخلاقيات المهنية وفي تعاملاته مع زملائه، وتجد الكبير يتواصل مع الصغير ويحتضنه، ولكن يأسف كاتبنا الكبير بأن النسبة الكبيرة غير ملتزمة ولهذا لا يستطيع الانسان التميز بين الجيد وغير الجيد .. ولهذا تمنى «لويس» وجود

متابعة من أن لآخر، وفحص وتدقيق في مدى أحقية الصحفي في أن يحمل لقب صحفي ، بإجراء فحص دوري للتأكد من الأخلاقيات العامة، وبأن الصحفي لم يستغل عمله في شيئ مهين للأخلاق أو الكرامة، وعدم إخلاله بالسلوكيات العامة للمهنة، حتى يحفظ كرامتها وهذه الإجراءات تتم عن طريق نقابة الصحفيين .

وبالطبع هذه الأمراض إنعكست على المعارك الصحفية، التي يراها كاتبنا الكبير عبارة عن خناقة على خلافات غير جوهرية، لانه لم يكن هناك خلاف مبدأي دارت حوله خلافات، ولكنه إفتعال للخلافات الصحفية كما تفتعل المشاجرات في الشارع، كأن أثنين واقفين كل منهما على رصيف وكل منهما يهاتي، واحد يقول للآخر اخرج لي وأنا أوريك.. والأخر يقول له : لا تعالى لي أنت وأنا أوريك ..

ويذكر كاتبنا الكبير أحد المواقف غير الأخلاقية التي تعرض لها شخصياً قائلاً : كان «محمود السعدني» كاتب مقاله ساخرة كعادته وإختار «لويس» لها احد الرسومات الكاريكاتورية تعبيراً عنها وتتوافق معها، وفي هذه الليلة كان في سهرة مسرحية مع زوجته «سناء جميل»، واثناء مرورهما على «روزاليوسف» قال لزوجته : إسمحي لي بخمس دقائق انظر على بروفات المجلة سريعاً وأنزل لك، وتركها في السيارة وصعد إلى المطبعة، ونظر في البروفات وهاله ما رأى، لأنه وجد أن الرسمة الكاريكاتورية التي إختارها لمقال «السعدني» الساخر اللاذع تم حذفها، ووضعت صورة الرئيس «عبد الناصر» بدلاً منها.

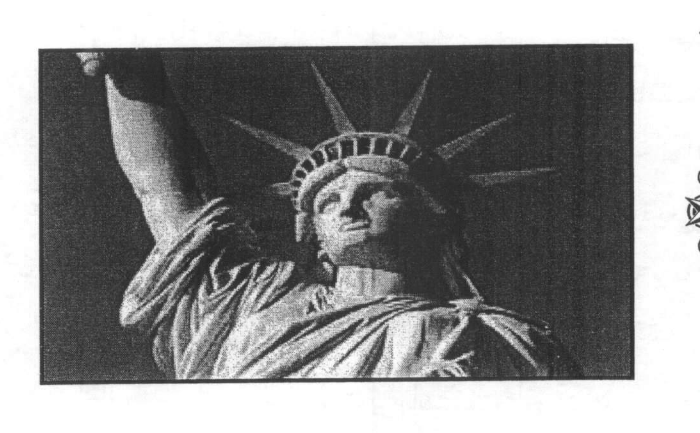
فسأل من الذي فعل هذا ؟ ..

فقالوا: لا نعرف

فأمر «لويس» بتوقف الطباعة وجمع كل ما طبع، وأنزله بنفسه في السيارة بجانب «سناء» وقال لها : سأذهب بك إلى المنزل وأعود مرة أخرى، لانه يبدو أن الليلة ستكون سهرة في الشغل، ورجع وغير صورة «عبد الناصر» وأعاد الرسمة

الكاريكاتورية إلى المقالة مرة اخرى، وظل بجانب المطبعة إلى أن تم طبع باقي الأعداد بالكامل، وزملائه قالوا له لابد من إجراء تحقيق في هذه الواقعة، ولكنه رفض وإكتفى بانه نجا من هذا المقلب الذي كان مدبر له ،ورفض أن يزيد الأمر إشتعالاً، ولم يعرف «لويس» من الذي غير الصورة حتى هذه اللحظة .

البعثة الأمريكية



لم يكن «لويس جريس» متأكداً من السفر إلى أمريكا، والحصول على منحة السفر، فقد جاءت النتيجة ويسبقه زميلاه «محسن محمد» و«طارق حسني»، و«لويس» ثالثاً فركز في عمله وصرف النظر عن هذه البعثة .. لكنه فوجيئ برسالة من مانحي البعثة يقولون: استعد للسفر، بعد إعتذار زميله الأول والثاني، حيث كان الرئيس «عبد الناصر»« أنشأ وكالة أنباء الشرق الأوسط، وتم إختيار «محسن محمد» مدير لمكتب «جده» و«طارق حسني» مدير لمكتب «بيروت»، وخلا الطريق امام «لويس» للسفر إلى امريكا، وفي ذلك الوقت كانت توجد مناوشات العدوان الثلاثي على مصر والتحرش بقناة السويس.

فسأل أستاذه «أحمد بهاء الدين» هل يسافر ام لا ؟، لأنه يخشى من أن يقال عنه امريكاني ولكنه يريد أن يدرس الصحافة.

فقال له: يا «لويس» لو سافرت ودرست لمدة سنة في امريكا، كأنك قرأت ألف كتاب عنها ولن تخسر شيئاً، ولكن إذا لم تسافر ستخسر كثيراً، واهمها عدم رؤية هذا الجانب من العالم ومعايشته اليومية والتفاعل معه والتعرف عليه من قرب ..

وبالفعل ركب «لويس» الطائرة المتجهة إلى أمريكا يوم ١٣ سبتمبر ١٩٥٦ وإستقل القطار من نيويورك إلى ولاية «ميتشجان» التي بها الجامعة التي سيمضي بها عاماً دراسياً .

وعندما قدم أوراقه إلى الجامعة، قالت له السكرتيرة: لقد انهينا عملنا اليوم ولكن يمكن لك أن تقدم باقي الأوراق في منزلي، وسوف اقدمها للجامعة وأعطته العنوان وحددت له الموعد، ويقول «لويس» : عندما ذهب إلى منزلها، وجدها تعيش مع احد الأساتذة الذين درسوا له في الجامعة بعد ذلك.. وهذه أول مرة يعرف «لويس» انه يمكن للناس في امريكا أن يعيشوا مع بعضهم دون زواج، ولكنه بعد ذلك لم يتوقف كثيراً امام هذه الأمور التي لفتت نظره اول قدومه إلى امريكا وبشدة ..

الأمر الثاني الذي لفت نظره، ذات يوم استيقظ متأخراً ونزل إلى الشوارع، فوجدها بدون بشر وعرف أن الناس في امريكا، إما أن يكونوا في عملهم او في منازلهم، نائمين يستعدون للخروج في وردية قادمة، ولا يتسكعون في الشوارع فخالجه شعور بالخجل، عندما لم يجد غيره يتسكع في الشوارع ليشاهد الفتارين، فقفز إلى ذهنه سلوك المصريين وكيف يتسكعون في الشوارع، ويتلطعون على النواصي وعلى المقاهي، ولا يشعرون بالخجل بل يعتبرون هذه التصرفات حرية..

وبعد ما إنتظم ...

في الجامعة، وجد بها مسابقة أخرى وتقدم اليها وفاز بها، وكانت تمنحه الفرصة لكي يدرس سنة أخرى في جامعة «ميتشجان»، ثم تعطيه فرصة عمل لمدة سنة ثالثة، للعمل في (٤) جرائد يومية في مختلف ولاية «ميتشجان».. وهذه الجرائد كانت «ميتشجان نيوز» و«فلينتو نيوز» و«ساجنو نيوز» و«ديترويت نيوز» و«ديترويت» هى عاصمة ولاية «ميتشجان» التي بها مركز صناعة سيارات (فورد) العالمية، وبهذه المسابقة ظل في امريكا (٣) سنوات مما جعله يحصل على درجة الماجستير في الصحافة من جامعة «ميتشجان»، ثم بدأت رحلة عمله في الصحف اليومية والتي وصفها بالتجربة الفريدة

بالنسبة له، لأن نظام العمل في الصحف الأمريكية، يتعين وجود ورقة معلقة مكتوب فيها اسم الصحفي، والمكان الذي سيذهب اليه والحدث الذي سيقوم بتغطيته صحفياً، ثم يعود الصحفي إلى الجريدة لكي يكتب الموضوع ويسلمه قبل الساعة الـ١٢ ظهراً .. ومرات أخرى كان يتم تكليفه بتغطية حدث في المساء، وكانت إدارة الجريدة تعطيه مفتاح الجريدة، بحيث انه بعد اداء مهمته الصحفية، يعود إلى الجريدة ليكتب الموضوع الصحفي الذي كلف به، ويتركه على مكتب سكرتير التحرير ويغادر، ويصف هذا بالسلوك المهني والتصرف السليم، لأن الصحفي بعد تغطيته للحدث ومعاينته ومعايشته له، يكون مشحوناً بكل التفاصيل التي جرت أمامه، بحيث لو انه جلس ليكتب سيكتب كل شيئ كاملاً، وحينها كانت تقفز إلى ذهنه الجملة الخالدة المكتوبة على كراسات التلاميذ «لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد»، وهنا عرف «لويس» لماذا تقدمت امريكا هذا التقدم المذهل والسريع لأنهم لا يأجلون أعمالهم .

وبدأ «لويس» يصور الحياه كما يعيشها ويرسلها إلى زملائه واصدقائه في مصر، وهناك اكتشف تعبيرات خاصة يتداولها الأمريكان بعضها محدد المعنى، مثلاً يمكن لأحدهم أن يقول: انه يستلطف شخص ما او يستملح صحبته او صحبتها، لكن إذا قال : انه يحب فلان أي نطق لفظ الحب فهذا لفظ مقدس وعليه الإلتزام به كاملاً.. ولذلك يتروى الكثيرون هناك في النطق بلفظ الحب، ولا يحاولون على الإطلاق المتاجرة به أو الكذب باسم الحب، ولابد أن يكون الإنسان صادق في إحساسه ويعني الحب بالفعل، عكس ما يشاع هنا في مصر فيمكن لأي إنسان أن يدعي الحب بل ويكذب باسم الحب ..

ويذكر «لويس» عادة امريكية باسم (البلاينت ديت)، وهو الموعد الأعمى غير محدد الملامح، وهو لقاء الشباب والبنات لقضاء أمسية نهاية الإسبوع، في أحد المطاعم أو المراقص الليلية، وهو أمر وارد ومستحب، ويبدأ مع البنات الذين يريدون الحصول على موعد أعمى مع شخص لا تعرفه، بأن تضع اسمها في

«لستة» في المدارس الداخلية، وهذه المعلومات أخبره بها «وحيد جرانه» صديقه وزميله في السكن بأمريكا، وابن المحامي الشهير «جرانه» وزير الشئون الإجتماعية أوائل الخمسينات، وبالفعل ذهبا إلى إحدى المدارس الداخلية وقرأوا الأسماء وإختاروا فتاتين «اليزابيث» و«تينا» .

وقال له «وحيد»: طالما انا صاحب الفكرة دعني أختار احداهما أولاً .

لويس: يعني ستختار الجميلة ؟

وحيد : نعم طالما اني صاحب الفكرة

وافق «لويس» وبالفعل جاءت الفتاتين، ووجدا أن «اليزابيث» ترتدي ملابس عريانة عن «تينا» فإختارها «وحيد»، وترك «تينا» لـ «لويس»، لأنها كانت ترتدي بالطو وقبعة ونظارة وكوفيه، لكن يقول لويس: عندما ذهبوا جميعاً إلى المطعم وخلعت «تينا» البالطو والقبعة والنظارة والكوفيه، فوجيء «وحيد» بأنها الأجمل فقال بالعربي : يا إبن الإيه حظك حلو.

ورد لويس : انا سيبتك تختار وانا وافقت، ولن أتركها أبداً، وصمت «وحيد» وقال : ماشي .

وكان المفترض عليهما ...

أن يعيدا الفتاتين إلى مبنى القسم الداخلي قبل الساعة ١١ مساءً، حيث هذا هو موعد غلق باب المدرسة، وبالفعل ذهبوا جميعاً في الموعد، ووجدوا الشباب يقفون طابور بجانب طابور البنات، ويقبلون ويحتضنون بعضهم في انتظار دخول البنات، ولأن «لويس» كان بدون خبرة في هذه العادات لم يعرف ماذا يفعل ؟..

ولكن «وحيد» وقف يحتضن «اليزابيث» ويقبلها، و«لويس» مشى مع «تينا» إلى باب المدرسة وسلم عليها باليد مودعاً، ثم عاد وركب السيارة بجانب «وحيد» بعد ما دق جرس المدرسة وأغلق الباب .

وقال وحيد: إيه اللي انت هببته دا ؟

وساله لويس : هببت إيه ؟

وحيد : لماذا لم تقف معنا وتعمل زينا ؟

لويس : يا «وحيد» إزاي أبوس بنت عارفها من كام ساعة ؟

وحيد : يا «لويس» سلو بلدهم كده، هو انت فاكر نفسك في مصر؟ انت كده أذيت هذه البنت .

لويس : إزاي أذيتها ؟

وحيد : هى دلوقتي ظهرت امام زميلاتها انها لم تعجبك، وانها لم تكن على مستوى «البلاينت ديت» ولم تسعد بها ولهذا سلمت عليها باليد فقط ..

ويقول «لويس» بالفعل تحدثت «اليزابيث» مع «وحيد» تليفونياً، وقالت : ايه الجريمة اللي عملها صديقك مع «تينا» ؟

فقال وحيد : لا بد أن نصحح هذا الخطأ في المرة القادمة، وبالفعل وافقت الفتاتين على الخروج معهما مرة أخرى، ورغم خطأ لويس من وجهة نظرهم ألا أن «تينا» تعلقت به وقالت له: لو انه إستأجر شقة بمفرده، ستوافق على الإنتقال والمعيشة معه.

وقال لويس: انه يعيش في شقة مع إثنين من زملائه ويدفع ثلث الإيجار، فتفهمت الوضع وصمتت ..

وبدأت العلاقة تتوطد بين «لويس» و«تينا»، وبدأ يفكر «لويس» هل يمكن أن يرتبط بها، خاصة أن عمره كان ٢٨ عاماً، ولكنه أبعد هذه الفكرة نهائياً، لأن الزواج من أمريكية معناه انه سيعيش هناك ويصبح مواطن من الدرجة الثانية، غير انه لم يكن متحمساً للمعيشة في أمريكا، بسبب عاداتهم التي لم تعجبه، خاصة رحلاتهم

التي كان يمكن أن يتم فيها تبادل الزوجات دون غصب، ومن يوافق يصبح الأمر عادياً بالنسبة له، بل يكونون سعداء بهذا التبادل، والإنسان الذي يعيش هناك يصبح ملكاً للمجتمع، الذي يمنح البنت في سن السادسة عشر الحرية في أن تترك منزل أسرتها، ولا تستطيع الأسرة منعها لو أرادت الإنفصال، ولكنه يعجب بإستمتاعهم بالحرية، وأيضاً كان يسأل نفسه إلى اي مدى كان يستطيع أن يطبق هذه الحرية على نفسه؟ عندما يرى الزوجات يخلطون الحابل بالنابل، وكل إنسان لديه الحرية في أن يفعل الفحشاء مع من يتوافق معه، دون حساب أو عقاب أو وازع من ضمير، طالما تم هذا الأمر بالتوافق دون غصب أو إجبار ..

ويتذكر «لويس اثناء ...دراسته في عام ١٩٥٧ ، فوجيئ ببعض الطلبة يقولون: أن «سعيد رمضان» القيادي الإخواني، وزوج إبنة «حسن البنا» قادم إلى جامعة «ميتشجان» لإلقاء محاضرة،

فقال : «لويس» كيف وسعيد هذا محكوم عليه بالإعدام في مصر؟

فقالوا له: لا هم أخرجوه وسيأتي لزيارة الجامعة، وبالفعل تم الإعداد لمحاضرته، وحضرها «لويس» وتحدث «سعيد رمضان» عن جماعة الإخوان، وعن ظروفهم ورفض وصفهم بالخونة أو العمالة، ووصفهم بالأشراف والوطنيين، وانهم كانوا يريدون تحرير وطنهم من الإنجليز اكثر من أن يقوموا بثورة ليحكمون، وهذا كان مضمون كلامه في المحاضرة ..

ويقول انهم سمعوا انه هرب من مصر، أو قد يكون «عبد الناصر» سهل لبعضهم الهروب، ولم يخرجهم بل جعلهم يفكرون في الهروب، لأن الكثيرين منهم خرجوا من مصر، بعد أن حكم عليهم في قضايا وكان مقبوض عليهم.. فكيف يمكن لهذه الأعداد من الشخصيات الخطيرة أن تهرب؟!!.

وكان يتم إستضافة «لويس جريس» ، كونه مصري في مؤتمرات في الجامعة أو في جمعيات مدنية، للحديث عن أزمة ١٩٥٦ مع أن الإعلام الأمريكي كان منحازاً

للجانب الإسرائيلي ، ويقول «لويس»: كان الإعلام يذيع لقطات مصورة لـ«موشى دايان» وزير الدفاع الإسرائيلي، وهو يركب سيارته الجيب، وهى تجوب سيناء حتى تصل إلى حافة القناة الشرقية، وهذا بالطبع كان يغضب العرب في أمريكا، وكان الإعلام الأمريكي يروج أن مصر هى المعتدية، وإسرائيل ردت على هذا العدوان، والشعب الأمريكي كان مقتنعاً بهذه الدعاية .

ولهذا كانت الأسئلة التي توجه إليه في المؤتمرات، سواء من الصحفيين أو الباحثين أو السياسيين جاهزة، واليهود كانوا يرتبونها ويعدونها، حتى تضع الضيف المصري في موقف محرج عندما يسألونه ..

لماذا تغلقون ممر قناة السويس في وجه الملاحة البحرية؟

وكان يجيب بأن مصر لم تغلق قناة السويس، خاصة مع وجود إتفاقية القسطنطينية التي لا تسمح بإغلاق القناة، والتي تسمح بمرور جميع السفن إلا التي تحمل سلاحاً، أو تكون السفينة لدولة بينها وبين مصر حرباً، وهذا حماية للسلم العالمي ، والأسئلة كانت للخبطة الضيف فقط لا غير ووضعه في موقف محرج .

ويضحك «لويس» عالياً.....

ويقول كان في نيويورك وذهب إلى مقر الأمم المتحدة، في الجلسة الشهيرة التي رفع فيها «خرتشوف» حذائه إلى أعلى، والعالم تساءل لماذا فعل «خرتشوف» هذا؟ ووكالات الأنباء العالمية طيرت صورته وهو يرفع الحذاء، وبالطبع «لويس» سجل هذا المشهد وكتبه وأرسله إلى «روزاليوسف» في مصر.

ويقول: انه الوحيد الذي كان يعرف لماذا فعل «خرتشوف هذا الأمر !!، لأن الإتحاد السوفيتي في تلك الفترة كان يستورد الأحذية من مصر، وكانت الصناعة المصرية في مجال الأحذية تثبت كعب الحذاء بالمسامير، وبالطبع أحد هذه المسامير برز وشكه في كعبه، ولهذا خلع الحذاء ليبحث عن ما يؤلمه، والمصريون كانوا يتغلبون على هذا العيب، بدق أطراف المسامير من داخل الحذاء، أو يتم وضع فرشة أخرى سميكة لعزل

أطراف المسامير عن كعب من يلبس الحذاء .

ومن خلال ....

معايشة «لويس جريس» للأمريكان، وصف الشعب الأمريكي بالمسالم والطيب والمضياف والمحب للحياة، ودائماً يواجه مشكلاته ولا يؤمن بأن هناك مستحيل، وان كل مشكلة ولها حل، ولكن على الإنسان المحاولة وليس عليه إدراك النجاح، ولان سبل النجاح متوفرة هناك ولهذا ينجح الإنسان المصري ويجد لنفسه مكاناً، ولكن إذا تعذر عليه النجاح يقول: أصل أستاذه أو رئيسه يهودي ويضطهده لأنه مصري، ولكن الحقيقة لا يوجد هناك ثقافة الإضطهاد، لكن العيب يكون في الشخص ذاته، اكثر من أن يكون في أستاذه الذي يزعم انه يضهده لأنه مصري ..

ويرى أن الشعبان المصري والأمريكي، يتشابهان في الكرم وحسن الضيافة وفي ممارسة الحقوق، وانهما يقفان بجانب المأزوم في أوقات الضيق والشدة، وليس للشعب الأمريكي إهتمامات سياسية مثله مثل الشعب المصري قبل ٢٥ يناير ٢٠١١ ، والشعب الأمريكي ينظر إلى الشعب المصري نظرة إكبار وإعجاب، ويندهشون من أن المصريين لا يعرفون قيمة أنفسهم وحضارتهم جيداً بما انهم أصل الحضارة الإنسانية في العالم.. والحكومات الأمريكية ودوائر صنع القرار تلعب سياسة، وتحاول طوال عمرها أن تفرض وتهتم بمن الذي يحكم مصر وكيف سيتعاملون معه؟!! منذ عبد الناصر» وحتى الآن .

خطاب من سطرين ..

تلقاه كاتبنا الكبير في سبتمبر ١٩٥٩ من «إحسان عبد القدوس، » يقول: عزيزي «لويس» ماذا تفعل هناك عد مكتبك في إنتظارك.

ويقول «لويس» هذا الخطاب غير مجرى حياته، لأنه كان يتلمس طريقه ومتردد في أن يظل في أمريكا أو أن يعود إلى الوطن، خاصة أن معظم الذين سافروا في تلك الفترة، ركنوا هناك ولم يعودوا، وكان من الممكن أن يحذو حذوهم،

خاصة بعد ما قيل له أن لديه حجة قوية، يستطيع التحجج بانه من الأقليات وانه مضطهد في مصر، حتى يقبلوا هجرته، ولكنه رفض أن يلجأ إلى هذه الحيلة، وقال: انه لم يضطهد في مصر، ولم يرى أية صنوف من الإضهاد، فكيف يتجرأ على وطنه ويتهمه هذا الإتهام؟..

وكان معه (١٥٠٠) دولار تم إدخارهم من عمله في الصحف الأمريكية، فقارن بين هل يسافر إلى ولايات أمريكا وكندا والمكسيك بـ(١٥٠٠) دولار، لأنه قد لا يعود اليها مرة أخرى، أم انه يشتري سيارة «شيفورلية» بـ(١١٠٠) دولار وشحنها إلى مصر يتكلف (٤٠٠) دولار؟ وأخيراً حسم أمره بأن ينفق الأموال في السفر والترحال، ومشاهدة المكسيك وكندا وباقي ولايات أمريكا،.. وبالفعل بدأ ينظم الرحلات من خلال الأتوبيس، وتنقل من ولاية إلى ولاية أخرى، حيث شاهد (٤٨) ولاية أمريكية، ثم إنتقل إلى كندا ودخل ولاية «كيبك»، ومنها إلى مدينة «مونتريال» في شمال كندا، وأيضاً زار المكسيك، ثم عاد إلى نيويورك واستقل الطائرة عائداً إلى مصر، ولم يتبقى معه إلا ٣ دولارات فقط،، واستقل تاكسي من مطار القاهرة وذهب إلى ٣ شارع مراد بالجيزة، حيث يسكن شقيقه «مفيد»، ولكن كانت المفاجأة أن قال له البواب: أن شقيقه سافر إلى الصعيد وغير موجود..

فطلب منه أن يحاسب سائق التاكسي، وترك لديه حقيبته وخرج إلى الشارع، وسار من شارع مراد ماراً بكوبري الجلاء، ثم كوبري قصر النيل، إلى أن وصل إلى ميدان «طلعت حرب» ، وهناك إلتقى بصديقه «عبد المنعم الملواني».

وقال له انه راجع من امريكا اليوم ومفلس، واخيه غير متواجد في القاهرة، ولا يجد مكان ينام فيه، فاصطحبه «الملواني» معه إلى منزله، وقدم له العشاء، ونام لديه وفي الصباح قدم له الإفطار، ثم قال له «لويس»: سلفني ٢ جنيه يا «منعم» لأني كما قلت لك مفلس ، وبالفعل أعطاه ٢ جنيه وخرج من عنده ليتصل بـ«روزاليوسف»..

ويضحك «لويس» قائلاً : ولم اعطي «منعم» الـ(٢) جنيه حتى اليوم .

وعندما إتصل بـ«روزاليوسف» يسأل عن اصدقائه وزملائه ورد عليه «عـوف» تليفونست المجلة.

سأله لويس: فين «حسن فؤاد»

عوف: في أجازة

لويس: وصلني بـ«جمال كامل»

عوف: في أجازة

لويس: و«محمود السعدني»

عوف: في أجازة

لويس: و«ابراهيم عامر»؟

عوف: في أجازة

وكلما سأل «لويس» عن احد من زملائه يرد عليه «عوف» قـائلاً في أجـازة ثـم انفعل عليه قائلاً: مين اللي بيتكلم ؟

لويس مجيباً: انا «لويس جريس» يا «عوف»

عوف: هل تتحدث من مصر ام من أمريكا ؟

لويس: من مصر.

عوف: سأصلك بالأستاذ «إحسان» في منزله، وبالفعل تم الإتصال بــ«إحسـان عبد القدوس» وطلب منـه أن يـذهب إليـه في منزلـه، وذهـب «لـويس» اليـه وتـم الإتفاق على عودة «لويس» إلى مجلة «صباح الخير» وعرف حينها من «إحسان» أن جميع الزملاء الذين سأل عنهم وقال عوف: انهم في اجازة، كانوا جميعـاً معتقلـين في سجون «عبد الناصر».

عصر عبد الناصر..




خمسة وعشرون عاماً كانت هى عمر الكاتب الصحفي الكبير، عندما قامت ٢٣ ثورة يوليو ١٩٥٢، والتي وصف ثوارها: انهم كانوا بدون فكر أو فلسفة، ولكنهم وضعوا (٦) مبادئ وقالوا سنطبقها.. وجاء بيان الثورة الأول معبراً بصدق عن آمال وطموحات الشعب المصري، ولهذا إلتف حولها خاصة أن الثوار أحسنوا إختيار اللواء «محمد نجيب» قائداً للثورة، وعندما ظهر بإبتسامته وهيئته شعر المصريون انهم وجدوا أباً في اللواء «نجيب».

وتوالت الأحداث ...

وأيدها الصحفيون أمثال «إحسان عبد القدوس» و«مصطفى وعلى أمين» و«هيكل» و«أحمد ابو الفتح» الكاتب الوفدي الكبير، ويؤكد صاحب الذكريات أن أفضل الكتابات كانت لـ«إحسان» في «روزاليوسف»، و«أبو الفتح» في جريدة «المصري»، حيث أصر الكاتبان على تطبيق الديموقراطية، فضاق بهما الثوار وتم القبض على «إحسان» وهرب «ابو الفتح»، وتم إغلاق عدد كبير من الصحف، بعد

أن ضاق الثوار بالنقد، وتعرضت الصحافة لحملة تشهير عندما تم نشر اخبار المصاريف السرية للصحف والمجلات قبل ١٩٥٢، وهذه الأخبار كانت صدمة كبيرة لـ«لويس جريس» عندما نشر أن «روزاليوسف» حصلت على (١٨) الف جنيه من المصاريف السرية، ولكنه علم بعد ذلك أن هذه المصاريف كانت تدفع، عندما تصادر الحكومة المطبوعة أو توقفها عن الإصدار، فتدفع تعويضاً لها عن ثمن الأوراق..

ولكن ثوار يوليو إلتفوا حول طريقة النشر، فجاءت كأنها قبضت هذه المبالغ من وزير الداخلية، ليظهروا أن الصحفيين مرتشون، وبهذا الإسلوب قاد الثوار حملة ضد الصحافة والجامعات والأحزاب، بحجة التطهير مما قضى على آمال المصريين، لأن الأساتذة المصريين الذين حلوا محل الأجانب بعد عودتهم من البعثات الخارجية، خرجوا من الجامعة بقرار التطهير الذي إتخذه «عبد الناصر»، فقضى على جيل بأكمله كان يحمل راية التطوير ويحمل نهضة مصرية صحيحة، وهذا تم بسبب إجتماع «عبد الناصر» مع أساتذة الجامعات، فقالوا: له انهم مع الديمقراطية، ومع انها كانت المبدأ السادس للثورة، الا أن هذا لم يعجب «عبد الناصر» فجرف الجامعة وأضر بمستقبلها وتدهورت أحوالها حتى اليوم .

والذي لا يعرفه أحد كما يقول «لويس جريس» أن «عبد الناصر» ارسل معاونيه إلى البرتغال لدى الديكتاتور «ساليزار» ونقل معاونو «عبد الناصر» شكل نظام الحكم هناك، حتى اسم الإتحاد الإشتراكي جاءت من البرتغال، وأنشأ التنظيم الطليعي كالخلية الشيوعية، ووضع فيه أفراد تتجسس وتكتب التقارير في بعضها، فأنهت على العمل السياسي الذي يفرز الكوادر السياسية، ولهذا لم تنتج يوليو الوزير السياسي بل انهت عليه وفضلت أهل الثقة وأهل المحبة والإخوان والأحباب في المناصب بديلاً عن إختيار الشخص المناسب، بل أن ثورة يوليو لم تترك المسئول الجيد يستمر في منصبه، وأصبح لا يعرف أحد من الذي كان يلعب في الإختيارات؟ لأن الديكتاتور عندما يتشكل لا يريد لأحد أن يعارضه او يشاركه

في رأي أو قرار، ولهذا قضى «عبد الناصر» على كل من عارضه، بما فيهم «أحمد حسن االباقوري» الذي ترك جماعة الإخوان من أجله، والذي كانت قراراته كارثية بسبب تسرعها، وعدم الإستماع إلى أحد فلم يتم دراسة الوحدة مع سوريا دراسة حقيقية، ثم جاء تورط مصر في حرب اليمن، لأن القوى الكبرى كانت تحرك بعض الأصدقاء المعاونين المقربين لـ«عبد الناصر» ، وبالطبع جاءت كارثة الكوارث في يونيه ١٩٦٧ بسبب قراراته التي أدت إلى النكسة، وكل هذه الأحداث تسيئ إلى ثورة يوليو والى «عبد الناصر»، الذي عرفت القوى الكبرى كيف تتعامل معه، خاصة امريكا التي تأكدت أن التطور في المنطقة يبدأ من مصر، فأخذت تدفع «عبد الناصر» للسير في طريق الزعامة والديكتاتورية، إلى أن إتجه إلى الإتحاد السوفيتي وليس لأمريكا فجاءت النكسة بتدبير محكم لكي يسقط «عبد الناصر» امام الشعوب العربية، لأن الذي سقط في يونية ١٩٦٧ هو نظام «عبد الناصر» وليس الجيش المصري الذي ظلم لأنه لم يحارب، ولهذا فـ«عبد الناصر» يتحمل مسئولية الهزيمة كاملة، ونظامه سقط بكل سؤاته وخطاياه وجرائمه ولم تسقط مصر ولا جيشها .

ومن الطبيعي...

ان تنتقص الديكتاتورية من كل الإنجازات، لأن هذه الديكتاتورية عطلت الإنسان المصري وقهرته، وجعلت الصفوة والمفكرين يهربون خارج مصر، بعد أن احكم «عبد الناصر» قبضته على السلطة، ووضع من وضع في السجون والمعتقلات، وكان لابد لمصر من ثورة اخرى مثل ثورة ٢٥ يناير، التي اطاحت بسلبيات يوليو، وأسوأ ما فيها انها جعلت عدداً من المسئولين في مصر «يهزروا» ومصر لا تستحق الهزار، بل تستحق العمل الجاد، وبسبب قلة الخبرة وعامل السن والطموح الزائد لدى «عبد الناصر»، مع انه كان مرشحاً للزعامة ولكنه إتجه إلى الديكتاتورية .

ولهذا يندهش «لويس» عندما يقول: أن الثوار تناقشوا داخل مجلس قيادة الثورة حول الديمقراطية والديكتاتورية، والمجلس إنحاز بكامله نحو الديكتاتورية، و«عبد الناصر» هو الوحيد الذي إنحاز إلى الديموقراطية، بل غضب وخرج من المجلس ثم اعادوه، ليتحول هو إلى الديكتاتور الأول، وخلال سنتين من قيام الثورة استطاع «عبد الناصر» التخلص من «محمد نجيب»، ومن بعض القيادات التي كانت تعارضه، وأحكم قبضته على السلطة والحكم وعلى دولة كانت تمتلك مقومات النهضة والإنطلاق أكثر من سنغافورة، وكان معروضاً عليها الإنضمام إلى مجموعة «الكومنولث» ، ولكنها فشلت بالتضييق من القوى الكبرى، فإتجه «عبد الناصر» إلى النظام الإشتراكي، فتم دهس المواطن المصري كما لم يدهس من قبل، وكان عليه أن يعرف أن مصر لن تتقدم وتنهض إلا بعد أن تعترف بقيمة المواطن لديها.

ولم يغفل صاحب الذكريات..

أن «عبد الناصر» استطاع أن يجعل الشعب المصري يشعر بالفخر، وانه يستطيع أن يصنع شيئاً ويحقق أحلامه، لكن عندما وقعت النكسة جعلته يتأكد انه لم يكن جاهزاً لخوض تلك المعركة، وان «عبد الناصر» عندما أصدر قراراته الإشتراكية في ١٩٦١، كان عبقرياً بالنسبة للكثيريين، ولكن ثبتت التجربة فيما بعد انها قرارات لم تكن موفقة، لأنها فتت الملكية وجزأت الأراضي الزراعية، ولم تكن القرارات الإشتراكية في صالح الإقتصاد المصري، بقدر ما عملت على هدم الإقتصاد الوطني، ولم يكن «عبد الناصر» موفقاً في قراراته بقدر ما كان موفقاً في مواقفه الوطنية، فقد كان عبد الناصر« زعيماً جماهيرياً ولم يكن مفكراً سياسياً أو إشتراكياً كما كان يزعم ويدعي، لأن إشتراكية «عبد الناصر» كانت تشبه إشتراكية الخديوي «إسماعيل» حسب وصف «أحمد بهاء الدين» لأنه كان يفهم أن الإشتركية بالمشاركة ، أكثر منها نظرية إقتصادية علمية.

ثم أن الحريات في عهد «عبد الناصر»، لم تكن موجودة أو متاحة، بل كانت القيود المفروضة كثيرة جداً، وربما كانت غير محسوسة بسبب حالة الغموض والتعتيم التي كانت سمة العصر، وكانت مفروضة فرضاً وبالقوة من خلال الرقابة والمنع والقمع والتجسس، ولم يكن في قدرة احد ولا إستطاعته معرفة حقيقة ماذا يحدث؟ أو ما الذي دخل مصر من أموال، أو ماذا خرج منها؟ فلم يكن مسموح بنشر أي شيئ من هذا القبيل، وأيضاً كان ممنوع منعاً باتاً نشر أي من قضايا الفساد الكبرى..

ويضحك «لويس» قائلاً : ومع هذا أطلقوا على عصر «عبد الناصر» بمنتهى البجاحة والوقاحة انه كان عصر الطهارة والنزاهة والشفافية، مع أن الفساد كان متفشياً بل وضعت بذرة الفساد في عصر «عبد الناصر» ثم نمت وترعرعت وجنينا ثمارها بعد ذلك .

وأهم بذور الفساد، هى بذرة أهل الثقة، ويقول كاتبنا الكبير آسفاً انها كانت دعوة قام بها «فتحي غانم»، الذي كان قريباً من «علي صبري» حين كتب مقاله في «روزاليوسف» بعنوان (أهل الثقة وأهل الكفاءة) وإنتصر في مقاله إلى أهل الثقة، فكرست ثورة يوليو هذا المبدأ الذي إستمر حتى اليوم، فتدهورت مؤسسات الدولة، لأن كثيراً ما يكون صاحب الثقة غير كفء للمنصب الذي يتولاه، مما جعل الناس يدورون حول انفسهم محتارين بين أهل الثقة وبين أهل الكفاءة، فزادت الفتن والدسائس والتهميش، وضعف الإنتماء للوطن وحل محله الولاء للمسئول.

ويتوقف كثيراً..

«لويس جريس» امام واقعة صعود «عبد الناصر» على منبر الأزهر، وإعلانه للجهاد من فوقه عام ١٩٥٦ وقوله: سنقاتل.. سنقاتل، وعدم إعلانه الجهاد من فوق منبر مجلس الشعب، أو من مكتبه برئاسة الجمهورية؟

ويتساءل: إلى أي مدى يمكن أن نضع علامة إستفهام حول هذه الواقعة ..

وهل «عبد الناصر» كان يريد من جماعة الإخوان الإنضمام إليه؟

أم انه كان يعرف أن الأزهر الشريف يختلف في دعوته الوسطية المعتدلة عن دعوة جماعة الإخوان التي لا تقبل الأخر؟ (ولم يقدم «لويس» إجابات لهذه التساؤلات).

في حين انه قارن بين صعود الأنبا «سيرجاريوس» على منبر الأزهر في ثورة ١٩ ،قائلاً: انه لم يكن رئيساً للجمهورية، ولكن «عبد الناصر» كان رئيس لكل المصريين ، وهذا ما طرحه قائلا: بأنه ليس لديه إجابة..

في هل إستقوى «عبد الناصر» بالأزهر على جماعة الإخوان؟ .. ام انه أراد أن يضمهم إليه؟ ويصف تلك الفترة بانها إتسمت بالتصرفات السريعة الحمقاء، لأنها كانت بدون دراسة ووعي وجمع المعلومات، وعدم إتخاذها بهدوء، لأن القرارات كانت مجرد ردود أفعال لكل ما يجري على الساحة، سواء في الداخل أو الخارج، وكانت القرارات تتخذ بسطحية وبدون جدية، وأعفت المواطن المصري من المشاركة السياسية، ومن تحمل المسئولية، وأجبرته على أن يطيعها ويكون كما تريد له أن يكون، وليس له شأن بأمور الحكم والسياسة..

وعن رأيه في «عبد الناصر» يقول:

«عبد الناصر» لعب دوراً مهماً في حياة مصر والمنطقة العربية والأفريقية، ولكنه يؤخذ عليه انه لم يكن منتبهاً بوجود قوى اخرى لن تمكنه من تحقيق أحلامه، ويذكر في ابريل ١٩٦٧ كان «لويس» في اليونان وتقابل مع الرئيس اليوناني « اندرياس باباندريو» عن طريق «محمود مرتضى» القنصل العام هناك، واجرى معه حوار.. وقال «اندرياس» ارجو أن تكتب أن مصر معرضة لضربة عسكرية مؤكدة هذا العام، لأنها اصبحت تمثل إنطلاقة مهمة للدول النامية، ولهذا فالضربة مؤكدة، وقد تم نشر هذا الحوارفي ٢٩ ابريل ١٩٦٧، بل وجد من قال: أن الضربة ستكون يوم ٥ يونيه تحديداً، ولكن «عبد الناصر لم يكن يستمع لأحد، لأنه اصبح الديكتاتور الأول وأحكم قبضته على حكم البلاد ورقاب العباد.

عصر السادات ..




بدأ «لويس جريس» عصر الرئيس «السادات» هارباً إلى امريكا منذ ١٩٧١ وحتى ١٩٧٢ إعتقاداً منه أن «السادات» سينكل بالناصريين، مع أن «لويس» لم يكن ناصرياً إلا انه في الفترة بين ١٩٥٩ منذ مجيئه من امريكا وحتى وفاة «عبد الناصر» كان ضمن صفوف التنظيم الطليعي الخاص بالصحافة، وكان معه عدد من العمال والسيدات، دون اي رابط فكري أو ثقافي بينهم، ولكن تم إختيارهم لتكوين ما سميت بلجنة العشرين في الإتحاد الإشتراكي، وكانت اجتماعاتهم دورية.. ويرجع «لويس» إنضمامه إلى الإتحاد الإشتراكي إلى استاذه «أحمد بهاء الدين»، الذي سأل عن عدم إنضمام «لويس» إلى الإتحاد الإشتراكي ؟

فقيل له: لانه عميل امريكاني (!!) .

فقال : لا «لويس» رجل وطني .. وقال لـ «لويس» سيتصل بك «حسن فؤاد» ووافق على ما يطلبه منك بالإنضمام إلى الإتحاد الإشتراكي، وتحلف اليمين بالولاء لـ«عبد الناصر» .

وبالفعل..

أنضم «لويس» إلى الإتحاد الإشتراكي، وأقسم يمين الولاء بانه قال : أقسم بالله العظيم أن أحمي هذا الوطن وأن أرعى مصالحه وأن أقدر قيادته..

وكانت فكرة التنظيم الطليعي، هى الإبلاغ عن اي شيئ يعرفونه أو يرونه أو يسمعونه، من أي شخص في اي موقف او إجتماع أو لقاء حدث أمامهم، وبدأ كل واحد مغتاظ من احد يكتب فيه تقارير كاذبة قد تفصله من عمله او تلحق به إلى السجون والمعتقلات .. ولو حدث لقاء مكون من (٤) افراد مثلاً فالكل يكتب مادار في اللقاء، خشية أن الآخرين سيكتبون وحينها سينكشف أمره، انه لم يكتب تقريره ويقدمه.. ومن هنا بدأ عصر الوشايات وظهرت مقولات (الحيطان لها وادان) وأصبح عدد كبير من الشعب يتلاسن، ويتحدث خفية عن الكوارث والفساد والأهوال التي يسمع عنها، وكان الناس يفاجئون بالقبض على زميلهم او صديقهم أو قريبهم، وإختفائه أو بفصله من عمله نتيجة وشاية كاذبة أو رواية صادقة، ومن خلال هذه التقارير إشتهر عن «لويس جريس» انه عميل أمريكاني، بما انه خريج الجامعة الأمريكية، وسافر فى بعثة تعليمية إلى أمريكا .

وبالطبع كرئيس لجنة العشرين يقول كاتبنا الكبير انه كان يصدر التقارير، وقد تغيرت رئاسة اللجنة بينه وبين «عبد الله إمام» وبين احد العمال، ولكن كان «أحمد حمروش»يرأسهم جميعاً، وان جميع التقارير كانت تصب لدى «محمود امين العالم» وهو الذي كان يصنفها..ويقول «لويس»: كانت توجد بعض التقارير المضحكة، وكانت اشهر التهم هى وصف الناس بالرجعية، كما حدث مع مدير عام الإشتراكات في «روزاليوسف» ولكن «لويس» دافع عنه بأنه لا يفهم في الإشتراكيه ولا الرجعية، وهذه الشهادة هى التي انقذته من مصائب كثيرة أقلها كان سيتم رفده من وظيفته ويتم تشريده.

ولهذا ..

سافر«لويس» إلى أمريكا هارباً، لأنه إعتقد في نفسه أن «السادات» يعرف

الناصريين، ولا بد لـه أن يـتخلص مـنهم لأنهـم كـانوا يناوؤنـه الحكـم، وسـوف يعتبرون «لويس» من الناصريين، وبالطبع خاف مـن الإعتقـال او الحـبس، وأسـر بهذا السر إلى «سناء جميل» زوجته وانه سوف يسافر ويحاول أن يرسل اليها لتلحـق به، واعتقد انه لم يعد لهما مستقبل في مصر بعد مجيئ «السادات» رئيساً، وبالفعـل سافر «لويس»، وكتب عن «هنري كسينجر» و«مكاريوس» على إعتبار انـه مراسـل مجلة «صباح الخير» و«روزاليوسف»، من الأمم المتحدة، أي انه هـرب في رحلـة عمل، وكان شقيقه «مفيد» يحصل عـلى راتبـه أول كـل شـهر ويعطيـه إلى «سـناء» زوجته. وخلال هذه الرحلة التي تعتبر الرحلة الثانية له إلى امريكا، شـعر صـاحب الذكريات بوجود وجهة نظر امريكية مغايرة تجاه مصر، خاصة بعـد هزيمـة يونيـة ١٩٦٧، فلم تصبح النظرة الأمريكية إلى مصر كما هى، وأصبحت بدون الهالة التي كانت لدى الأمريكان تجاه مصر، من انهـا أصـل الحضـارة وام الـدنيا.. واصـبح الأمريكان يرون مصر دولة عادية وبدون ميزة، واللـوبي الصـهيوني كـان لـه دوراً مؤثراً وكبيراً في تغيير هذه النظرة، من خلال تحكمهم في وسائل الإعلام، ومراكـز البحوث والدراسات.

ثم بدأت ....

فكرة العودة إلى مصر تراود «لويس جريس» في عام ١٩٧٢ بعد ما إطمئن عـلى الأمور، وبعد أن قام «السادات» بهـدم السـجن الحربـي المرعـب، وقـام بإلغـاء الرقابة، ولم يتخذ خطوات سياسية إنتقامية تنكل بالناصريين، ولم يتخـذ إجـراءات تعسـفية ضـدهم، وكـان «عبـد الـرحمن الشـرقاوي» تـولى رئاسـة مجلـس إدارة «روزاليوسف»، وارسل «لويس» له برقية تهنئة، وايضا تـم تعيـين الـدكتور «أحمـد كمال ابو المجد» وزيراً للإعلام وكان على صلة جيدة به، ومن المقربين اليه، فهدأ وإطمأنت روحه إلى المجيئ إلى مصر، وبالفعـل عـاد ولم يحـدث مـا يعكـر صـفو حياته، سواء كان مراقبة أو متابعة او ملاحقة او تضييق، وتـنفس الشـعب الحريـة،

وآمنوا على انفسهم واولادهم واموالهم، وانتهت الملاحقات والإعتقالات، وزوار الفجر..

وبدأ الجميع يتسائل متى المعركة؟؟ وكيف؟

وهل الرئيس بالفعل جاداً في دخول المعركة لتحرير سيناء؟ ، ولم يكن احد يصدق أن الرئيس سيحارب، أو أن الدولة تستعد وتتجه للحرب، مع انهم كانوا ينشرون الأخبار التي تؤكد الإستعداد للدخول إلى المعركة، ولكنهم لم يصدقوها، وكانوا يعتقدون انها مجرد كلام للإستهلاك الداخلي وتهدئة الرأي العام الذي بدأ يغلي ويخرج في المظاهرات التي تطالب بالحرب، وكان على إستعداد لتقديم الغالي والنفيس في سبيل المعركة .

ولكنه يقول: الحقيقة أن «السادات»، تعرض للكثير من الهجوم الظالم، والتجرأ على شخصه وعلى سياساته حياً بحجة عدم الإستعداد للمعركة، أو انه لا يسير على نهج «عبد الناصر» ، وميتاً بحجة انه فرط في السلام.. حيث إختلفت وجهات النظر حول «السادات» فرأينا من لم يحبه وهؤلاء بالطبع لن ينصفونه في اي سياسة أو قرار، لأن هؤلاء يحبون «عبد الناصر» وولائهم مستمر له، ولم يكن الولاء لمصر، ولهذا لم يعترفون بـ«السادات» خاصة انه قال في بداية حكمه: انه سوف يسير على خطوات «عبد الناصر»، وهو بالفعل سار عليها ولكن بأستيكة، ولهذا نجح وإنتصر وأعاد الأرض وتنفس الشعب في عهده نسائم الحرية ..ويوجد من يحب «السادات» لأنه استعد للمعركة وحارب وانتصر واسترد الكرامة المصرية والعربية، ويؤكد «لويس» انه من هؤلاء الذين يميلون إلى تأييد الخطوات التي كان يخطوها «السادات»، بل انه انحاز إلى السياسات التي كان ينتهجها، لأنه يرى خطوات وسياسات عملية بعيدة عن الدخول في مغامرات غير محسوبة، أو مهاترات سياسية، أو خطب حنجورية أو معارك عنترية، بل كانت سياسات تقود مصر إلى التنمية ومحو آثار العدوان ، وقد كان .

وعليه....

أستطاع «السادات» أن يعبر بالأمة في أكتوبر ١٩٧٣ من الهزيمة إلى النصر، وحقق نصراً ما كان يمكن أن يتم لولا إيمانه الكامل بانه قادر بالقوات المسلحة على هذا العبور، بعد أن درب الجيش جنوده وإستعد إستعداداً كاملاً للتضحية من اجل المعركة، و«السادات» قاد خطة الخداع الإستراتيجي، مع أن حرب الإستنزاف بدأت في عصر «عبد الناصر» الا أن «السادات» لم يوقفها من خلال إستمرار التدريبات العسكرية، وإعداد الخطط وتوفير ما أمكن توفيره من المعدات والأسلحة، والحقيقة أن الجيش المصري فاجأ العالم بعبور قناة السويس، وإقتحام خط بارليف، الذي قالوا عنه: انه اقوى من خط «ماجنو» ولكن «السادات» قدم مفاجآت تنبئ على انه لم يكن يوجد احد مهما كان يستطلع الحقائق، أو يقرأ الأحداث ويتنبأ بما يحدث، كان يستطيع القول أن «السادات» سيحارب، ولكن النتيجة أن مصر استردت كامل أراضيها، وهذا كان الدليل الدامغ على الإنتصار، وهو الإنتصار الوحيد الذي تم لمصر وللعرب على إسرائيل، وباقي الدول لم تساند «السادات» في مواقفه بعد الحرب ولم تحصل على باقي أراضيها المحتلة.

ويضحك «لويس» قائلاً:..........

مع أن «السادات» كان قريباً من عدد كبير من الصحفين منهم «أحمد بهاء الدين» و«إحسان عبد القدوس» و«عبد الرحمن الشرقاوي» و«موسى صبري» و «جلال الدين الحمامصي» و «انيس منصور» حيث كان «السادات» أبسط ضابط في تنظيم الضباط الأحرار، بل كان أبسط رئيس جمهورية وأكثرهم تواضعاً، حيث كان يتباسط ويستمع للجميع بكل تواضع وأمتنان، إلا أن «أحمد بهاء الدين» هاجمه في أزمة يناير ١٩٧٧ ، وبعد وفاته في كتابه «السادات الحقيقة والأسطورة» لأنه كان يعمل في الخليج وأنحاز لوجهة نظرهم.

ويذكر أيضاً وجود بعض المحاولات لتنحيته من منصبه كرئيس تحرير لمجلة «صباح الخير» وتعيين «فتحي غانم» بدلاً منه، فأخبر «عبد الرحمن الشرقاوي» لصداقته وقربه من «السادات»، ولمعرفته أن الرئيس لا يرتاح كثيراً إلى «فتحي غانم» لأنه كان يميل إلى «علي صبري»، وكان «منصور حسن» وزير الإعلام والثقافة حينها هو الذي إختار «فتحي غانم» فأخبر «الشرقاوي» الرئيس ، وعندما عرض «منصور حسن» الأسماء على «السادات» .. قال: فين «لويس جريس» يا «منصور»؟..

فقال : موجود يا فندم .. وهذا ما حكاه له «محمود المراغي» الذي كان قريباً من «منصور حسن» .

وينفي «لويس جريس».....

انه غضب عندما قال الرئيس «السادات : انه رئيس مسلم لدولة مسلمة، قائلاً : انه يحب «السادات» ويعلم أن المسيحيين مصريون يعيشون في دولة مسلمة، ولكن السؤال المطروح دائماً والذي يجيب عنه كثيراً في هذا الشأن، وهو كيف يعيش المسيحي في مجتمع مسلم في مصر ؟ .. وخلص إلى أن المسيحيين والمسلمين في مصر يختلفون عن غيرهم في جميع انحاء العالم، لأنهم نسيج واحد بالفعل، ولهذا لايستطيع احد أن يقول هذا مسلم، وهذا مسيحي لأنهم جميعاً مصريون.. ويضرب لنا المثل والقدوة في هذا الأمر من خلال تعامل العالم الخارجي أو العربي مع المصريين، حيث يتعاملون مع المسلم والمسيحي كمصريين، ويؤكد أن نظرة الخارج لشعب مصر هى نظرة سليمة وجيدة لأننا جميعاً مصريون سواء كنا مسلمين او مسيحيين .

ويستشهد بمقولة الشيخ «أحمد حسن الباقوري» وزير الأوقاف الأسبق عندما قال: مصر نسيج واحد يضم المسيحيين والمسلمين ومنهم من هو قبطي مسلم، ومنهم من هو قبطي مسيحي، لأن القبطية ليست دين ولكنها جنسية للمصريين،

ولأن المسيحيين في مصر عددهم غير قليل ويعيشون في دولة شعارها الدين لله والوطن للجميع، ولهذا «لويس» يعرف أن «السادات» عندما قال هذه المقولة، فقد كان يقرر حقيقة، ولم يكن يغازل التيارات الدينية كما روج الكثيرون، لأنه بالفعل هو رئيس مسلم يرأس دولة مسلمة .

وعن الفتن...

يقول صاحب الذكريات كانت متواجدة في عصر «عبد الناصر» مع بداية تهميش المسيحيين، و للأسف تم إشتعالها في عهد «السادات» الذي إختزلها بأن بعض الجيران ألقوا على غسيل جيرانهم مياه «وسخة»، وحدثت مشاجرة، وحاول أن يهيفها ويبسطها وهى لم تكن كذلك، لأنها كانت فتنة طائفية بالفعل، وكان يوجد من يغذيها ويشعللها، والمجتمع نفسه كان يحرم المسيحيين من مناصب كثيرة ولم نكن نرى مسيحي ناظر مدرسة ثانوي او مدير جامعة، او في منصب إداري مرموق وكانوا لا يعينون المسيحيين فيها بحجة كاذبة، وهى انهم ليسوا اهلاً للثقة !! خاصة بعد توحش التيارات الدينية، وتعاون «السادات» مع جماعة الإخوان بعد ما أخرجهم من السجون والمعتقلات، فقتلوه وكأنه ربى الذئب ليقتله، ولكنه لم يكن يتوقع أن يكون «عمر التلمساني» مرشد جماعة الإخوان احد المعاول التي تهدم، ولم يفكر في أن جماعة الإخوان تسعى إلى تأجيج الفتن الطائفية في مصر بعد أن حررهم من السجون وسمح لهم بحرية العمل العام والخاص، والغى الملاحقات الأمنية بشأنهم وسمح لهم بحرية السفر والترحال.. ولكن هكذا هم الإخوان لا ينظرون إلا إلى مصالح جماعتهم الضيقة، ولا ينفذون إلا أوامر قاداتهم بمبدأ السمع والطاعة.

وأيضاً ظهرت ..

الأزمات الإقتصادية في عصر «السادات» ويقول «لويس» مع أن الشعب كان يتحمل مثل هذه الأزمات في عصر «عبد الناصر»، لكن بعد إنتصار أكتوبر شعر الشعب المصري بإنتعاشة إقتصادية نتيجة تحول اقتصاد المعركة إلى التنمية،

وأيضاً لإزدياد الهجرة إلى دول الخليج، وتدفق التحويلات النقدية التي أسهمت في الإنتعاش الإقتصادي، ولكن تطلع الشعب إلى المزيد من هذا الإنتعاش، بعد معاناة طويلة من الحرمان الإقتصادي، وتطبيق سياسة شد الحزام، خرجت المظاهرات ترفع الشعارات وتهتف «سيد بيه .. يا سيد بيه.. كيلو اللحمة بقى بجنيه» وكانوا يقصدون «سيد مرعي» وزير الزراعة وصهر الرئيس «السادات»، بعد أن ضاق الشعب بسياسية الإنفتاح الإقتصادي، ولهذا يتفق كاتبنا الكبير مع مقولة إستاذه «أحمد بهاء الدين» التي تقول : أن الإنفتاح كان سداح مداح، لانه لم يكن بدون ضابط ولا رابط ، وبدون قواعد تحافظ على محدودي الدخل، بل كان نوع من انواع الإنفلات الإقتصادي أكثر منه إنفتاح، بسبب إنفلات الإقتصاديين أنفسهم وطمعهم وجشعهم، مما ادى إلى تلك الأزمة الخانقة، ثم الإنتفاضة الشعبية في ١٨، ١٩ يناير والتي وصفها الشعب بإنتفاضة الخبز ، ولكن أطلق عليها الرئيس «السادات» إنتفاضة الحرامية، معتقداً أن الشيوعيين هم الذين اشعلوا هذه الإنتفاضة، ومع هذا يؤكد «لويس جريس» أن «السادات» هو الذي أطفأ هذه الإنتفاضة، وقد نشروا في «روزاليوسف» مقال لـ«صلاح حافظ» يقول: الحكومة أشعلت الحريق و«السادات» أطفأها .. وكان هذا وصف حقيقي للأزمة التي إنتهت بعودة الأسعار لما كانت عليه قبل الأزمة.

إستدعاء رئاسي...

جاء إلى «لويس جريس» ليلة ٤ سبتمبر ١٩٨١ حيث كان في الأسكندرية، وقالوا له يوجد إجتماع رئاسي مع رؤساء التحرير، وكان الرئيس «السادات» أصدر قراره الشهير بإعتقال أكثر من ألف من الشخصيات العامة المعارضة له، وتم الإجتماع في منزل «السادات» بجوار الشيراتون بالجيزة ..

ويذكر صاحب الذكريات : أن الرئيس كان يوجه معظم كلامه إلى «موسى صبري» ويقول : هل يرضيك يا «موسى» أن «هيكل» يفعل كذا.. وكذا ؟ ، وكان

هيكل يهاجم الرئيس «السادات» في جريدة «الإتحاد» بأبو ظبي، وبالطبع كان «موسى» يرد لا ياريس، ثم يقول «السادات» مرة اخرى، هل يرضيك يا «موسى» أن البابا «شنودة» يفعل كذا.. وكذا ؟ ويقول «موسى» لا.. يا ريس ، ويقول الرئيس وهل يرضيك يا «موسى» أن يحدث كذا وكذا من «فؤاد سراج الدين» ؟، ويقول كاتبنا الكبير بالطبع كان «السادات» يختار الأمور التي تجعل «موسى صبري» يقول عنها انها لا ترضيه .

ثم جاء اليهم كشف بأسماء المعتقلين، وتم نشره في الصحف والمجلات، ولكن البابا «شنودة» لم يتم إعتقاله وإعتكف في دير «وادي النطرون» .. ويؤكد أن الإعتقال مع انه إعتقال مرفوض، ولا يوافق عليه إلا انه كان إعتقال مهذب، حيث كان مسموح لـ«هيكل» بأن يستقبل ما يريد من خارج السجن، هو والدكتور «ميلاد حنا»، وأي فرد أخر من المعتقلين سواء طعام او شراب، ويقول «لويس» بدون شك لقد تم الترويج لهذه القرارات على انها قرارات ثورية، ويضحك عالياً ويقول: طبعاً دا كان أيامها.

ومع هذا ...

يرى «لويس جريس» أن الرئيس «السادات» رجل لم يجود بمثله الزمان، من قبل ولا بعد، ويعتبره سياسي من طراز فريد، لانه كان في منتهى الذكاء الشخصي والإجتماعي، وداهية كبير في عالم السياسة، بل يصفه بانه كان من أعظم السياسيين في العالم، لانه كان يتمتع بالرؤية الجيدة ومتنبئ جيد لردود افعال الغير، وصاحب فكر بعيد يسبق عصره، وبطل الحرب والسلام قولاً وفعلاً... ولكن مع كل هذه الصفات ، في اخر عصره لم يكن مسيطراً على الأمور بسبب الفتن والدسائس والمؤامرات، من الداخل والخارج ، وتم إغتياله بواسطة عناصر متطرفة من الجماعات الدينية .

عصر مبارك وعائلته..





جاء عصر «مبارك» بإنفراجة سياسية كما يقول «لويس جريس»، لأنه افرج عن المعتقلين الذين تم إعتقالهم، قبل إغتيال الرئيس «السادات»، ورغم أن «مبارك» لم يكن له خلفية سياسية أو رؤية إستراتيجية لإدارة مصر، إلا أن الشعب إستقبل حكمه بإرتياح، بما انه من قادة نصر اكتوبر، وسارت الأحداث هادئة وبشكل مريح، وبدأت مصر تستعيد باقي سيناء حسب معاهدة السلام التي أبرمها «السادات»، ثم عادت العلاقات مع الدول العربية التي كانت مقاطعة لمصر، وبدأ تصالح تام بين نظام «مبارك» وبين الجماعات الدينية، السلفية والإخوانية .. وأيضاً كان «مبارك» لطيفاً مع المسيحيين، وأصبح له سياسات تسعدهم، حيث كان يرسل كبير الياوران مندوباً عنه لتهنئتهم في أعيادهم..

ومع هذا يؤكد كاتبنا الكبير: أن الفتنة الطائفية في عهد «مبارك» كانت مطلوبة أحياناً كثيرة للتغطية على أمور أخرى كان يقوم بها النظام، مثل تزوير الإنتخابات، أو غلاء الأسعار، أو قضايا الفساد، ولهذا كان يتم تدبير بعض الحوادث ضد المسيحيين، حتى يتحول الرأي العام عن الإهتمام بالحدث، وينغمس في الفتنة الطائفية..

ويستشهد صاحب الذكريات بما حدث في ٢٠١٠، عندما كان الشعب مهموماً بتزوير الإنتخابات البرلمانية الفاضحة، وشكلت القوى المعارضة البرلمان الموازي، وبالطبع كان سيتم فضح حكومة «مبارك» ونظامه امام العالم، وخرج «مبارك» متهكماً عليهم قائلاً: خليهم يتسلوا، ولكنهم إكتشفوا أن التسلية ستنقلب عليهم، وتأكدوا انهم لن يتسلوا بل سيفضحونهم، وتكون فضيحتهم بجلاجل، فنصح الناصحون بأنه لا مفر من الفتنة الطائفية، وتم تفجير كنيسة «القديسين» وبالفعل إنقلب الرأي العام وإنشغل بهذا التفجير.. وبعد ٢٥ يناير ثبت أن نظام «مبارك» كان يستخدم كل الوسائل غير الأخلاقية لتحقيق أهدافه وتمرير سياساته.

ويقول «لويس»: كان يوجد حرباً إعلامية بين نظام «مبارك» وبين أقباط المهجر، حيث كان يصفهم بالمشكوك في وطنيتهم وذمتهم، بحجة حصولهم على جنسية مزدوجة، وكانوا يقفون في مظاهرات مصطنعة ضد «مبارك» خلال زياراته إلى امريكا، وأحياناً كانت السفارة نفسها تحرك بعضهم ليخرجوا حتى يقولوا أمراً ما، ويرفعوا شعارات المواطنة.

وعن علاقة «لويس» الشخصية ....

بـ«مبارك» يقول: انها بدأت عندما تم دعوته لحضور حفل تخرج «جمال مبارك» من الجامعة الأمريكية، حيث كان «لويس» جالساً في الصفوف الأولى، وعندما نزل «مبارك» من فوق المنصة وجده أمامه فسلم عليه وسأله : ماذا تفعل هنا ؟

لويس : أنا خريج هذه الجامعة . (وبدأ التقارب الشخصي).

ولكن في بداية عهد «مبارك»، كان «محمود السعدني» الكاتب الصحفي الكبير عائداً من «لندن»، وكان رئيس تحرير مجلة «صباح الخير» مع «لويس» منذ ١٩٦٨ وحتى إعتقاله مع مراكز القوى في ١٩٧١، ثم أفرج عنه «السادات» عام ١٩٧٤، وغادر إلى «لندن» طوال عهد «السادات»، ومع عودته خلال حكم «مبارك»، أراد أن يعود رئيس تحرير كما كان مع «لويس جريس»، ولكن «مبارك» رفض وقال:

سيبقى «لويس جريس» رئيس تحرير بمفرده، بل خاطبه تليفونياً وقال : يا لويس ستظل رئيس تحرير «صباح الخير»، و«السعدني» طلب عودته وأنا قلت لاء، ومسموح له بالكتابة فقط، وليس برئاسة التحرير .

ويقول كاتبنا الكبير : وبالفعل عاد «محمود السعدني» كاتباً في «صباح الخير»، وذات يوم كتب مقالاً ساخراً بعنوان المهزوز، قاصداً بها «كمال الشاذلي» الذي إشتكى لـ«مبارك» من المقالة، وكان يريد أن يعزل «لويس» من رئاسة التحرير، وإذا بالرئيس «مبارك» يطلبه في المنزل، وأيقظته «سناء جميل» من النوم قائلة كلم الريس .. (وحينها إعتقد لويس انه عبد الرحمن الشرقاوي رئيس مجلس إدارة روزاليوسف) .

فقال : نعم ياريس .

مبارك : إيه اللي انت مهببه دا ؟

لويس : خير يا ريس ؟

مبارك: إزاي تنشر لـ«السعدني» مقال يقول مفيش ديمقراطية، ولا حرية صحافة حتى في عهد «مبارك» ؟

لويس : ليه يا فندم بتقول كده ؟

مبارك : هى المجلة مش قصادك؟ ولا انت ما بتقراش اللي بينشر فيها ؟

لويس : (بعد ما تأكد انه مبارك) انا لسه صاحي من النوم وقالوا الريس عاوزك، وإعتقدت انه «عبد الرحمن الشرقاوي» وليس سيادتك .

مبارك : أصحى وقوم قول لي : إزاي مفيش حرية صحافة في عهدي ؟ .. هل حد إتصل بيك ، وطلب منك إيه اللي ينشر وإيه اللي لا ينشر ؟ .. أو طلب منك حذف أي شيئ ؟

لويس : ياريس «محمود» أعطاني المقال وسألني، هل سيأتي إلى احد من

الرقابة ويطلب مني المقال ليراه؟..

فقلت له: ليس لدينا رقابة، وهات المقال وسنقوم بنشره، ولهذا لم أقرأ المقال.

مبارك : خلاص خد بالك، انت المسؤول أمامي عن كل ما ينشر، ولابد أن تقرأ كل شيئ وتحدد ما ينشر وما لا ينشر..

ولهذا يؤكد «لويس» بأن هذا ما جعل الرقابة خلال عهد «مبارك» رقابة ذاتية من رؤساء التحرير انفسهم، بعيداً عن الأجهزة الرقابية، لأن رؤساء التحرير أصبحوا مسؤولين امام الرئيس مباشرة عن كل ما ينشر في صحفهم ومجلاتهم.

وعن زيارات «مبارك» الخارجية ....

التي كان يسافر «لويس» خلالها، ولم يكن احد يعرف شيئ عنها، كما يقول صاحب الذكريات : لانه إكتشف عدم وجود أي تدوين لأي من هذه اللقاءات التي تمت في الخارج، وهذا يدل على انهم كانوا يسافرون مع «مبارك» ويتحدثون، ولا يتم متابعة ما كان يتم الإتفاق عليه مع قادة الدول، لانهم كانوا يتركون رجال الأعمال الذين كان يصطحبهم «مبارك» لتنفيذ اعمالهم الخاصة، وليس تنفيذ الأعمال التي دارت حولها المحادثات، وهذا كان سبب إلغاء صفقة اللحوم الإثيوبية التي إتفقت عليها مصر بـ١٠٠ مليون دولار عام ٢٠٠٤، لمواجهة الغلاء المستمر في سعر اللحوم..

ويقول «لويس»: بالطبع تم إلغاؤها بنفوذ رجال الأعمال المستفيدين من عدم إتمامها، وهذا كان أمر خطير لأن الدولة كانت بدون ذاكرة في عهد «مبارك» ..

معللاً ذلك بأن معظم رجال الأعمال كانوا فاسدون، خاصة بعد ما إنضم «علاء وجمال» إلى زمرة رجال الأعمال، فلم يكن يوجد رجل أعمال يستطيع أن يعقد صفقة في مصر أو أن يبدأ مشروعاً إلا إذا كان «علاء» أو «جمال» شريكاً معه..

ويضحك كاتبنا الكبير قائلاً: يبدو أن قرب «مبارك» من دول الخليج وصداقته المتينة لهم جعلته ينقل فكرة «الكفيل» إلى الإستثمارات المصرية، ومن كان يريد أن

ينشئ إستثماراً في مصر، كان عليه أن يجد «الكفيل» في «علاء» او« جمال»، وإلا لما كان إحتكر «أحمد عز» حديد الدخيلة لولا أن مكنه «جمال» من هذا، وأيضاً ما كانت لترتفع اسهم البورصة أو تتدهور إلا برأي من «علاء» أو «جمال» او بمشاركة من «أحمد عز».

بل يرجع «لويس جريس» معاناة مصر من المشاكل والأزمات، إلى الإستهتار والتدهور والإنفلات القومي في إدارة شؤون مصر، ويتساءل: كيف يمكن لرئيس دولة أن يجري مباحثات دون أن تسجل نقاط التلاقي والإختلاف لمتابعتها ؟

ويجيب : لان نظام «مبارك» كان يترك المفاوضات لرجال الأعمال لإتمام الصفقات، وبالطبع كانت تتم لصالحهم وليس لصالح البلاد .

ويذيع سراً...

ويقول : هذا السر حكاه له الراحل الدكتور «اسامه الباز» مستشار «مبارك» السياسي ومدير مكتبه.. بانه فكر في بداية حكم الرئيس «مبارك»، أن يحيطه ببعض المفكرين المهمومين بالشأن الوطني، وإختار له «أحمد بهاء الدين» والدكتور «لويس عوض» و«محمود عبد المنعم مراد» والدكتور «عبد العظيم رمضان»، على أن يستضيف «مبارك» هؤلاء القمم في لقاء إسبوعي ويقول : هذه اللقاءات إستمرت لمدة شهر واحد فقط، وبعد ذلك أبلغه «مبارك» بانه بلاش «أحمد بهاء الدين» وبعد إسبوع بلاش الدكتور «لويس عوض» والإسبوع الثالث بلاش «محمود عبد المنعم مراد» وإستمر فقط الدكتور «عبد العظيم رمضان» لأنه كانت له حكايات طريفة من وجهة نظر «مبارك» عن الأحزاب السياسية، وخاصة حزب الوفد، الذي كان «مبارك» يكرهه ويرويها الدكتور «عبد العظيم رمضان» بإسلوبه الفكاهي، وكانت تسعد «مبارك» الذي لم يستطيع تحمل المفكرين السياسيين، الذين يتحدثون عن الديموقراطية، وعن دولة المؤسسات، ويحملون هموم الوطن فأبعدهم «مبارك» بعيداً عنه ليتحول إلى فرعون يريد أن يورث حكمه إلى نجله «جمال»..

والذي كان ظهوره على الساحة مفاجأة للجميع، لانه تصدر المشهد بعد أن دخلت مصر عصراً جديداً في ثورة المعلومات، وتلقف «جمال» هذا المنتج وقام بما يسمى ثورة الفكر الجديد بالحزب الوطني، وبدأ ينحي جانباً بعض الوجوه القديمة التي مل منها الشعب مللاً شديداً، وبدأ جولاته في الجامعات المصرية متحدثاً عن المستقبل، من خلال دورات تدريبية أقامها في كل مكان، وقدمت لشباب مصر تكنولوجيا حديثة ليتصلوا بالعالم من خلال الأنترنت، وبالفعل إلتف حوله الكثير من الشباب، ولكنه خانهم عندما تركهم وإنضم إلى صفوف رجال الأعمال، ثم إعتمد إعتماداً كبيراً على الدولة البوليسية، وأصبح النظام يفكر بأفق ضيق ولم يرى مصالح الناس، وآمن «جمال مبارك» بفكر «البودي جاردات»، وتشديد الحراسات، التي نشاهدها في الأفلام السينمائية، مما كلف ميزانية الدولة نفقات بالمليارات، تحملها الشعب وقد وصلت إلى (١١) مليار جنيه لوزارة الداخلية في حينها، لحفظ سلامة وامن النظام الذي تمثل وتجسد في شخص «مبارك» وعائلته فقط لا غير.

ومع هذا ...

لم يستطيع الأمن أن يحميه، وفرض عليه شباب ثورة يناير التنحي الذي لم يتوقعه صاحب الذكريات، لانه يعلم علم اليقين مدى عناد «مبارك»، وقوة الدولة البوليسية وشراستها في الحفاظ عليه وعلى نظامه.. وضحك كثيراً عندما تذكر تصريح «حبيب العادلي» وزير داخلية «مبارك» عند إستجوابه ووصفه لأعضاء حكومة «أحمد نظيف» انهم كانوا يشاهدون مظاهرات ٢٥ يناير من خلال التليفزيون، شأنهم شأن العواجيز ، وهذا يدل على انه كان نظاماً هشاً سقط امام إصرار الشباب وعزيمتهم، عندما طالبوا بإسقاط النظام، ولهذا فإن «لويس» لديه يقين أن الله لم يفضح احداً بهذه الصورة كما فضح «مبارك» واسرته، وهذا دليل على خطأه وتجبره وإستبداده وفساده ففضحه الله في الدنيا، بعد أن غذى نظامه بالفهلوة والإنتهازية التي كرسهما، والسماح بتمكين رجال الأعمال من ثروات مصر،

وتأسيسه نظاماً فاسداً بل فريداً في الفساد والإفساد، لأنه وضع السلطة في يد رأس المال، وجعل رجال الأعمال مسيطرون على مقدرات الشعب ..

ويقول «لويس» لو نظرنا إلى بر مصر سواء حول نهر النيل، أو على الظهير الصحراوي الغربي أو الشرقي، سنرى بسط نفوذ رجال الأعمال على مصر كلها، بالإضافة إلى توحش الدولة البوليسية في عهد «مبارك» وتمكينها من رقاب الناس، لدرجة أن الشعب شعر بالموت وأصبح يعيش في إنتظاره، ولم يكن الشعب يعيش ليفلح الأرض او ليدير مصنعاً، بل كان ينتظر الموت، وكان يحسد الذي يموت منه في عصر «مبارك» ، بسبب توحش النظام بشكل لا يتصوره احد، حيث إنعدمت المواجهة مع السلطة نهائياً، وبشكل مخيف وكأنه لا وجود للحياة على أرض مصر.

ويرجع صاحب الذكريات ....

وبنسبة كبيرة إنحراف «مبارك» إلى بعض معاونيه وأهمهم «زكريا عزمي» و«صفوت الشريف» و«كمال الشاذلي» و«يوسف الولي» لأن هؤلاء كانوا يخططون معه للسياسات، ويضعون الخطط والمؤامرات، بتغييب المعلومات عن الشعب، ومعهم الدكتور «مفيد شهاب» والدكتور«أحمد فتحي سرور» اللذين كانا يقومان بتقيف وتضبيط وتعديل الدستور والقوانين، بما يتناسب مع ما يريده «مبارك»، ولم ينسى بالطبع زوجته «سوزان» وأبنائه «علاء وجمال».. فيقول عن «زكريا عزمي» انه هو الذي كان يحمل اليه المعلومات، ولم يكن يستطيع احد أن يلتقي بـ«مبارك» إلا من خلاله، بل كان يتصرف في أمور «سوزان مبارك» وكل ما يخص «علاء وجمال» ، وكان الفاعل الرئيسي في كل ما إتخذه «مبارك» من قرارات، لانه هو الذي كان يعطيه المعلومات.

وعن «كمال الشاذلي» يقول «لويس» انه كان يختلف إختلافاً كلياً عن «صفوت الشريف»، لانه كان أكثر حدة وصعوبة، ولم يكن يتمتع بالمرونة الكافية التي تجذب اليه الناس.. وايضاً «يوسف والي» الذي لم يكن يتحدث كثيراً، وكان يفضل عدم الدخول في مناقشات مستفيضة، بل كان يلاحظ كثيراً عليه انه نائم في الإجتماعات،

وكنا نعتقد أن هذا نتيجة للإجهاد الشديد أو لكثرة السهر في العمل، أو ربما كان يتعامل دون إهتمام لانه كان يعلم أن مايريدون تنفيذه سيتم دون مشقة أو عناء.

ويؤكد صاحب الذكريات ...

ان من كانوا حول «مبارك» ساعدوا على إفساده، لانه كان بدون خبرة سياسية، فحجبوا عنه المعلومات الحقيقية بما ساعد على تضليله، وهذا لا يعفيه من المسئولية لانه كان يقول: انه بيشاور ويسأل ويستفسر ويتأنى في إتخاذ القرار.. لكن في الفترة الأخيرة ترك «مبارك» زمام الحكم إلى إبنه وزوجته، وهنا حدثت الطامة الكبرى، حيث قام من لا يملك الحنكة السياسية أو التجربة الواعية، بإتخاذ القرارات السياسية الخاطئة بل الكارثية، التي أدت إلى سقوط نظام «مبارك» وعائلته بالكامل ونهائياً، لانه خلال العشرين سنة الأخيرة من حكم «مبارك» كان الهدف تحويل مصر إلى منتجع سياحي، فأغلقت المصانع وشردت العمال، وتهافت رجال الأعمال على الإستحواذ على أراضي الدولة وإقتسامها، ولم يسمع أحد عن إنشاء مصنع واحد، او عن إقامة مشروع قومي، وكان الجميع يعرف أن مصر تصدر المواد الخام، وتم فتح باب الإستيراد لكل شيئ، وإحتكر «أحمد عز» صناعة الحديد، وإتجهت مصر إلى المصانع التي رفضتها أوربا لانها ملوثة للبيئة، مثل مصانع الأسمنت والسيراميك..

وضحك «لويس» وهو يقول: مع أن «مبارك وحكومته كانوا يسعون إلى تنشيط السياحة وإزدهاها، إلا انهم تناسوا انه لابد من إحتفاظ مصر بمناخ وبيئة نظيفتين للمساعدة على تنشيط السياحة، ولم يعلموا أن هذه الصناعات تدمر السياحة..

وإستشهد «لويس» بمقولة الرئيس «عبد الفتاح السيسي» بأن «مبارك» جاب البلد على الأرض.. ويصف «لويس» الرئيس «مبارك» بانه كان مدير عام بدرجة رئيس جمهورية ، ولم يرتقي إلى من سبقوه في الحكم .

٢٥ يناير ...



كان لابد من قيام ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ ، هكذا يقول «لويس جريس» الكاتب الصحفي الكبير، بعد أن جمد نظام «مبارك» الحياة السياسية، وأحبط الشعب المصري وأفشل الإقتصاد وافقر العباد، وإنهارت المنظومة الإجتماعية والأخلاقية التي كان يتميز بها المصريون، وأصبح الفساد والتزوير والتعذيب في السجون، والقبض على الناس بالشبهات، والرشوة والمحسوبية سمة عصر «مبارك»، الذي سعى إلى توريث المصريين لإبنه، فكان التوريث بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير، وأنهت على نظام «مبارك».

ومع هذا ....

يؤكد صاحب الذكريات، انه كان يتخيل عدداً من السيناريوهات السياسية، التي كان يتوقع أن تمر بها مصر خلال عام ٢٠١١، علي أساس انها سنة التوريث، ومرت علي ذاكرته الأحداث السابقة، من تزوير الإنتخابات، وتغيير الوزارات، ووقفات حركتي «كفاية» و«شباب ٦ أبريل»، رجوعاً إلى إنتفاضة يناير ١٩٧٧.. ولكنه لم يخطر علي باله إطلاقاً أن الشعب المصري سيثور، وإنه سيظهر ثوار

يطالبون بإسقاط النظام، فقد كان هذا شيئاً اكبر من الخيال، إلى أن أنهت الثورة علي التوريث، وفضحت الكثير من الفساد، ورأينا رأس الدولة تحاكم، بـل في الحـبس الاحتياطي.. وهذا كان أبعد من خيال أي مواطن يعيش علي ارض مصر.

وعاش الشعب حلمه، في أن تنطلق مصر وتحقق نهضتها، وتتبوأ مكانتها التي تستحقها بين دول العالم، لأنها دولة الحضارة، وصـاحبة التـاريخ المجيـد، والتـي ذكرها الله في كتبه السماوية، التـوراة والإنجيـل والقـرآن، وتـتخلص مـن الفسـاد والإستبداد، وتحقق الديموقراطية والحرية، والمواطنة والعدالة الإجتماعية، ولن تخضع لأية ضغوط خارجية، وهذا ماكان يحلم به المواطن المصري حين أسـقط نظام «مبارك» وأنهى على حلمه بالتوريث.

ولكن بعد عدة أشهر .....

يقول كاتبنا الكبير، تغير المشهد السياسي ممـا جعـل المصـريون يتسـاءلون، مصر رايحة علي فين؟.. وإيه اللي بيجرى في مصر؟.. فلم يعد يوجد ذكرى لمبادئ ثورة ٢٥ يناير.. أو كشف حساب عن الثورة، أو ماذا حققـت مـن أهـدافها، التـي نادت بها؟ من عيش، حرية، عدالة إجتماعية، ولماذا لا يوجد مطلب دائم، بوضـع جدول زمني للمسار، الذي من خلاله يقوم المجلس العسكري بتسليم السلطة إلي رئيس منتخب، وللمجلس البرلماني المنتخب..

وأصبح يوجد تعتيم كامل، حول ما يصدر من قرارات، وتـأخر وجـود خارطـة طريق نسير عليها لتحقيق أهداف ثورة ٢٥ يناير.. وظهرت أمور متشابكة ومعقـدة بفعل الجماعات الدينية، ولم يكن أحداً منتبهاً لها، جعلـت المصـريون يتسـاءلون هل إنتهت الثورة؟، أو أن ما حدث في ٢٥ يناير أصبح ذكري؟.

وإنشغل كثيـر مـن المصـريين في اهتمامـات جديـدة، مثـل تـأليف الأحـزاب والائتلافات، وإختلط الحابل بالنابل، ولم يعد في الإمكان تحديد الثوار من رجـال نظام «مبارك»، وأصبح المصريون في حيرة، لأن بعض الـذين تعـاملوا مـع النظـام

السابق الذي قامت عليه الثورة، أصحاب خبرات لا يمكن إغفالها، ولكنه تم تنحيتهم جانبًا ولم يتم الإستفادة من خبراتهم وطاقاتهم، مع أن المصريين جميعًا لازالوا يتصرفون وينتهجون سلوك وتصرفات النظام القديم. ولم يستطيع الثوار أن يقدموا بديلاً للسلوك أو جديدًا في الفكر المصري، وظلت المناصب يشغلها الذين كانوا يشغلونها من قبل، وقليل من الوجوه المعروفة ذهبت إلي «طرة» والأغلبية من نظام «مبارك» ظلت في المقدمة تقوم بتصريف شئون البلاد والعباد.

ورغم مجيئ...

الدكتور «عصام شرف» من ميدان الثورة رئيساً للوزراء، يقول «لويس جريس»: إلا انه لم يثبت انه رئيس وزراء ثوري، ولم يوجد في وزارته وزيراً ثورياً، ولم تصدر حكومته قراراً وحيداً يمكن أن يصفه أحد بالثورية، ووزرائه جعلوا من الدستور القديم مرجعية لهم، وكل ما كان يجري في مصر في تصريف للأمور، كلها كان محكوم بالنظام الذي أنشأه «عبدالناصر»، وغيره قليلاً «السادات» وثبته «مبارك»، في شكل شخصيات تحكم لحسابه، وبمبدأ واحد يسير عليه الجميع، وهو أن الشعب يتكلم كما يريد، وهم يفعلون ما يريدونه، ولهذا لم يتقدم أحد الصفوف بفكر ثوري، يمكن الدولة من تحقيق المبادئ التي نادت بها الثورة.

فجاء أداء حكومة الدكتور «عصام شرف» غير مشرف، لظروف لم يعلمها احد، ولم يقم هو بتوضيح هذه الظروف، ولم يستطع أن يسجل في تاريخه، أنه رأس الحكومة الانتقالية التي قدمت القرارات الثورية، التي وضعت الأسس السليمة لبناء دولة مصر الجديدة،وشعر المواطن بالتباطؤ والتراخي، مما جعل البعض يدعو الي التظاهر في مليونيات، يطالبون فيها بمطالب فئوية، وان كان يحركها بعض الجماعات الدينية من سلفيين وإخوان، الا انه أمر طبيعي لأن حكومة «شرف» لم تقدم له غير المسكنات، وأثبتت انها لاتملك حلولاً جذرية لحل المشكلات ومواجهة الأزمات، وعزل الفاشلين وظل كل شيء كما هو،

الاحتجاجات مستمرة، وإستغلتها جماعة الإخوان أسوأ إستغلال، لتظهر انها القوة السياسية الوحيدة الفاعلة والمتماسكة، والتي في مقدورها تسيير أمور الدولة، وبالفعل إستطاعت تحقيق نجاحات في الإنتخابات الرئاسية، والإنتخابات البرلمانية، وإن كانت الإنتخابات الرئاسية لازال يدور حولها الكثير من الشبهات التي لم تكشف بعد .

ويرجع صاحب الذكريات عدم وجود مشروع قومي لنهضة مصر، عقب الزخم الثوري لثورة ٢٥ يناير، إلى عدم توافر الإرادة والرؤية لتحقيق الإنجاز، لانه لا ينقصنا الإرادة في التغيير والأفعال، وليست إرادة الأقوال، ووضوح الرؤية والمعلومة، عن طريق مركز المعلومات ودعم القرار، بأن يقدم صورة متكاملة حقيقية عن محافظات مصر، وما تحتاجه للتنمية، حتي لا نظل نسير في ذيل دول العالم المتقدم..

لان ما كان يحدث في مصر لم يتحول وبسرعة الي معلومة تصل الي صانع القرار، الذي في حاجة إلى البحث عن المعلومات، ويطالبون بالدراسات حتي يستطيعوا اتخاذ القرار، وهذا ما تعانيه مصر منذ عهد «عبدالناصر» عندما أنشأ عددًا من ادارات العلاقات العامة، في الوزارات والهيئات، وكانت مهمتها إخفاء العيوب وابراز الانجازات، في تقارير كانوا يطلقون عليها تقارير النجاح، لأنهم لم يكونوا يذكرون فيها المشاكل التي تعترض حياة المواطنين، ولكن استمرت مصر في إخفاء العيوب وإظهار المحاسن..

ولهذا لابد أن الرؤية تبحث عن الحسنات والمساوئ، وتضعها في كفة واحدة حتي يتم اتخاذ القرار المناسب، والوصول الي تحقيق أهداف الثورة ..

والشيء الوحيد الذي كانت تحتاج اليه مصر، هو الارادة لكي تغير أوضاعها، وان تقف الارادة الثورية بجانب أبناء الشعب وليس ضدهم، وتنتصر للبناء ولتصحيح الاخطاء بإعادة الحياة الي المصانع التي أغلقت، وتجديد هوية مصر،

لكي تساهم في تقدم المجتمع الانساني، لأن مصر هي التي قدمت المعرفة للعالم في شتي المجالات .

ولم يغفل «لويس جريس»......

الضغوط الخارجية، ومحاولات التدخلات في الشأن المصري، خلال مرحلة ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١، إلى إرتباط السياسة الدولية بالمصالح، التي تخضع إلى تجارة المعلومات،والتي أصبحت أهم تجارة في العالم، وعلى مصر أن تسأل نفسها كم تنفق للحصول علي المعلومات؟ لأن الكثيريين من السادة المسئولين، يتبرعون بالمعلومات دون الحصول علي مقابل لها، ولا يدركون أنها أصبحت تجارة رابحة، ويضرب مثلاً على هذا، بالوفود الأجنبية التي يلتقي بها المسئولون، ويطلبون بعض المعلومات، ويعطوننا معونة لكي نقيم مشروعاً، ثم يطلبون دراسة اجتماعية، عن المناطق التي سيقام فيها المشروع، ولهذا اصبحت معلوماتنا تهدر مجاناً، واصبحنا نحتاج الي اليقظة الشديدة في معرفة ماذا نريد من العالم؟..

وماذا يريد العالم منا؟

وعن أخطر الملفات...

التي تم اللعب فيها خلال تلك الفترة، يقول صاحب الذكريات: جهات متعددة كانت تلعب في الشأن القبطي، داخلية وخارجية، منها النظام القديم، وهو راكز ومتمركز في مواقع حصينة، في جميع الوزارات، ولديه من يصدر الأوامر، والجهة الاخري«المافيا» التي سمح لها بدخول مصر منذ الانفتاح الاقتصادي، و«المافيا» بالطبع تلعب علي ملعب السياسة الدولية، لانها تخلق التوترات، بما لها من استثمارات هامة جداً في الفنادق، والمطاعم وفي تجارة المخدرات، والبغاء، والسياحة.. وكل هذه المجالات مخترقة من «المافيا» في جميع دول العالم، بالإضافة إلى ما ظهر مؤخراً من جمعيات حقوق الإنسان، أو الجمعيات التنموية،

لأن معظم هذه الجمعيات تعمل لحساب جهات أجنبية، وبالطبع تحركها أجهزة مخابرات الدول التي تمنح العطاءات المالية، لهذه الجمعيات لخدمة أهداف وسياسات الدول المانحة.

هذا بالإضافة إلى جماعات الإسلام السياسي، التي عاشت في الظلام الذي إعتادت عليه، وكان بيئة حاضنة لها نمت وترعرت فيه، ثم خروجها إلى النور وعلى السطح، وهذا كان جديداً عليها لأنها لم تعتاد على العمل في النور والعلانية، لأن هذا النور لا يتم فيه إلا البناء بالشفافية والمصداقية، وسرعة كشف الحقائق، وهم إعتادوا على الهدم والتشويه، والخداع والتدليس والمراوغة، والكذب المستمر، والمتاجرة بكل شيئ وفي كل شيئ، لإكتساب المزيد من التعاطف والتأييد، فعاثت في الأرض حرقاً وقتلاً، وتعذيباً وتشويهاً، حتى مع مجيئ وزارة الكتور «كمال الجنزوري»، تم تحريك المليونيات للمطالب الفئوية، للضغط عليه لإفشاله ثم ظهر تقسيم الأدوار بين الجماعات الدينية، فمنهم من حاصر المحكمة الدستورية العليا، ومنهم من كان يقوم بدور الطرف الثالث الذي كان يقتل ويغتال ويحرق ويدمر.

ولجأ الإسلام السياسي الي الكذب والمراوغة والتدليس، كما حدث في إستفتاء مارس ٢٠١١، عندما قالوا: انهم يريدون إلغاء الشريعة، من أن تكون المصدر الرئيسي للتشريع، وهذا لم يحدث، وهنا ظهرت خطورة الإسلام السياسي الحقيقية بعد ٢٥ يناير، لأن جميع المصريون يرحبون بالمادة الثانية من الدستور، والشريعة الإسلامية قبلها الأقباط في مصر، في المواريث والخلفة، وفي كل القوانين المدنية الموضوعة، مثل الميراث الذي يتشابه فيه المسلم والمسيحي، ولكنها تختلف في العقيدة والزواج.

ومع هذا تم إستغلال احداث ماسبيرو أسوأ إستغلال، مع انها سوء تصرف من جهات لم ترصد الحدث وتحلله، خاصة أن هذه الأحداث لم تحدث فجأة، بل

كانت بترتيب، ولأول مرة يتقدم الاقباط بطلب تصريح من وزارة الداخلية لخروج مظاهرة، وحصلوا علي التصريح بالفعل وخرجت المسيرة من دوران شبرا حتي «القللي»، وحينها بدأ الهرج والمرج وخرج البلطجية، ويعتقد «لويس» أن الأقباط أرادوا أن يكرروا ما حدث بعد حرق كنيسة «أطفيح»، لأنهم عسكروا أمام التليفزيون حتي تم بناء الكنيسة مرة أخري، او ربما الأقباط الذين خرجوا من دوران شبرا كانوا يريدون تحقيق نفس الهدف، وان يبني المجلس العسكري كنيسة «المريناب» التي تم هدمها في قرية «المريناب» بصعيد مصر.

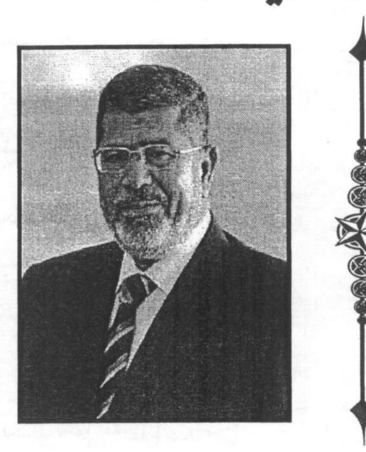
وعن أحداثها يقول كاتبنا الكبير: أن أقرب كنيسة الي قرية «المريناب» للمسيحيين في القرية تبعد (٢كم٢)، وأخري تبعد (٧كم)، فاقترح بعض المسيحيين علي الأسقف أو المطران، أن يبني لهم كنيسة في قريتهم، واشتروا منزلاً، وبدا أن هناك نوعاً من خلط الأوراق في محاولة تقرير الأمر الواقع، وقام البعض ببناء الكنيسة بتراخيص غير حقيقية.. فقام آخرون بإزالة الكنيسة، وهنا يضع «لويس» اللوم علي المسئولين التنفيذيين، لأن زميله «يوسف سيدهم» كتب في جريدة «وطني»، عن هذه المشكلة وشرح الموقف من كنيسة «المريناب»، ونبه الي انها قنبلة موقوتة، لكن يبدو انه لم يجد احداً يقرأ ماكتبه «سيدهم».. وتركت المشكلة قائمة في مركز «إدفو»، ثم تم تصديرها للقاهرة دون أن يتولي محافظ اسوان حلها،حتى يتم إخماد الفتنة قبل إشتعالها .

ورغم هذه الأحداث ....

يبرئ «لويس جريس» المجلس العسكري، من اي تقصير في قيادة البلاد، ويرى انه كان في موقف صعب، لأنه ظلم عندما تولي فجأة قيادة البلاد والعباد ، لأنه بدون تجربة للحكم في الحياة المدنية، ولهذا يجد العذر لقيادته، ولكنه يقول: ولأنه بدون تجربة في الحياة المدنية، كان الأجدر به أن يلجأ الي القيادات الواعية الفاهمة لما كان يحدث في مصر، وان يتداول المشكلات بشكل واضح وصريح،

مع إتخاذ قرارات ثورية تسرع بأداء العمل.. أما الوقوف مكتوف الأيدي أمام ما كان يجري من أحداث، والتراخي في تقديم الذين تسببوا في إفساد الحياة السياسية، والاقتصادية والاجتماعية للمحاكمة.. مما جعل الكثير من الأموال تهرب للخارج.. وكان عليه الجلوس مع حكماء السياسة والعلم، والدراية بشئون مصر للتعرف علي آرائهم ، في ما يجب إتخاذه من قرارات، وللإجابة عن تساؤلات الجماهير، لأن التأخير في العدالة كان ظلم كبير.

عصر «مرسي» وإخوانه..



وصلت جماعة الإخوان إلى السلطة، وأصبح «محمد مرسي» رئيساً للجمهورية، ولكنه في حقيقة الأمر كان مندوب مكتب الإرشاد في قصر الإتحادية.. هذا ما أكده «لويس جريس» عن فترة حكم «مرسي» وإخوانه، ومجيئهم إلى السلطة بعد أن رفض الشعب نصائح المثقفين والمفكرين والباحثين في تاريخ الحركات الإسلامية وتحذيراتهم من خطورة وصول جماعة الإخوان إلى حكم مصر .

ورغم هذا ...

لم يتشكك الشعب في نوايا جماعة الإخوان، في دأبهم وإستماتتهم ومثابراتهم على الوصول إلى السلطة، وكان يعتقد انهم من المسلمين الذين يريدون رفعة شأن الإسلام، ولم يكن يظن انهم يريدون الوصول إلى الحكم لتحقيق اهدافهم الذاتية والوصول إلى الخلافة، ولهذا تركهم الشعب يصلون إلى السلطة.. بعد أن صدق الخطاب الاخواني الذي كانوا يصدرونه قبل الوصول إلى حكم مصر، حيث كانوا يدعون انهم مع الحرية والديموقراطية والمواطنة الكاملة للشعب المصري ومع حقوق المرأة، لكن بعد الإستيلاء على الحكم تغير هذا الخطاب جملة وتفصيلاً،

بل قولاً وفعلاً، ولم يجد الشعب لا حرية ولا ديموقراطية ولا مواطنـة، وأصبحت جماعة الإخوان تضطهد الشعب المصري مـع انهـم كـانوا يروجـون بـأنهم جماعـة مضطهدة على مر العصور، ومع هذا تعالوا على الشعب وصدروا له خطاباً به حـدة وغلظة وعنف في القول والفعل، وهمشوا جميع المصريين المسيحيين والمسـلمين الذين لا ينتمون إلى جماعتهم، وتأكد المصريون أن جماعة الإخوان تسعى إلى أخونة مؤسسات الدولة، بعد أن عانوا من التهميش والإقصاء، وشعر المصريون بمحنـة من نوع جديد، وهو التمييز الذي لم يكن على اساس ديني أو عرقي، بل كان تمييـزاً لصالح جماعة دينية تدعي الدين ، بل ترتكب جميع الجرائم بأسم الدين.

وأصبح ينظر العالم....

إلينا مندهشاً كما يقول الكاتب الكبير على إننا أصبحنا مـن الشعـوب التـي لا تريد أن تلحق بركب الإنسانية، أو أن تضيف إلى الجهد الإنساني إبتكارات حديثـة للمعيشة، بعد أن طبقت جماعة الإخوان سياساتها في الداخل والخـارج، وإكتشـف العالم انها جماعة تتسم بعدم الوعي أو الفهم وأثبتـوا انهـم بـدون درايـة بالسـلطة او الحكم وفشلوا في إدارة مؤسسات الدولة، بسبب مبدأ السمع والطاعة الذي تسـير عليه الجماعة والذي أفرز نوع من الأفراد الضعيفة الممسوخة والتي لـيس لـديها اي إبتكار أو أفكار ولا يستطيع احد منها إتخاذ قرار إلا بـالرجوع إلى مرشـدهم أو مكتب إرشادهم، وبهذه العقليات إداروا الدولة بفكر الجماعة.. مع انهم لم يكونـوا يتصرفون تصرفات الجماعات، بل كانت تصرفاتهم تصرفات فردية، وكل فرد كان يفعل ما يروق له طالما أن هذا في مصلحته.

ويستشهد صاحب الذكريات بموقف الشيخ «أحمد حسـن البـاقوري» والـذي كان من كبار قادة الإخوان، عندما دعـاه ضـباط ثـورة يوليـو ١٩٥٢ إلى أن يصبـح وزيـراً للأوقـاف، وكانـت قيـادات الجماعـة تـرفض هـذا الأمـر، فمـا كـان مـن «الباقوري» إلا أن ترك جماعته ورفض تنفيذ أوامر قياداته، ونسى مصـلحة جماعتـه،

وسد آذانه عن السمع، وخلع طوق الطاعة مـن رقبتـه، ليصبـح وزيـراً للأوقـاف، ويتساءل «لويس» أين مبدأ السمع والطاعة الذي يعتبر من أهم ركائز أدبيات جماعة الإخوان؟!!..

ويجيب : بأنـه تلاشـى ولم يصبـح لـه أي تأثيرامـام المصـلحة الفرديـة عنـدما تصطدم مع مصلحة الجماعة، وهذا ما أثبتته المواقف والسياسات، بعد وصـولهم إلى الحكم، وكانت الدولة تدار من مكتب الإرشاد، وكانـت الأوامـر والتعليمـات تصل إلى «محمد مرسي» مـن مكتـب الإرشـاد، وظهـر هـذا عنـدما كـان يصـدر القرارات في النهار ثم تأتى اليه التعليمات فيلغي القرارات في المساء.. ولكن باقي أعضاء الجماعة لم تحافظ على كيان جماعتهم، وكل عضو أصبح يتصرف تصـرفات فردية وكأنه هو رئيس الجمهورية، وإتبع هواه بمـا يعـود عليـه بـالنفع، أكثـر مـن الإلتزام بفكرة الجماعة

ومن هنا يؤكد الكاتب الكبير.....

على انهـم ليسـوا جماعـة حقيقيـة بـل هـم أقـرب إلى الجمعيـة مـن تصـنيفهم كجماعة، رغم الهالة التـي يحـاول الـبعض أن يضـفيها عـلى هـذه الجماعـة، لأن الأعضاء في أي جمعية يمكن أن تصنع لهم قواعد وتعليمات، لكن بدون آليـة تلـزم أفراد الجمعية بهذه القواعد، طالما لا يوجد آلية للمحاسبة تعاقب مـن يخـل أو لا يلتـزم بقواعـدها، وبـالطبع جماعـة الإخـوان لـيس لهـم قواعـد معروفـة وملزمـة لأعضائها ، إلا بعض الكلام عن الفصل من الجماعة.

ولكنه يؤكد قائلاً : رغم هذا عندما يصدر إليهم الأوامر بعمليات الإغتيـالات، يجدون من ينفذها، لأن عملية الإغتيال هى عملية فردية، وتقوم القيادات بالضغط والتأثير على احد الأعضاء من شباب الجماعة الذي لا زال يقتنع بانها جماعـة دينيـة تهدف إلى رفعة شأن الإسلام، ويأمروه بتنفيذ الإغتيال مثلما فعلوا مع «محمود عبد اللطيف» في حادث إطلاق الرصاص على «جمال عبـد الناصـر» في ميـدان المنشـية

١٩٥٤، أو في حادث إغتيال «محمود فهمي النقراشي» رئيس الوزراء الذي أصدر قراره بحل جماعة الإخوان، أو في مقتل المستشار «أحمد الخازندار»، لأنه أصدر أحكام قضائية على بعض من أفراد جماعة الإخوان قاموا بأعمال إرهابية، وبالطبع هذه الأحكام لم تعجب «حسن البنا»، فقال: ليت ربنا يخلصنا منه، فإعتبر «عبد الرحمن السندي» مسؤول النظام الخاص أن هذه المقولة، أمر أصدره اليه مرشده، فأمر أتباعه بالتخلص منه .

ويضحك «لويس» عالياً ..

ويقول : جماعة الإخوان اثبتوا انهم في منتهى الغباء السياسي، ودمغوا انفسهم بالإرهاب عندما قاموا بغلطة عمرهم في مشهد دراميـاً احزن الشعب المصري وإنفرد به «محمد مرسي» عندما شاهده العالم يحتفل بنصر اكتوبر مع قتلة الرئيس «السادات» دون مشاركة الأبطال الحقيقيون لهذا النصر، وما فعله «مرسي» في هذا الإحتفال وفي مواقف اخرى كثيرة، أكدت أن منصب رئيس الجمهورية كان كبيراً وواسعاً عليه جداً جداً، ولهذا لم يستطيع هذا الرجل أن يملأ هذا المنصب، ولم يكن ذلك الشخص الذي يصلح لأن يكون رئيس جمهورية وتتطلع اليه القلوب والعقول...

ويقول : أن أكثر ما كان يمكن أن يشغله من عمل، أن يصبح مدرس أول أو ناظر مدرسة (حتى عمله كأستاذ جامعي أستكثرها عليه)، لأن زمام المبادأة الإستراتيجي لم يكن في يديه ولا في أيدي جماعته، بل كان في أيدي الذين كانوا يحركونهم من الخارج، وبالتالي أصبح إخوان الداخل لعبة في أيدي إخوان الخارج الذين يتعاملون مع جهات أجنبية تمثل بالطبع أجهزة مخابرات الدول التي تمول وتساند وتدفع وتسعى بكل قوة لإسقاط مصر وعرقلتها وعدم نهضتها، بل تسعى لتقسيم مصر وتفتيتها وتحقيق الهدف الأكبر الذي أطلقوا عليه بالشرق الأوسط الجديد أو الكبير ..

ولهذا كانت السنة التي مكث فيها الإخوان في حكم مصر صعبة على المصريين وتشبه الكابوس ، ولو طال حكم الإخوان لكانت مصر عادت إلى الوراء مئات السنين .

ومن هذه النتائج...

يقول صاحب الذكريات: كان لابد من قيام ثورة ٣٠ يونيه للإطاحة بكابوس هذه الجماعة الفاشية لتصحيح مسار الوطن، ولكنه يرى أن الشعب المصري صبر كثيراً على الإخوان لأن سنة في الحكم مدة طويلة على جماعة خائنة فاشلة .. ولكن ربما اراد الشعب أن يعطيهم الفرصة لكي يثبتوا حسن نيتهم التي لم يثبتوها، لأنهم قاموا بالأعمال الإرهابية من قتل وحرق وهدم وتدمير بالتآلف مع الجماعات الإرهابية العالمية ، مثل تنظيم القاعدة، وجيش النصرة، وجماعة بيت المقدس، وغيرهم وهنا اثبتوا للشعب المصري انه كان على حق في طرده لهم من السلطة لأنهم جماعة إرهابية تعمل ضد الأوطان ، وان قول «مهدي عاكف» كبيرهم (طز في مصر) لم يكن زلة لسان كما كانوا يدعون، بل هى حقيقة ثابتة في عقولهم وايدولوجياتهم، وان عمليات الإغتيال السابقة في الأربعينات والخمسينات والستينات ، والتي ظلوا ينفونها ويكذبون بأنها دست عليهم وانهم لم يقوموا بها، كانت بالفعل من تدبيرهم ومن نتاج اعمالهم، ولهذا قام الشعب المصري بكنسهم من حكم مصر غير آسفاً عليهم بل نادماً على إختيارهم لهذا المنصب لأنهم خدعوه حتى ظن انهم جماعة بتاعة ربنا وتسعى إلى خير البلاد والعباد، ولكنه اكتشف انها جماعة تتحالف مع الشيطان في سبيل تحقيق اهدافها ومصالحها الذاتية التي لا تتفق مع مصالح الوطن ولا تحقق طموحات شعب مصر .

أحمد بهاء الدين .. الكاتب النبيل





يصف «لويس جريس» استاذه «أحمد بهاء الدين» بانه من الكتاب المرموقين، والذي تميزت بهم «روزاليوسف»، وكان اول ظهور قوي له عندما كان يكتب مقالاً ويذهب به إلى «روزاليوسف» ويتركه مع بواب دار «روزاليوسف» ، مع انه كان يكتب في مجلة «فصول»، ولفت نظر «فاطمة اليوسف» مالكة «روزاليوسف»، والتي كان من عادتها الخروج يوم صدور المجلة إلى المقاهي والنوادي، والوقوف جانب بائعي الجرائد لترى بنفسها (كعمل إستطلاع) كيف يقرأ الناس مجلة «روزاليوسف»، وهل يتأملون الغلاف أولاً، وكيف يقلبون صفحاتها؟، وعند من من كتابها يتوقفون؟.. فوجدت انهم بعد النظر في الغلاف، يتوقفون عند ما يكتبه «أحمد بهاء الدين»، حيث كان يكتب في أولى صفحات «روزاليوسف» .

وبناء على هذا الإستطلاع....

فكرت في أن هذا الكاتب يمكن إختطافه، كما سبق وإختطفت مجلات وجرائد أخرى، بعض نجوم «روزاليوسف»، والملاحظ في ذلك الوقت أن معظم الذين أثروا في الصحافة المصرية كانوا من أبناء «روزاليوسف» مثل «علي

ومصطفى أمين» الذين أنشأوا «اخبار اليوم» وربما إنشاءهم لها كان منشأه التجربة التي أصدرتها «روزاليوسف» اليومية، حيث كانت في حجم اخبار اليوم كحجم وكعدد صفحات، وأيضاً «جلال الدين الحمامصي» الذي أنشأ مجلة «الإسبوع»، أو من الذين عملوا في «روزاليوسف» مثل «عباس محمود العقاد» و«محمد التابعي» و«عبد الرحمن الشرقاوي» و«صلاح جاهين» وغيرهم الكثيرين.. ولكي تحتفظ «فاطمة اليوسف» بـ«أحمد بهاء الدين» كاتباً لديها، قررت أن تصدر مجلة «صباح الخير» وتعينه رئيساً لتحريرها، في أواخر ١٩٥٥، إلى أن صدرت في يناير ١٩٥٦، وكتبت في إفتتاحيتها بنفسها انها تريد أن تقول للقارئ «صباح الخير»، و«فاطمة اليوسف» مع انها لم تذهب إلى المدارس إلا انها كانت تجيد التحدث بالفرنسية وبطلاقة، وكانت تقضي مثل معظم الناس في هذا العصر الأجازات في فرنسا، وهناك كانت توجد مجلة بعنوان «بنجور».

ويقول صاحب الذكريات، أثناء الإعداد لمجلة «صباح الخير» إنه كان يعمل في «دار الهلال ولكن إتفق صديقه «حسن فؤاد» معه على أن يأتي إليه يوم خميس ليقابله بـ«أحمد بهاء الدين» الذي يقوم بالتجهيز والإعداد للمجلة الجديدة.. وبالفعل ترك «لويس» دار الهلال، وذهب إلى «حسن فؤاد» وقابله بالأستاذ «أحمد بهاء الدين» رئيس تحرير مجلة «صباح الخير» التي كان يتم التجهيز لإصدارها، وكان كل يوم خميس يجهز موضوع صحفي ويعطيه لـ«أحمد بهاء الدين»..

وفي يوم وجد «لويس» موضوع في مجلة «لايف»، عن الذكرى العاشرة لإلقاء القنبلة النووية على «هيروشيما» و«نجازاكي»، وسهر عليه طوال الليل لترجمته، وذهب به إلى «أحمد بهاء الدين» في «روزاليوسف» قائلاً:

استاذ «بهاء» وجدت موضوع جيد في مجلة «لايف» وترجمته، وأعطاه له .

نظر إليه «بهاء» وقال : إسمك إيه ؟

فقال : «لويس جريس» .

«بهاء» : وبتشتغل فين ؟

لويس : في دار الهلال

بهاء : كم راتبك ؟

لويس : ٢٥ جنيه

بهاء : يااااه مش هتوافق .

لويس : مين اللي مش هتوافق ؟

بهاء : فاطمة اليوسف .

لويس : ليه ؟

بهاء : ٢٥ جنيه كثيرة .

لويس : وبكام توافق يا استاذ «بهاء» ؟

بهاء : بـ(١٥) جنيه .

لويس : موافق .

بهاء : تترك ٢٥ جنيه راتب وتحصل هنا على ١٥ جنيه ؟

لويس : آه حتى أعمل مع حضرتك .

ووافق «أحمد بهاء الدين» على أن يعمل معه «لويس» في «صباح الخير» .

وقام «لويس جريس» بإنهاء إجراءات إخلاء طرفه من دار الهلال والتحق بمجلة «صباح الخير» ، ومع أول راتب له فوجيئ أن الراتب الشهري (٢٠) جنيه وفرح لأنه لم يكن (١٥) جنيه ..

ومن هنا بدأ الكاتب الكبير رحلة عمله الحقيقية في عالم الصحافة، بدءً من شهر

نوفمبر ١٩٥٥ حيث كان «أحمد بهاء الدين» و«حسن فؤاد» يعدان التجهيزات الأولى لإصدار مجلة «صباح الخير» .

واثناء الإعداد لمجلة «صباح الخير.

يقول كاتبنا الكبير كان «أحمد بهاء الدين» يذهب إلى كلية الأداب جامعة القاهرة، ويقول للطلبة نحن نصدر مجلة «صباح الخير» ونريد محررين للعمل بها، ومن يتوسم في نفسه أن لديه المقدرة على العمل الصحفي فليأتي إلى المجلة، وكان أكثر من يأتى إلى «روزاليوسف» بنات كلية الأداب، ليروا «إحسان عبد القدوس» ومنهن من كان يأتي إلى «أحمد بهاء الدين» لأنه لم يكن متزوجاً في تلك الفترة، وكان عريس «هدية» لأنه رئيس تحرير مشهور،ولكن حضور البنات بكثرة أصبح يمثل له ورطة بالنسبة له لأنهن كن يشغلونه ويعطلونه عن العمل.

فقال : شوف يا «لويس» طلبة كلية الأداب عاوزك تقرأ مواضيعهم الصحفية جيداً، ومن تجده كاتب موضوعه بعناية وخط جيد إدخله لي، ومن تجده كاتب كلام فارغ «زحلقه» من اولها. ويضحك «لويس» ويقول : عندما كان يخرج «إحسان» من مكتبه يجد البنات عند «لويس» تنتظر مقابلة «أحمد بهاء الدين» ..

فيسأله : إيه ياسي «لويس» حكاية البنات الكثير دي؟

لويس : دول مش لى يا استاذ «إحسان»، لكنهم ينتظرون مقابلة استاذ «بهاء».
إحسان : يارجل مقعدهم معك في المكتب يشربوا ليمون وتقول جايين لـ«بهاء».

وإنتظم العمل في «صباح الخير»...

كما يقول «جريس»، وذات يوم كان يعرض عمله على «أحمد بهاء الدين»، ودخل عليهما «إحسان عبد القدوس» .

وقال : يا «بهاء» انت مسافر روسيا؟

بهاء : اه هسافر .

إحسان : ولمن ستترك المجلة ؟

بهاء : إلى «لويس جريس».

إحسان : مين «لويس جريس» انا لا أعرفه؟.

وحينها شعر «لويس» أن مشادة يمكن أن تحدث بينهما، وبدأ يتسلل خارجاً من المكتب، وإذا بـ«بهاء» يقول : «لويس» أجلس مكانك .. (وجلس لويس)، ويكمل «بهاء» هذا هو «لويس جريس» الجالس هناك، وانا سأترك له المجلة اثناء سفري، لأنه ملتزم ويأتي مبكراً ويغادر بعد ما يطمئن على إصدار المجلة ، وسوف يعرض عليك كل الموضوعات .

ويقول «لويس»: بعد خروج «إحسان» من المكتب وجد «بهاء» يعطيه دوسيهات كثيرة،وقال له : هذه (٥) أعداد للمجلة، ولا تخبر احد اني تركت لك الأعداد، وانت ستحتاج (٤) أعداد فقط، والعدد الخامس لربما أتأخر أسبوع آخر، وطلب منه أن يعرض الأعداد في مواعيدها على أستاذ «إحسان» والفيش والملزمة الأولى والثانية والثالثة تعرض عليه كل على حدا، وقال له انه سيترك له الموضوع الأول ليكون حر التصرف فيه بعد أن يرى ما هو الحدث الإسبوعي الأهم والأبرز على الساحة ويكلف احد المحررين بعمل موضوع له .. وبالفعل نفذ «لويس» هذه التوصيات بحذافيرها، وإنتهى الشهر الذي سافر فيه «بهاء الدين» ثم عاد وتأكد انه نفذ تعليماته، فزادت الثقة وتوطدت العلاقة الإنسانية والمهنية بينهما، وهذا الموقف رفع اسهم «لويس» امام «إحسان» وامام زملائه، لأنه كان صغير السن ، وأصبح من المسئولين في «روزاليوسف»..

ولهذا يعتبر كاتبنا الكبير..

أن «أحمد بهاء الدين»، استاذه الأول لأن بدايات عمله الحقيقية في عالم الصحافة، بدأت معه في «صباح الخير».. وظهر «بهاء الدين» عملاقاً في الصحافة

المصرية، ودارت كتاباته حول الحرية والإستقلال والوطنية والعدالة الإجتماعية.. لأنه كان يؤمن بثورة يوليو وإنحاز لـ«عبد الناصر» مع أن هذا الإنحياز لم يمنعه من إنتقاد تجاوزات بعض رجال «عبد الناصر»، ورغم هذا لم يتعرض للإعتقال كما كان يحدث مع غيره، لأن «عبد الناصر» رفض إعتقاله قائلاً: (إتركوا بهاء لأن مخه كده) .. وبعد ما حقق «بهاء» نجاحاً مبهراً في «صباح الخير» ظل «على ومصطفى أمين» يلحا عليه لكي يكتب في «اخبار اليوم» حيث كانا يريدان جمهرة من الكتاب كرؤساء تحرير، وهما أول من وضعوا أكثر من رئيس تحرير لجريدة واحدة وهى «اخبا ر اليوم»، وكان من الصعب على «بهاء» أن ينتقل من اقصى اليسار في «روزاليوسف»، إلى اقصى اليمين في أخبار اليوم، ككاتب يساري مطروح على الجماهير .

ويؤكد صاحب الذكريات ..

انه وأستاذه «أحمد بهاء الدين» كانا قريبان من بعضهما على المستوى الإنساني والشخصي، حتى في السن، ولهذا قال له «بهاء» انه بالفعل يريد مبرراً أو محطة يقفز اليها أولاً حتى ينتقل من «روزاليوسف» اليها قبل أن يذهب إلى «علي ومصطفى امين»، لأنه كان يريد الكتابة في «اخبار اليوم»، ولكنه كان لا يريد الذهاب أن يكون فجأة أو صادماً ، ووجد ضالته في جريدة كان «صلاح سالم» يريد إنشاءها باسم «الشعب»، وبالفعل تم هذا وعين «بهاء» رئيس تحرير هذه الجريدة، ولكنها إستمرت عدة شهور ثم أغلقت، وإنتقل «أحمد بهاء الدين» منها إلى «اخبار اليوم» وأصبح من ضمن رؤساء تحريرها عام ١٩٥٩، وكان يكتب مقال بعنوان «هذه الدنيا» ..

ثم عينه «عبد الناصر» رئيس تحرير «روزاليوسف» و«دار الهلال» و«دار التحرير»، ولم يحدث صدام بينه وبين «عبد الناصر» لأنه كان يعضد خطواته وسياساته، وعندما تولى هذه المسئولية عقد إجتماع لجميع العاملين بمؤسسة «روزاليوسف» وبالطبع

معها العاملين في «صباح الخير»، فرأى زميلة جميلة تلفت الأنظار ..

فقال : مين دي يا «لويس»؟

لويس : هل لا تعرفها ؟

بهاء : لا ماعرفهاش، ومالها عاملة كده؟

لويس : دي «عزيزة » التليفونست، جندتها المباحث وإستأجروا لها شقة في شارع «محمود بسيوني» لأن «ياسر عرفات» له شقة مقابلة لها ، وكان يشيع انه سينزل في فندق «هيلتون» ولكنه لم يكن يبيت في الفندق، فأحضروا لها هذه الشقة ، وعضوية في نادي الجزيرة لتعرف من يتقابل مع «عرفات» وتبلغهم .

بهاء مندهشاً : يااااه عضوية نادي الجزيرة !!

لويس : مباحث امن الدولة كما لها رجالها، أيضاً لها نساءها .

ويذكر «لويس جريس» .... حدوث خلاف فكري من «أحمد بهاء الدين» مع سياسات «السادات» اكثر من مرة، وكانت بداية الخلاف عندما تولى «السادات» الحكم أصدر قراراً بنقل «أحمد بهاء الدين» إلى «روزاليوسف» من «دار الهلال»، وغضب «بهاء» لأنه لم يسئل في هذا القرار ولم يؤخذ رأيه فيه، ولكنه نفذ وبعث رسالة بهذا المضمون إلى الرئيس «السادات»، ولكن الرئيس لم يأخذها على محمل الجد وتجاهلها ولم يعاقبه عليها لأنه كان يختلف عن «عبد الناصر».. مع أن «بهاء» نفسه وصف علاقته بالرئيس «السادات» قائلاً : أن الرئيس «السادات» صادقه مراراً، ونقله من مكانه كعقاب مرة واحدة، وفصله من عمله مرة واحدة ايضاً، وأوقفه عن الكتابة مرتين..

وإختاره «السادات» رئيساً لتحرير الأهرام خلفاً للأستاذ «علي امين» ثم ظل «بهاء» يقدم الأعذار للرئيس «السادات» لينحيه عن الأهرام متعللاً بظروفه الصحية، إلى أن إستجاب «السادات» إلى طلبه وقبل إستقالته، ثم جاءت له فرصة بالعمل في دولة

الكويت رئيساً لتحرير مجلة «العربي»، وإستمر فترة طويلة هناك.. ثم عاد كاتباً متفرغاً بالأهرام، بعاموده الصحفي المتميز، بعنوان «يوميات» .. ولكن شاءت الأقدار أن يصاب «بهاء» بجلطة في المخ قبل وفاته بحوالي خمس سنوات..

وفي تللك الأيام كان «لويس» صديقاً للسفير السعودي بالقاهرة، وجاء ليخبره أن الملك «سلمان» خادم الحرميين الشريفين حالياً، والذي كان أميراً لـ«الرياض» أرسل اليه طالباً منه أن يقوم بزيارة «أحمد بهاء الدين» ويقول له بأسم الأمير «سلمان» : إذا كان يبغي العلاج في أي مكان في العالم سيخصص له طائرة خاصة لهذا الأمر، وسوف يتحمل كافة تكاليف العلاج الخاصة به، وطلب السفير السعودي من «لويس» أن يصطحبه إلى منزل «بهاء» ..

وعلى الفور إتصل «لويس» بالسيدة حرم الأستاذ «بهاء» وقال : أن الأمير «سلمان» يريد أن يبلغ رسالة إلى الأستاذ «بهاء» عن طريق السفير السعودي، وسمحت حرم الأستاذ «بهاء» لهما بتلك الزيارة في منزله الكائن ١١ شارع «هارون» بالدقي في الدور الخامس، وعندما دخلا غرفة الأستاذ «بهاء» يقول «لويس» عندما رآه الأستاذ «بهاء» إبتسم قليلاً، وشعر حينها انه من الممكن أن يكون تذكره ولكنه لم يستطيع الكلام..

وقال السفير السعودي : استاذ بهاء « سمو الأمير «سلمان» يبلغك تحياته ويقول لك إذا كنت تحتاج إلى العلاج أو السفر في الخارج لأي دولة في العالم، فإنه يضع طائرته الخاصة تحت تصرفك ، وجميع تكاليف رحلة العلاج ستكون على حسابه الخاص .

فنظر الأستاذ «بهاء إلى زوجته فتحدثت قائلة : نشكر سمو الأمير «سلمان» على كرمه، ونحب نبلغه أن الحكومة المصرية قائمة بكل واجباتها تجاه «أحمد » ، وانها لاتبخل بالإنفاق على علاجه ، ويقول «لويس» وبالفعل هذا ما كان يحدث من الحكومة المصرية تجاه الأستاذ «أحمد بهاء الدين» .

إحسان عبد القدوس ...





يصف «لويس جريس» استاذه «إحسان عبد القدوس» بانه شخصية فريدة ومتفردة، ومن يعرفه معرفة حقة لا ينساه، لأنه انسان ودود وطيب وحازم وحاسم، وكان به ميزة كبيرة جداً لأنه كان يحسن إستقبال الموهبة، مثلاً «حسن فؤاد» قدم له «رجائي ونيس» و«جورج البهجوري» وكانا طلاب في كلية الفنون الجميلة.. و«إحسان» كان يستقبلهما ويعاملهما كأنهما زملاء له يتحدث معهما ويستمع لهما، بل ويطلب «جورج» ليقول له : تعالى نفكر سوياً كيف سنخرج غلاف «روزاليوسف» ، و«رجائي» جعله يرسم غلاف «روزاليوسف».. وكان لـ«إحسان» سهراته الجميلة حيث كان يقيم حفلة رائعة بداية كل شهر، وكان يدعو اليها عدداً من السياسيين والفنانين والكتاب ورجال المجتمع، ورغم انه كان صديق لأشهر نجوم المجتمع، إلا انه كان لا ينسى الموهبة الجديدة التي يراها تبزغ في «روزاليوسف»، ويقرب منه من كان يرى انه سيكون له شأن في قادم الأيام، ويقدمهم إلى صفوة المجتمع، وكانت أول مرة يرى فيها «لويس» السيدة «ام كلثوم» و«عبد الوهاب» في حفلات «إحسان عبد القدوس».. ولقد تعلم «لويس»

كلثوم» و«عبد الوهاب» في حفلات «إحسان عبد القدوس».. ولقد تعلم «لـويس» منه الجـد والإجتهـاد والصبر والـدأب في العمـل، وعـدم التقصـير في مراجعتـه والإهتمام به حتى مع الفاصلة والنقطة وعلامة التعجب .

ويقول صاحب الذكريات ...

انه تعرف بـ«إحسان» معرفة شخصية عندما عمل في مجلة «صباح الخير»، بمـا انه كان مالكاً لها أو ابن «فاطمة اليوسف» مالكة «روزاليوسف» و«صباح الخيـر»، ولكنه إقترب منه عندما سافر «أحمد بهاء الدين» لمدة شهر إلى روسيا، وترك المجلة إلى «لويس» حيـث كـان يعـرض موضـوعاتها عـلى «إحسـان» الـذي كـان اعطـى تعليمات إلى سكرتيرته «نرمين» بأن من يدخل عليه في أمـور العمـل فليـدخل دون إستئذان، ولهذا كان «لويس يدخل على الفور مكتب «إحسان» .. وذات يوم دخـل عليه فوجده يبكي، ودموعه منهمرة فوقف «لويس» فترة ثم نظر اليـه قـائلاً : خيـر أستاذ «إحسان فيه حاجة؟

إحسان : ممدوح مات .

لويس : ممدوح مين ؟

إحسان : بطل الرواية .

ومن هنا عرف «لويس» أن «إحسان» كـان يعـيش حكايـات أبطـال رواياتـه، وكانت رواية «لا تتركوني هنا وحدي»، وفي يوم أخر كان «إحسان» ناشـر قصـة في باب بعنوان «المخبـر المجهـول» وكتـب خبـر عـن طـلاق «مـريم فخـر الـدين» و«محمود ذو الفقار» وأرسله إلى «لويس» في أخبار الفن، وتساءل «لويس» في نفسه هل معقول أن «إحسان» ينشـر الخبـر في الفـن، وفي ذات الوقـت ناشـر القصـة في المخبر المجهول ؟ ..

وأعتقد «لويس» أنها مرت على «إحسان» دون قصد لأن هـذا الخبـر سيكشـف

من هو المخبر المجهول، وقام «لويس» بحذف الخبر دون الرجوع اليه، وبعد صدور المجلة، وجده خارج من مكتبه وامام الزملاء جميعاً قال بصوت عالي : تعالى هنا يا «لويس يا جريس» وذهب اليه فأمسك «إحسان» بطرف اذن «لويس» وضغط عليها بشدة..

وقال : إزاي يا استاذ أرسل لك خبر وتحذفه دون الرجوع إلى رئيس التحرير؟

لويس : أسف يا أستاذ «إحسان» .

إحسان : اسف إيه وبتاع إيه ؟، إزاي تكون نائب رئيس تحرير ولا تعود إلى عندما تريد حذف خبر ؟.. وتركه ودخل إلى مكتبه .

ودهش «لويس» عندما فوجئ بزملائه يقولون له مبروك يا «لويس» .

لويس : مبروك على إيه، والأستاذ وبخني ونهرني بشدة وشد أذني ؟

فقالوا : ولكنه قال لك نائب رئيس تحرير .

ويؤكد «لويس» انه لم ينسى هذا الدرس أبداً، وظل لا يحذف شيئ على الإطلاق إلا في وجود المحرر صاحب الموضوع، وإذا كان له رئيس فلا يتخطاه أبداً، ويرجع اليه في كل مايريد أن يفعله.. وإنتهى الشهر وعاد «أحمد بهاء الدين» ، ولكن «إحسان» تعرف على «لويس» من خلال إنتظامه في العمل، وتحمله لمسئولياته .

ويقول كاتبنا الكبير ..

بعد عودته من أمريكا بعد غياب طال لمدة (٣) سنوات، اتصل «لويس» بـ«روزاليوسف» وأوصله «عوف» التليفونست بمنزل «إحسان عبد القدوس» ..

سأله إحسان : انت فين يا «لويس» ؟

لويس : بكلمك من مقهى في ميدان التحرير .

إحسان : انا في البيت وقادم للغداء معي السفير الهندي، ومعي «كامل الزهيري» تعالى تناول معنا الغداء ...

وذهب «لويس» إلى ٨٨ شارع القصر العيني حيث يسكن «إحسان عبد القدوس» في الدور الخامس، وتناول معهم الغداء..

وقال إحسان : مر على الساعة السابعة في المكتب يا «لويس».. وذهب اليه في المكتب.. فقال إحسان : تتولى منصب نائب رئيس التحرير .

لويس : منصب نائب رئيس التحرير غير منتشرة في أمريكا .

إحسان : إيه المنتشر ؟

لويس : رئيس التحرير يضع سياسة النشر ومدير التحرير ينفذها .

إحسان : تمام انت مدير تحرير صباح الخير و«فتحي غانم» رئيس تحريرها ، و«محمود المراغي» مدير تحرير «روزاليوسف» ، و«إحسان عبد القدوس» رئيس تحريرها . ثم ساله إحسان : راتبك كان كام قبل السفر ؟

لويس : ٢٠ جنيه .

إحسان : سأجعلها ٣٥ جنيه .

لويس : فلتكن ٥٠ جنيه .

إحسان : ليه ؟

لويس : لأني ساكن في بنسيون بـ ١٥ جنيه ، و٥ جنيه مواصلات، وعاوز يكون في جيبي كل يوم جنيه، أكل وأتنزه .

إحسان : موافق .

لويس : عاوز شهر مقدم، لأني قادم من أمريكا بدون ولا مليم، وأخصم كل شهر مبلغ منه .. ويقول «لويس»: ولكنه فوجيئ أن راتبه كما هو ولم يخصم منه

شيئ ، وان الخمسين جنيه التي اعطاها له «إحسان» كانت هبه منه وإستمر العمل كالمعتاد .

وفي أحد حوارات «لويس» مع «إحسان» قال : ياريس، سيناء على بعد خطوتن منا ولم نفكر في زيارتها، وعندما كنت في امريكا وجدت ما يقرب من (٥٠) كتاب عن سيناء وعن ما في أراضيها من كنوز، وما في رمالها من أشكال وألوان، وهذا خطأ لأنها بلدنا وعمرنا ما زرناها..

إحسان : إيه رأيك جهز لنا رحلة إلى سيناء .

وبالفعل بدأ «لويس» يحضر لهذه الرحلة، وإكتشف انه لا بد من الحصول على إذن من حرس الحدود، وإذن من دير سانت كاترين، وإذن من المخابرات، المهم جهز هذه التأشيرات والسيارة التي سيسافرون بها، وضمت الرحلة «إحسان عبد القدوس» و«لويس جريس» ، و« جمال كامل» و«عبد الغني ابو العينين»، ووصلوا إلى دير سانت كاترين، وقيل لهم أن أسهل جبل في الصعود والنزول هو جبل «موسى»، وبالفعل صعدوا الجبل ، ووجدوا على قمته جرس كنيسة فأمسك «إحسان» به ورن رنة وقال : هذه الرنة لزوجتي، ورن رنة ثانية وقال : هذه لأبنائي «احمد» و«محمد»، والرنة الثالثة لأبناء «روزاليوسف» ليباركهم الله ويجعلهم من المقبولين .. وفي اثناء النزول تركهم «لويس» ونزل بشكل سريع، ودخل دير سانت كاترين، ووجد مكان هادئ وجميل، فنام فيه بظهره على الأرض، ووضع رجل فوق الأخرى، وبعد فترة وجد راهب من الدير يزغده بجريدة في يده ليوقظه..

فسأله لويس : ليه بتصحيني من نومي ؟

الراهب : نام في مكان اخر .

لويس : ليه ؟

الراهب : هذه البقعة التي تحدث فيها الله مع سيدنا «موسى»، وطلب منه أن يغادرها لأنه يرتدي حذاء في قدميه .

لويس : حاضر ، وغادر .

ومنذ ذلك التاريخ و«لويس» يكتب ويطالب بتحويل منطقة جبل «موسى» إلى مزاراً سياحياً دينياً، خاصة أن جميع الأديان تؤكد أن الله تحدث مع نبيه «موسى» في هذا المكان، والرئيس «السادات» عندما أراد أن يرسل رسالة سلام إلى العالم، ذهب إلى هذا المكان وأرسلها .

ويذكر «لويس جريس»..

أن «إحسان عبد القدوس» إستدعاه ذات يوم وسأله : لو لديكم رجل في الصعيد ويريد أن يلعب بذيله ماذا يفعل ؟

لويس : مثل هذه الأشياء لو حدثت في الصعيد تكون في الخفاء لأن فيها قطع رقاب ، وأكمل في ما عدا حالة واحدة حدثت .

إحسان : وما هى ؟

لويس : وانا في الصعيد جاء مهندس ري هناك، وقدم واحدة مزيفة على انها شقيقته، وبدأت تزور الناس، والناس ترد لها الزيارة، وفجأة وجد المهندس زوجة العمدة قادمة اليه طالبة زواج شقيقته إلى ابنها، فثار وهاج وقال لهم دي مخطوبة، ومرة يقول دي مكتوب كتابها، واخذها وهرب من الصعيد .

ويقول «لويس» : بعد أن حكى هذه الواقعة إلى «إحسان»، وجده كتبها حكاية من الحكايات التي تنشر في مجلة «صباح الخير» ..

وبعد تأميم الصحافة بدأ «إحسان» يؤجل ويتكاسل ويعتذر عن الكتابة، مع انه كان من أنشط الناس الذين يعملون في «روزاليوسف» لأنه كان يكتب «امس اليوم وغداً»، ورواية في «روزاليوسف»، والمخبر المجهول وحكاية في «صباح

الخير» ..

الى أن قال : يا «لويس» انا غير قادر على الكتابة وعاوزك تتصرف في هذا الأمر . وكان «لويس» يعلم إلى اي مدى تعلق القراء بالحكاية التي كانت تنشر في «صباح الخير» فأراد أن تستمر، فكان يبحث في الأدب الإنجليزي، والأدب الأمريكي عن روايات تكون قريبة من كتابات «إحسان» وكان يترجمها وينشرها ويقول : قصة عن الكاتب «فلان الفلاني» واستمرت هذه الحكايات حتى عبروا مشكلة عدم إنتظام «إحسان» في كتابة حكاياته في «صباح الخير»..

وفي أحد الأعداد لم يكن «لويس» ترجم هذه الحكايات ويذكر انه كتب حكاية مهندس الري وأخته المزيفة التي كان حكاها إلى «إحسان» لكنه كتبها من وجهة نظر الأخت المزيفة، وليست من وجهة نظر المهندس، ولكن بعد نشرها فوجيئ «لويس» بعدد كبير جداً من الخطابات والتليفونات التي تسبه وتهاجمه وتقول له: يا لص، يا حرامي، يا مخادع، وفي هذه اللحظة أدرك إلى أي مدى القارئ ذكي ومرتبط بـ«إحسان» ولا يستطيع احد أن يضحك عليه، ومن هنا عرف انه ولا بد أن يكون مستعداً للقارئ ويعمل له ألف حساب لأنه يقظ ويستطيع أن يدرك الألاعيب والإنحرافات هنا أو هناك .

ويؤكد صاحب الذكريات ...

أن «إحسان عبد القدوس» كان ودوداً جداً، خاصة عندما كان يعيش قصة حب، وهذه القصص كانت كثيرة، وعندما كانت تنتهي قصة الحب التي يعايشها، كان يقود سيارته ويصطحب معه «جمال كامل» الرسام الذي كان يرسم له أغلفة كتبه ورواياته، او رسوماتها عند نشرها في المجلة، وينطلق بالسيارة لمسافات بعيدة، ثم يعرف الزملاء في المجلة من «جمال» انه في احد المرات ظل يقود السيارة، حتى وصل بها إلى «مرسى مطروح»، ومرة أخرى إلى «الفيوم»، ومرات عديدة ذهبا إلى «العلمين» ..

ومع هذا يقول «لويس » انهم لم يعرفوا اي من الفتيات كانوا ابطال أي من قصص «إحسان» لأنه كان يزوره الكثيرات من رواد نادي الجزيرة، ويمكن في تلك الفترة كانت البنات أكثر إنفتاحاً في الخمسينات حيث كانوا يسيرون في الشارع بالميكروجيب الذي كان مجرد تنورة قصيرة جداً تكشف عن كامل الساقين، وكانوا يشعرون في المجلة أن «إحسان» يعيش هذه القصص، ويستغل هؤلاء البنات في معرفة أسرارهن واحاسيسهن ونوازعهن، وما ينتابهن من حالات، وانه ربما يحصل على هذه المعلومات من خلال أسئلة يوجهها لهؤلاء البنات ، ويحصل على الأجوبة ويوظفها في سياق الأحداث الروائية على لسان ابطالها..

ويتذكر «لويس» انه دخل عليه ذات مرة فوجد فتاة تجلس امامه، واخرى تقف خلفه، وثالثة تقف جانبه، فتراجع للخلف..

فقال له إحسان : تعالى يا «لويس» عاوز ايه ادخل .

لويس : اعرض عليك ملزمات المجلة .

إحسان : اتركها وساراجعها

وعن علاقته بوالدته ..

يصف صاحب الذكريات هذه العلاقة بانها كانت في منتهى الروعة والإحترام، حيث كان يسعى إلى تقبيل يديها عندما يراها، وكان يحترم رأيها ويستمع اليها ولا يغضبها، فقد كان انسان فريداً، ولا يعتقد «لويس» أن الصحافة شهدت مثله، فقد علمته والدته رغم انه مالك لـ«روزاليوسف» الا انه لم يستطيع الكتابة فيها الا بعد أن أثبت ذاته خارج «روزاليوسف» فإضطر للذهاب إلى دار الهلال والعمل في مجلة «الأثنين والدنيا» وكان يوقع باسم «سانو» فسمعت «فاطمة اليوسف» بـ«سانو» الذي يتحدث عنه الناس لانه كاتب جيد، فإكتشفت انه «إحسان» ولدها وحينها سمحت له بالكتابة في «روزاليوسف» ..

ثم حكى «إحسان» إلى صاحب الذكريات بعد مجيئه إلى «روزاليوسف» كاتباً، أراد أن يبهر امه في الخبر الصحفي، وكان «إحسان» يعرف أن «محمد التابعي» رئيس تحرير «روزاليوسف» كان يحصل على أخبار من «محمد حسنين هيكل» لينشرها باسمه في المجلة، وتعقب «إحسان» مجيء «هيكل» وقابله بعيداً عن «روزاليوسف» .

وسأله : كم ثمن ما تحصل عليه من «التابعي» للخبر ؟

هيكل : ٢٠ قرش .

إحسان : اعطيني الخبر وسأعيك ٢٥ قرش، ولا تعطيه لـ«التابعي» .

وبالفعل تم هذا، وكان «إحسان» يحصل على الأخبار من «هيكل» وينشرها باسمه حتى يبهر امه.. فقد كان يعمل على إرضائها وسعادتها، وتعلم منها الكثير من الحكمة والصبر والمناقشة والإقناع أو الإقتناع دون مكابرة أو مغالطة، حيث أصبح زوجاً محترماً، وإبناً باراً، وأباً حنوناً مع أبنائه «محمد» الذي تزوج من ابنة الشيخ «محمد الغزالي» و«احمد» الذي تزوج اكثر من مرة، ومنها زواجه من «نجلاء فتحي» وحينها حدثت مشكلة لأن «إحسان» وزوجته لم يوافقا على هذا الزواج ..

فقال لهما أحمد : ولماذا لا توافقان وقد كانت جدتي العظيمة ممثلة في بداية حياتها، و«نجلاء» فنانة ممتازة، فوافقا على الزواج ولكنه لم يستمر الا سنوات قليلة وانفصلا . ويؤكد «لويس جريس» بانه لم يكن لـ«إحسان عبد القدوس» علاقات حادة مع احد من زملائه لانه كان ينساها ولا يتوقف امامها كثيراً.. ويروى أن «رجاء النقاش» جاء إلى «لويس» قائلاً: أن «إحسان »إتخذ قرار بفصله من «روزاليوسف» لانه إختلف مع «كامل الزهيري» الذي ذهب إلى «إحسان» وقال له : يا أنا يا «رجاء النقاش» في «روزاليوسف»، و«إحسان» قال انه لا يستغنى عن «كامل الزهيري» ورفد «النقاش» .

فقال لويس : انتظر شويه يا «رجاء» .. وذهب إلى «صلاح جاهين» وحكى له الموضوع، وأكمل أن «رجاء» يتولى رعاية أشقائه وتربيتهم بالاضافة إلى انه مجتهد في عمله، وقام «صلاح» إلى «إحسان» ..

وسأله : لماذا رفدت «رجاء النقاش» ؟

إحسان : حدثت خناقه بينه وبين «الزهيري»، ونحن نحتاج «كامل الزهيري»!!

صلاح : علشان محتاج «الزهيري» ترفد «النقاش» وهو ناقد أدبي واعد ؟...

المهم تراجع «إحسان» عن قراره.. ويضحك «لويس» قائلاً : بعد ما رجع في قراره أهدى اليه عدد من رواياته، ويضحك مرة أخرى ..

ويقول : جاء اليه «النقاش» قائلاً : يا «لويس» انت ورطتني.

لويس : ليه يا «رجاء» ؟

رجاء : ماذا سأكتب عن أدب «إحسان عبد القدوس»، ونحن نطلق عليه أدب العراة ؟

لويس : يا «رجاء» تعامل مع الموقف بهدوء وروية، وقد تجد زاوية تكتب عنها، .. ويقول «لويس» المهم كانت توريطة لـ«رجاء» ، ومع هذا لم يكتب ، و«إحسان» لم يسأله عن عدم الكتابة لانه لم يكن حاداً أو عنيفاً في تعاملاته، بل كان رقيقاً هادئاً.

وعن علاقة «إحسان» بـ«عبد الناصر» ..

يقول كاتبنا الكبير: انها كانت علاقة قديمة وممتدة، حيث كان «عبد الناصر» يذهب إلى «إحسان» ويعطيه بعض المقالات التي كان «إحسان» يعيد صياغتها وتصحيحها وينشرها له، وايضاً «إحسان» قام بتقديم «عبد الناصر» إلى كثير من وجهاء المجتمع المصري في السياسة والصحافة، ورغم هذا الا أن «إحسان»

إعتقل مرة واحدة عام ١٩٥٤ عندما كتب عن الديمقراطية والحرية ، وطالب مجلس قيادة الثورة بتطبيقها وبالشفافية في إدارة الدولة، وكان يحقق معه «جمال العطيفي» الذي أصبح وزيراً للإعلام فيما بعد، وكان يكتب في «روزاليوسف» ايضاً، وقد ذكر «إحسان» تجربة الإعتقال وكتب عنها.

وبعد أن أمم «عبد الناصر» دار «روزاليوسف» من «إحسان» عينه «عبد الناصر» رئيس مجلس إدارتها، وعين العضو المنتدب لها «يوسف السباعي» الذي كان صديق لـ«إحسان»، ويعتقد «لويس» أن «عبد الناصر» راعى هذه المحبة والصداقة بين «السباعي» و«عبد القدوس» عند التعيين ولم يعين له أحداً يضايقه او يقرفه .

وكان «إحسان» حينها كاتب رواية، فأهداها إلى «عبد الناصر» حيث كتب في الإهداء الذي يقول إلى ايماني «جمال عبد الناصر» ، وهنا «هيكل» بدأ ينبط على هذا الإهداء في الأهرام بهدف إذلال «عبد القدوس» ..

لانه قال : فيه ناس تدعي الوطنية والكبرياء، وهم من جوقة المطبلين، واستغل «هيكل» هذا الأمر بشدة وطبل له كثيراً إلى الدرجة التي جعلت هذا الأمر معروفاً للعامة والخاصة، لان «هيكل» لم يفوتها وظل يذل بها «إحسان» .. اما عن الزملاء المقربين من «إحسان» فأصبح هذا الإهداء يمثل صدمة شديدة لهم، لأنهم يعرفون أن «عبد الناصر» ديكتاتور، وهذا الإهداء معناه أن «إحسان» يؤمن بديكتاتور، ولكن «إحسان» حاول يبرر لماذا كتب الإهداء، لان معناه أن «عبد الناصر» قيمة كبيرة، والإنسان عندما يؤمن بهذه القيمة فهذا ليس عيباً ولا خطيئة.

وعن علاقة «إحسان» بـ«السادات» ...

يصفها صاحب الذكريات بأنها كانت أقوى من علاقة «إحسان» بـ«عبد الناصر» لأنها أيضاً كانت قوية ومتينة إلا أنها إستمرت بذات القوة والمتانة، لان «السادات» كان من طبعه الوفاء، وعدم الكبرياء، وكان يحفظ الجميل ويصون المعروف ، ولم

يتغير أو يتبدل في علاقاته مع اصدقائه القدامى، وكان يعرف قدر الأشخاص جيداً، ويقال أن رواية «في بيتنا رجل» كانت تتحدث عن «السادات» لانه كان إختبيئ عند ناس كثيرين عندما كان هارباً من الإنجليز، ومن ضمن هؤلاء كان إختبيء في منزل «إحسان» خلال هروبه في الأربعينات، ولهذا لم ينسى «السادات» هذا الأمر لـ«إحسان» أو لغيره ممن ساعدوه على الإختباء .

ولا ينسى «لويس» ليلة ٣١ ديسمبر وهو يوم عيد ميلاد «إحسان» وكان الجميع يذهب إلى منزله للتهنئة بعيد ميلاده، وفي احد الأعياد فوجئ المهنئون بـ«السادات» وكان نائب لـ«عبد الناصر» في هذه الفترة ودخل عليهم وهنأ «إحسان» بعيد ميلاده، وكان هذا دليلاً على قوة الصداقة ومتانتها بينهما .

ويذكر «لويس» بعد اعتقالات ٥ سبتمبر ١٩٨١ ، كان تم القبض على «محمد» نجل «إحسان» ضمن مجموعة الإعتقالات الشهيرة، ومع هذا لم يطلب «إحسان» من الرئيس الإفراج عن «محمد» ، وفي خطاب «السادات» الشهير الذي تحدث فيه عن سبب الإعتقالات، وكان قد تم وضع كرسي لـ«إحسان» في الصفوف الأولى مع الذين سيحضرون الخطاب، وسأل «إحسان» منسق الخطاب : من اين سيخرج الرئيس بعد إنتهاء الخطاب ؟ وبعد ما حددوا له مكان خروج الرئيس ، جاء «إحسان» وجلس امام الباب الذي سيخرج منه «السادات»، وبعد إنتهاء الخطاب، وجد «السادات» صديقه «إحسان» واقفاً..

فذهب اليه قائلاً : ما تخافشي يا «إحسان» ابنك سيخرج بس هو طالع (..........) زي جده !!

إحسان : انا لا أتدخل في شؤون اولادي .

وبالطبع «إحسان» كان يدرك المسافة بينه وبين الرئيس مع انهما كانا أصدقاء، خاصة بعد ما لاقاه من تعذيب وإهانة في إعتقال ١٩٥٤ ، عندما إعتقله «عبد الناصر» صديق الأمس .

عبد الرحمن الشرقاوي ..



يحكي «لويس جريس» ذكرياته عن «عبد الرحمن الشرقاوي» حيث عرفه عندما قام «الشرقاوي» بكتابة رواية «الأرض» وقام «حسن فؤاد» برسمها، وتم نشرها في جريدة «المصري»، وعمل «الشرقاوي» في «مجلة الطليعة» ثم مجلة الفجر، وبعد ثورة ٢٣ يوليو عمل في صحيفة «الشعب» ثم صحيفة «الجمهورية»، وتمر الأيام والسنوات ويعين «الشرقاوي» رئيسًا لمجلس إدارة «روزاليوسف» في منتصف الستينات، وكانت توزيع «روزاليوسف» في ذلك الوقت منخفض، وهذا شيئ كان يقلقه ويزعجه..

وكان يسأل «لويس» قائلاً : لماذا لا تشتري الناس المجلة ؟

لويس : لأنها بدون الشيئ الذي يجعلهم يشترونها .

الشرقاوي : تقصد إيه ؟

لويس : عندما كان «إحسان عبد القدوس» ينشر قصة، كان التوزيع يرتفع، وعندما كان يتوقف كان التوزيع ينخفض .

الشرقاوي : اذن التوزيع مرتبط بشيئ يستهوي الناس ؟

لويس : فعلاً وبيحصل ...

واذا بزميلهم «عبد الستار الطويلة» يجري حواراً مع «السادات» وينشر فيرتفع التوزيع، وهنا أدرك «الشرقاوي» انه لا بد من العثور على شيئ ينشر كمسلسل يهم القارئ ويجذب إهتمامه، وفي تلك الفترة حدثت وفاة «مصطفى باشا النحاس» ، وحينها فكر «الشرقاوي» بالإتصال بأحد اقاربه للحصول على مذكرات «النحاس باشا» لنشرها، ولكنه لم يتمكن من هذا، وقيل له توجد مذكرات «سعد زغلول» وفعلاً تم نشرها .

وعن شخصية «الشرقاوي» ......

يقول صاحب الذكريات «الشرقاوي» كان شخصية ايجابية في مواقفه، وكان يحب اصدقائه، وكان يهتم جداً بما كان يطلق عليه الرئيس «السادات» اخلاق القرية التي منها الشهامة والأمانة والطيبة، ونصرة الضعيف، ونجدة الملهوف، وكان يطبقها على نفسه، ورغم انه كان رئيس مجلس ادارة ورئيس تحرير «روزاليوسف» التي تصدر عنها مجلة «صباح الخير» التي كان يراس تحريرها «فتحي غانم» الا انه لم يفرق بين اي منهما، وكان الرئيس «السادات» استبعد «صلاح حافظ» من «روزاليوسف» فاستفسر «الشرقاوي» عن هذا الاستبعاد من «لويس» ثم اعاد «صلاح حافظ» للكتابة مرة اخرى، ولم يعترض «السادات» على عودة «صلاح» ..

وبدأ «الشرقاوي» و «حافظ» يجتهدا في الكتابات في «روزاليوسف» إلى أن وصل التوزيع في عهد «الشرقاوي» إلى ١٦٥ الف نسخة، بعد أن كانت توزع ٧ الاف نسخة، حيث اهتما بنشر المذكرات، وكانت اشهرها وأهمها مذكرات «سعد زغلول» .

ويذكر «لويس» أن بعض المشاكل الإدارية بدأت تواجه «الشرقاوي» حيث كان يبحث عن أحد يثق فيه ليدير مؤسسة «روزاليوسف» لأن مدير عام المؤسسة حينها «عبد الغني عبد الفتاح» كان تولى رئاسة مجلس الإدارة بالإنابة لفترة، ويبدو أن أحد أفهمه انه يمكن أن يكون رئيس مجلس الإدارة، وبدأ يناكف «الشرقاوي» في أمور عديدة منها مثلاً : كل أخر شهر يقول : لا توجد أموال كافية لصرف الرواتب، فقرر «الشرقاوي» أن يتخلص من «عبد الغني» وبدأ يبحث عن بديلاً له، وكان يصطحب معه «لويس» في هذه المهمة، فعرض على «فؤاد صروف» وكان مدير أحد البنوك فإعتذر، ثم عرض المهمة على «عدلي أمين» الذي كان مدير توزيع الأخبار وإعتذر، ثم عرضها على شخص ثالث وايضاً رفض ..

فضحك «لويس» وقال : يا ريس عرضت على ٣ أفراد وإعتذروا، ما تعرض على أنا .فسأله الشرقاوي : وهل تترك الصحافة ؟

لويس : لا ولكن بجوار عملي كصحفي .. حيث كان «لويس» و «السعدني» رؤساء تحرير مجلة «صباح الخير» ..

يقول لويس : وافق «الشرقاوي» وأصدر قرار جاء فيه : يعين «لويس جريس» امين عام لمؤسسة «روزاليوسف» بالإضافة إلى عمله كرئيس تحرير «صباح الخير» . ويقول جريس : كانت مهمة جديدة عليه وكانت شاقة، لان الذين يتولون الإدارات المختلفة مثل المطابع، والمالية، والتوزيع، جميعهم كانوا رجال «عبد الغني» المدير العام السابق الذي تشاجر مع «الشرقاوي» ، وقام بإعطائه أجازة طويلة لانه كان يريد إحراج «عبد الرحمن الشرقاوي» بعدم توفير أموال الرواتب ..

ولكن «عبد الغني» جاء في يوم وجلس في مكتبه، وكتب منشور ووزعه في المؤسسة يقول : أن «عبد الرحمن» و«لويس» أشاعا الفوضى والإرتباك في المؤسسة، وأصدر قرار يقول : أن كل ما أصدره «لويس» من قرارات لاغية ..

وذهب «لويس» إلى «الشرقاوي» قائلاً : استاذ «عبد الرحمن» انا فوجئت بوجود منشور ضدي يوزع في المؤسسة، فأرسل «عبد الرحمن» أحداً يحصر له المنشور، وقال : «عبد الغني» لن يسكت، وأصدر قرار بمنحه اجازة مفتوحة إعتباراً من ذلك اليوم الذي وزع فيه المنشورات . وإختار «لويس» تحديداً ليعطيه خطاب القرار، وكان يجلس في المكتب الدكتور «صوفي ابو طالب» و«فهمي حسين» ..

اخذ «لويس» الخطاب وأعطاه إلى «عبد الغني» قائلاً : استاذ «عبد الرحمن» ارسل لك هذا .

عبد الغني : طيب أرجوك خليك هنا استاذ «لويس» وأنا نازل له ، ولكن «عبد الرحمن» رفض مقابلته ، وقال للسكرتيرة : اخبريه بانه ارسل له خطاب وعليه تنفيذ ما جاء فيه من تعليمات، ثم تحدث «الشرقاوي» مع الرئيس «السادات» الذي تحدث مع «ممدوح سالم» رئيس الوزراء، الذي اخبر مباحث امن الدولة ، فاستدعت «عبد الغني» وسألته أين تسكن ؟ فقال : في مصر الجديدة .

فقالوا له : لو أردت أن تذهب إلى الجيزة، فلا تذهب عن طريق شارع «القصر العيني»، بل إذهب عن طريق اخر، ونحذرك من المرور فيه نهائياً ..

ثم سافر «عبد الرحمن» مع الرئيس «السادات» في رحلة خارجية، فإتصل بـ«لويس» الدكتور «رفعت المحجوب» وكان أمين عام الإتحاد الإشتراكي، وكانت الصحف والمجلات تتبع الإتحاد الإشتراكي الذي يرأسه الرئيس «السادات» وطلب منه دفع راتب «عبد الغني»، واتصل لويس بـ«الشرقاوي» .

فقال له : لا تدفع راتبه وسأكلم الرئيس في هذا الأمر، والرئيس أخبر «ممدوح سالم» الذي أتصل يقول له : استاذ «لويس» فيه إيه؟ الرئيس كلمني وقال : إنكم لاتدفعوا راتب «عبد الغني» ماذا حدث ؟

لويس : الدكتور «رفعت المحجوب» كلمني وقال لي أنا أمرك أن تدفع راتب

«عبد الغني» .. وقلت له: مع احترامي وتقديري لسيادتك، «عبد الرحمن الشرقاوي» أوقف راتب عبد الغني» ولا بد من قرار منه .

فقال المحجوب : اذن كلمه وقول له اني أطالبكم بدفع راتب «عبد الغني» .

وكلمه «لويس» ورفض الشرقاوي وقال : خليه يخبط راسه في الحيط..

وفي النهاية يقول «لويس» : الإتحاد الإشتراكي هو الذي دفع له راتبه، مع تحذيره مرة أخرى بعدم المرور في شارع القصر العيني .

وبعد تعين «لويس» امين عام المؤسسة...

يقول : أن اي قرار كان يصدره او اية تعليمات كانت تصدر باسم «الشرقاوي» ويعلن انها اوامره. وذات يوم دخل «لويس» المؤسسة ووجد بعض سيدات المؤسسة يرتدين ملابس سوداء. فسأل : ايه الموضوع ؟

فقالوا : (ح ، ل)نائب مدير المطابع مات .

لويس : كيف مات ؟

قالوا : مضغ قطعة«افيون» أمس وكتمت على انفاسة ومات .

ويقول «لويس» الكل كان متجمهر، ومنتظر ماذا ستفعل «الدار» لزميلهم الذي توفى، وكأن «الشرقاوي» و«لويس» هما اللذان قتلاه .

فقال لويس : الأستاذ «عبد الرحمن» قرر اليوم اجازة في «روزاليوسف» حتى يخرج جميع الزملاء في جنازة (ح ، ل) ، وكان سيدفن في مدينة «بنها» ..

وقال ايضاً : أن «الشرقاوي» قرر صرف ٣ شهور لأسرته، وقرر تعين ابنه في المؤسسة.. وبهذه القرارات جعل المتحفزون يهبطون ولا يتحدثون .

ويقول لويس : انه اتخذ هذه القرارات دون أن يشاور «عبد الرحمن الشرقاوي» فيها ، المهم أن الكثيرون ذهبوا لدفن زميلهم وعند عودتهم ذهبوا إلى نادي «بنها»

واحضروا الطعام للزملاء وجلس الجميع يأكل وبدأوا في القاء النكات والقفشات وظلوا يضحكون والموضوع مر بسلام .

وبدلاً من أن يقولوا «لويس» و«الشرقاوي» السبب في موته دعوا لـ«الشرقاوي» وقالوا : فعل الكثير لأسرة (ح ، ل) . . . وينصح «لويس» انه في بعض المواقف إذا لم يبادر الإنسان ببعض القرارات والمواقف الحاسمة تنقلب الأمور لصالحة، ولا تفلت منه، وما فعله في ذلك الموقف قلب الموازين لصالحه ولصالح «الشرقاوي» .

وبسبب هذه القرارات التي كان يصدرها باسم «الشرقاوي» يؤكد «لويس جريس» حدوث تقارب شديد بينه وبين «الشرقاوي»، واصبح يوجد ثقة كاملة بينهما، إلى الدرجة التي جعلت الفنان «كرم مطاوع» يطلب من «لويس» أن يذهب معه إلى «منزل عبد الرحمن الشرقاوي» بعد ما كتب مسرحية «الحسين ثائراً» لأن «كرم» كان يقوم بالإعداد لإخراج هذه المسرحية، وكان يريد إجراء بعض التعديلات في النص، وبالفعل أصطحبه «لويس» إلى منزل «الشرقاوي» الكائن امام مجلس الدولة بالدور العاشر، واخبره «مطاوع» بالتعديلات التي يريد إجراؤها، ووافق عليها «الشرقاوي» .. ويضحك «لويس» وهو يقول : «سناء جميل» قرأت المسرحية وكانت تريد القيام بدور محوري فيها، وأخبر «لويس» هذه الرغبة إلى «كرم مطاوع» الذي كان يريد الدور لـ«سميحة ايوب» .

وقال له كرم : ولكني يا «لويس» اريد أن تخبر «سناء» بنفسك وبلاش انا اقول لها .

لويس : طب اقول لها ايه ؟

كرم : قول هذا الدور لا يصلح لممثلة خلفيتها مسيحية، ولا بد أن تكون ممثلة مسلمة.. ويضحك «لويس» مرة اخرى ويقول : مع أن ده ليس له اهمية لأن «سناء» قدمت دور «سمية» أول شهيدة في الإسلام، في فيلم «الرسالة» ، ولكن

«كرم» كان يريد «سميحة ايوب» في هذا الدور ..

ويكمل «لويس» أن بروفات المسرحية ظلت قائمة إلى أن أوقفتها الرقابة، من كثرة الكلام حولها، وقيل أن «الشرقاوي» كان بيلسن على الرئيس «السادات»، ولكن كان تم تسجيلها في الإذاعة .

ويقول كاتبنا الكبير: في تلك الفترة اهتم «عبد الرحمن الشرقاوي» برفع توزيع اعداد «روزاليوسف» و«صباح الخير» وبعد نشر مذكرات «سعد زغلول» ارتفع التوزيع حلقة بعد الأخرى، إلى أن وصل التوزيع إلى (١٠٠) الف نسخة، وجهز «لويس» أمر الطبع، حيث كان المفترض أن يوقعه بصفته المدير العام للمؤسسة، ولكنه ذهب إلى «الشرقاوي» ، وقال : استاذ «عبد الرحمن» هذا موقف تاريخي في «روزاليوسف» أن يطبع منها (١٠٠) الف نسخة، فأرجوك أن توقع امر الطبع، وكان امر الطبع في ذلك اليوم بتوقيع «الشرقاوي» وإستمر التوزيع يزداد كل اسبوع من ٥ الاف إلى ١٠ الاف إلى أن وصل التوزيع الى(١٦٥) الف نسخة من «روزاليوسف» و(١٥٥) الف نسخة من «صباح الخير» لدرجة أن مطابع المؤسسة لم تكن تستطيع ملاحقة نسخ الطبع التي ستصدر كل يوم أثنين، وكانوا يظلوا يطبعونها حتى الساعة ١١ صباحاً وتنزل كمية الصعيد ٣٠ الف، والخارج ٤٥ الف، وبدأوا يشعرون بالفرحة والزهو بسبب هذا التوزيع المرتفع، واصبحت رئاسة «الشرقاوي» لمجلس ادارة «روزاليوسف» من المحطات الكبرى في تاريخ المؤسسة .

مع أن كثيراً ما كان يأتي لـ«الشرقاوي» ملحوظات من الرئاسة تعترض على بعض الرسوم الكاريكاتورية التي كانت تنشرها المؤسسة .

ويؤكد «لويس جريس» ...

أن «عبد الرحمن الشرقاوي» كان يتمتع بشخصية ودودة ومحبة للعاملين معه، وكان يتحلى بأخلاق القرية من الشهامة والجدعنة، والوقوف إلى جانب الأصدقاء،

وكانت مواقفه واضحة دون مواربة أو مداراة، وكان سريعاً في قراراته ولهذا كان من الشخصيات التي لا تنسى. ويذكر «لويس» مشاجرة حدثت بين «الشرقاوي» بعد ما أصبح رئيس مجلس إدارة «روزاليوسف» وبين «إحسان عبد القدوس» في «أخبار اليوم» ، وكانت لدى «إحسان» رواية ويريد نشرها..

فقال له لويس : سأنشرها لك يا استاذ «إحسان» في «صباح الخير» .

إحسان : «عبد الرحمن» سيرفض نشرها .

لويس : ولو جعلته يوافق ؟

إحسان : ومالوا ايدي على كتفك .

وذهب «لويس إلى «الشرقاوي» قائلاً : استاذ «عبد الرحمن» الأستاذ «إحسان» لديه سيناريو فيلم، ويريد أن ينشره، وانا قلت له سأنشره لدى في «صباح الخير»، فقال : انك لن توافق .

الشرقاوي : يعني عاوز إيه يا «لويس» ؟

لويس : سأطلب استاذ «إحسان» حالياً، وحضرتك تقول له أهلاً بيك ومرحباً على صفحات «صباح الخير» .

الشرقاوي : يعني انت شايف كده ؟

لويس : ياريت.. وبالفعل طلب الأستاذ «إحسان» وأعطى السماعة للأستاذ «عبد الرحمن» الذي قال : اهلاً بيك ومرحباً في مجلة «صباح الخير» ..

وانتهى الخلاف بينهما . ويرى لويس« هذا الموقف دليلُ على شهامة «الشرقاوي» وسماحة «إحسان » .

وعن علاقة الشرقاوي بالسلطة ....

يقول صاحب الذكريات عنه انه كان متمرداً، وخاض معارك كثيرة مع السلطة،

وفي عهد «عبد الناصر» تم منعه من الكتابة اكثر من مرة، لأنه هاجم نظام «عبد الناصر» خاصة بعد فشل الوحدة مع سوريا، فتم فصله من جريدة «الجمهورية» فتفرغ لكتابة مسرحية «الفتى مهران»، التي تحدثت وأشارت للحقبة الناصرية، لكن بالرمز، حيث قال «الشرقاوي» ذلك صراحة «ان التعبيرعنده بالرمز، وعند غيره أصبح التعبير لغز» ..

وإصطدم «الشرقاوي» أيضاً بنظام «السادات»، حيث اتخذت «روزاليوسف» موقفاً سياسياً وإجتماعياً من مظاهرات ١٨،١٩ يناير ١٩٧٧ ، وأطلقت عليها إنتفاضة شعبية، وهذا كان ضد تعبير «السادات» الذي وصفها بإنتفاضة الحرامية، وحينها قرر «السادات» إعفاء «الشرقاوي» و«صلاح حافظ» و«فتحي غانم» من مناصبهم بالمجلة ..

ولكن الرئيس «السادات» إستدعى «الشرقاوي» قبل أن يقيله ..

وقال له : يا «عبد الرحمن» انا قررت أعزلك من «روزاليوسف» لانها لم تصبح مجلة، بل أصبحت حزب سياسي، وسأعين أخر يتولى إدارتها حتى لا أقرأ «روزاليوسف» ولا «صباح الخير»، وبالفعل عين «مرسي الشافعي» رئيس لمجلس الإدارة، و«عبد العزيز خميس» مدير تحرير «روزاليوسف» و«صباح الخير».. وحينها كان «محمود السعدني» هربان في «لندن» فكتب هذا العهد الخسيس، الذي عين فيه «خميس» .

ومن هذه الإقالة يؤكد «لويس» أن «الشرقاوي» أضاف تقليد من التقاليد التي إنفردت بها الصحافة المصرية..

عندما قال : يا «لويس» أنا عاوزك تنتظر «مرسي الشافعي» و«عبد العزيز خميس» على باب المؤسسة لتستقبلهم وتصعد بهما هنا إلى مكتبي، لنتناول الشاي والبسكويت ونرحب بهما، وبعد ذلك تطوف معهما على العاملين بالمؤسسة فرداً

فرداً، لتعرفهما على العاملين بالمؤسسة، ثم تأتي بهما إلى مكتبي مرة أخرى ونحتسي القهوة سوياً، ثم أقوم أسلم «مرسي الشافعي» المكتب وأقول له : هذا هو مكتبك، وانت تصطحب «عبد العزيز خميس» إلى مكتبه ، ثم تعود وتصطحبني إلى باب الخروج في المؤسسة وتودعني، ثم نتقابل بعد ذلك ..وبالفعل تم هذا السيناريو الذي أراده «عبد الرحمن الشرقاوي» . وظل هذا التقليد يتبع في كثير من المؤسسات الصحفية.

فاطمة اليوسف ..




عن «فاطمة اليوسف» ...

يقول «لويس جريس» عندما يستمع الإنسان إلى اسم «روزا» يشعر انه اسم أجنبي ولا يمت بصلة إلى مصر، ولهذا يوجد أسئلة كثيرة وجدل كبير يدور حول نشأة وبدايات «روزا اليوسف» مثل : هل هذه السيدة التي عرفت في القرن العشرين باسم «فاطمة اليوسف» تعتبر من أهم سيدات مصر في القرن العشرين ؟ لأنه مع إسترجاع كل الذين إشتهروا من السيدات في مصر خلال القرن العشرين، نجد عددهن صغير جداً، منهم «درية شفيق» مؤسسة حزب «النيل» ، و «مفيدة عبد الرحمن» أول محامية مصرية، أو «عزيزة راشد» وكانت أول مصرية تقود طائرة، أو «سنية قراعة» الكاتبة الإسلامية الشهيرة، و«عائشة راتب» أول وزيرة في مصر، و «نبوية موسى» عالمة الذرة، وكل هؤلاء اتيحت لهن فرصة التعليم والحصول على الشهادات ، ومن ثم النبوغ ..

ولهذا «فاطمة اليوسف» هى أجدرهن بلقب سيدة القرن العشرين، ذلك لأنها لم تذهب إلى مدرسة، ولم تكن تجيد القراءة ولا الكتابة، وظهرت في مصر وهى

طفلـة في العاشـرة مـن عمرهـا، وكـان يمكـن أن تضيـع في زحـام القـاهرة أو الأسكندرية، والكثيرون قالوا : انها كانت قادمة من لبنان أو بلاد الشام التي كانـت سوريا ولبنان في ذلك العصر..

لكن لم يعرف أحد كيف وصلت إلى الأسكندرية دون أب أو أم ؟ ..

وما الذي دعاها إلى ركوب مركب تصل بها إلى الأسكندرية ؟ ..

وكيف نزلت وعاشت في الأسكندرية ؟ ..

ثم كيف جاءت من الأسكندرية إلى القاهرة ؟ ..

كل هذه الأسئلة حاول «لويس» مع غيره كثيرون أن يجد لها أجوبة ، ذلك لأن «فاطمة اليوسف» لم تجيب عنها عـلى الإطـلاق حتـى في كتابهـا «ذكريـات» الـذي تحدثت فيه عن أيامها في الفن، وأيامها في الصحافة، لأنها عملـت مـن صغرها في المسرح، وكتب عنها النقاد، وأشادوا بموهبتها ووصفوها بـ«سارة برنـار الشـرق» التي كانت أشـهر ممثلـة مسـرحية في فرنسـا في ذلـك الزمـان، والأسـتاذ «محمـد التابعي» هو الذي أطلق عليها هذا الوصف .

ويقول صاحب الذكريات ...

المدهش عندما أنشأت مجلة «روزاليوسف» جعلتها في حجـم الجريـدة ، وإذا قلنا أن «اخبار اليوم» هى حجم الجريدة الإسبوعية، فكانت مجلة «روزاليوسـف» اليومية السباقة إلى هذا الحجم في تلك الفترة، لأن «فاطمة اليوسف» كانت جريئـة في مواقفها ومتطورة في أفكارها، ولهـذا إختـارت أن تصـدر مجلـة وتضـع عليهـا اسمها، لدرجة أن الكثيرين إستهجنوا هذا الموقـف، وكانـت «فاطمـة اليوسـف» تعلمت الفرنسية والعربية بالسمع، لأنها لم تدرس، وكانت هنـاك «مديحـة عـزت» التي تقرأ لها الجرائد والمجلات، وتكتب لها ماتريد كتابته .

وعندما كانت تصل إلى «روزاليوسف» كان الجميع يشعر بوجودهـا، والكـل

كان يستعد للقاءها ويسعد به، وعندما إستفسر الكثيرون وسألوا عن الطريق الـذي إختارته في مشوار الصحافة، لم يجدوا غير أن ما كان يكتب عن الفـن والفنـانين في الصحافة كان يشوههم ولا ينصفهم، فقررت إصدار مجلـة لتـدافع بهـا عـن الفـن والفنانين .

وبدأت المجلة في مارس ١٩٢٥ ، وكانت وفدية وتتحدث بلسان حال الوفد، وذلك بسبب إشتغال الصحفيون الوفديين في المجلة، وكان أول رئيس تحرير لهـا هـو العمـلاق «عبـاس محمـود العقـاد» بثوريتـه وإنتمائـه لـ«الوفـد» ، وظلـت «روزاليوسف» مجلة وفدية وتنحاز إلى الوفد وقضاياه التي تهم الشعب حتى إلغـاء معاهدة ١٩٣٦ التي ألغاها «النحاس» باشا، ثم تولى «محمد التابعي»رئاسة تحريـر «روزاليوسف» فأعلنت المجلـة إسـتقلاليتها عـن الوفـد، وعـدم إنتمائهـا إلى أي حزب، لأن الحكومات المعادية لحزب الوفد كانت تصادر اعداد «روزاليوسـف» مرات عديدة، وكانوا ينتظرون حتى تتم الطباعة لتكون الخسارة كبيرة. إلى أن فكر «التابعي» أن يتركها ويصدر مجلة «اخر لحظة» التي إشتراها منه بعـد ذلـك «عـلي ومصطفى أمين» وتحول إسمها إلى «اخر ساعة»

ويقول كاتبنا الكبير ...

ظلت «فاطمة اليوسف» تواجه التحديات والصعاب، وتستمر في إصـدار المجلـة، لكي تدافع عن رسالة الفن والفنانين، وكانـت أصـعب التحـديات هـى كيفيـة تـوفير الأموال لطباعة المجلة؟ .. ويذكر أن «طلعت حرب» من كثـرة مـا كانـت حكومـات الأقليات تصادر «روزاليوسف» وتغلقها، وكانت «فاطمة اليوسف» تتحايل عـلى هـذه الحكومات بأنها كانت تصدر المجلة بأسماء أخرى، وأشـهرها بعنـوان «الصـرخة» ، التي إستخدمتها كثيراً عند إغلاق «روزاليوسف» ، فسألها «طلعت حرب» كم يلزمهـا من الأموال حتى تستمر المجلة في الصدور لمدة سنة كاملة ؟

فقالت : ٣٠٠ جنيه ..

وأقرضها المبلغ بفائدة بسيطة حتى تستطيع الإستمرار في الصدور .. فقد كانت سيدة فريدة ونادرة لأنها إستطاعت التغلب على كل الصعاب وأن تستمر في نجاح، فقد كانت إمرأة عصامية وتستطيع أن تشارك الرجال مواقفهم في ذلك الزمان .

وعانت كثيراً بسبب مواقفها وأرائها التي كانت تنشرها في المجلة، والتي كانت تغضب «السرايا» ورجالها.. ويضحك «لويس» وهو يقول : عندما أنعم الملك «فاروق» على «أم كلثوم» بوسام العصمة..

«فاطمة اليوسف» قالت : « يعني «فاروق» ابن«نازلي» يعطي «أم كلثوم» وسام صاحبة العصمة وأنا لاء ؟»..

وبالطبع هذا الكلام وصل إلى «السرايا» ولم تهتز أو تخشى شيئاً، وقد كتب أحمد الصاوي محمد» عنها ووصفها بإنها إمرأة بألف رجل ... ولهذا كثيراً ما كانت تخرج مظاهرات مدفوعة ومدبرة، ضد «فاطمة اليوسف» تهتف وتقول : يا «روزا» عودي إلى شارع «عماد الدين» ، وكان يقف خلف هذه المظاهرات، السرايا، و«علي ماهر» و «أحمد حسنين» ، لأن «فاطمة اليوسف» كانت تتندر في جلساتها ، بأغنية في ذلك الزمان كانت تقال في المظاهرات «يا »فاروق» يا نور العين ، أمك بتحب إتنين، «علي ماهر» ، و«أحمد حسنين» ، و«فاطمة اليوسف» كانت ضد الإنجليز ، والملك، ورجال السرايا .

ومن معاركها الشهيرة، انها كانت تطالب المساواة بين المرأة والرجل، في الأجر وفي المناصب، والعمل على ضرورة وجود سيدة في منصب وكيل النائب العام، وروجت لقضية «عائشة راتب»، عندما أقامت دعوى قضائية بعد أن تم رفض قبولها في سلك النيابة العامة، فقد كانت «فاطمة اليوسف» تسبق عصرها، في أرائها وأفكارها ومواقفها، رغم عدم إلتحاقها بالمدارس وعدم حصولها على شهادات ..

ويقول «لويس جريس» ...

يقال أن «زكي طليمات» هو أول أزواجها، حيث وجدها أمام ملهى في شارع «الألفي» بوسط البلد، وكانت طفلة تقف مبهورة وهى تشاهد أفيشات الأفلام وصور الفنانين، وأخذها «طليمات» وأعطاها إلى «سعيد ابو بكر» لتعيش في منزله حيث كان متزوجاً، ولكن تنقلات «سعيد» الكثيرة حالت دون إستمرار «روزا» معهم ، فأخذها «طليمات» وأودعها في دار رعاية إجتماعية تشبه المدرسة الداخلية في شارع «المعمار» ، خلف الأنتكخانة، وكانت مؤسسة إجتماعية يسكن فيها المغتربات وبعض السيدات العاملات، ثم خرجت منها وتزوجت من «زكي طليمات»، وأنجبت منه «امال طليمات» الشهيرة بـ«ميمي» ، وتم الإنفصال، وتزوجت بالفنان «محمد عبد القدوس» الذي أنجبت منه «إحسان» ، ثم تم الطلاق أيضاً .

وكل هذه الأحداث والصعاب ذادتها قوة وصلابة، واستطاعت التغلب على جميع الصعاب التي يمكن أن تواجه انسان وتقضى عليه ، بل تخفيه من الوجود، ولكن «روزا» استطاعت المقاومة والإستمرار وإحراز النجاحات، تلو النجاحات.

ولهذا يراها «لويس جريس» معجزة القرن العشرين دون منازع .

فتحي غانم ..



يقول «لويس جريس» أن .....

الأستاذ «فتحي غانم» كان كاتب روائي وقصة قصية، وعندما جاء «لويس» في بدايات إصدار مجلة «صباح الخير» ، كان «فتحي غانم» يعمل في صحف أخبار اليوم.. وعندما إنتقل «فتحي غانم» إلى «صباح الخير» لم يكن «لويس» موجوداً في مصر، حيث كان في بعثتة الدراسية إلى أمريكا والتي إستمرت ثلاث سنوات، وجاء الأستاذ «فتحي غانم» خلفاً للأستاذ «أحمد بهاء الدين» .

ويؤكد كاتبنا الكبير ......

انه كان من المفترض والمتوقع، أن يرأس تحرير «صباح الخير الأستاذ «صلاح عبد الصبور»، خلفاً لـ«أحمد بهاء الدين» ، حيث كان يعمل قريباً منه ومن «إحسان عبد القدوس»، والأستاذ «على الراعي» الناقد الفني والمسرحي، والحاصل على الدكتوراة من إنجلترا، والذي جاء إلى مصر وحضر المسرحية الشهيرة «الحلاج» ، والتي قدمها «صلاح عبد الصبور» وكتب عنها «الراعي»

واصفاً «عبد الصبور» بصفات المجدد في المسرح .

ولكن لوجود علاقة صداقة بين «محمد أحمد الجندي» زوج «امال طليمات» اخت «إحسان عبد القدوس» من والدته، والتي كانت تشتهر بأسم «ميمي» ، وكان «الجندي» صديقاً لـ«فتحي غانم»، فأوصى إلى «امال» زوجته أن ترشح «فتحي غانم» إلى اخيها «إحسان»، ليعين رئيساً لتحرير مجلة «صباح الخير» بدلاً من «صلاح عبد الصبور»..

و«إحسان» لم يكن يريد أن يشعر اخته بانه المتصرف الوحيد في ادارة «روزاليوسف»، فوافق على أن يجعل إختيارها لرئيس تحرير «صباح الخير» على هواها في ذلك الترشيح، ومن هنا جاء «فتحي غانم» في هذا المنصب .

ويقول صاحب الذكريات ..

مع رجوعه إلى مصر وعودته للعمل في «صباح الخير» تأكد أن «فتحي غانم» كان يعرفه جيداً دون سابق لقاء، هذا لأن زملاء «لويس» ورؤسائه قاموا بتزكيته لدى «فتحي غانم» بتزكية كبيرة جداً، وقالوا : أن الأستاذ «أحمد بهاء الدين» كان يترك امور «صباح الخير» إلى «لويس جريس» وكان يعتمد عليه ويأتمنه على كل ما فيها..

ويؤكد «لويس» أن «فتحي غانم» حينها كان مشغولاً بكتابة الروايات، وبالفعل ترك إدارة «صباح الخير» إلى «لويس جريس» وبدأ ينشغل في كتابة الروايات، التي بدأها برواية «الرجل الذي فقد ظله» ، وكانت من الروايات التي تتبعها القراء في «صباح الخير» بإهتمام شديد على حلقات، حيث كان «فتحي غانم» يختتم الحلقة بنهاية مشوقة ومثيرة .

وعلى مدى ٣ سنوات ، كان «لويس» مدير تحرير «صباح الخير» وبدأ يهتم بها وتفرغ «فتحي غانم» لكتابة الروايات التي كان ينشرها في «صباح الخير» وظل

ينتهي من رواية ليبدأ رواية ثانية، وثالثة، ورابعة، وهكذا..

ومن هنا أصبح «لويس جريس» منافساً شريفاً للمجلات التي كانت تصدر في ذلك الوقت، وكان أهمها مجلة «المصور» التي كان يرأس تحريرها «أحمد بهاء الدين»، ومجلة «اخر ساعة» والتي كان يراس تحريرها «محمد حسنين هيكل».. وكان الوسط الصحفي يعلم جيداً أن «فتحي غانم» متفرغاً لكتابة الروايات، وان الذي يتولى ناصية «صباح الخير» هو «لويس جريس» الدارس للصحافة في الجامعة الأمريكية، والذي أكملها ببعثة دراسية في جامعة «ميتشجان» بأمريكا، ولهذا أطلق عليه الأستاذ «هيكل» قائلاً : «لويس» مثل الأشباح نسمع عنهم ولا نراهم .

ويقول «لويس» انه إستفاد كثراً من «فتحي غانم» ، وأول هذه الإستفادة انه كان يدير مجلة ومن خلالها إستطاع أن ينافس اثنين من عمالقة الصحافة المصرية «هيكل» و «بهاء» مع انه لم يكن معروفاً مثلهما، لأن «بهاء» كان مشهوراً بمقالاته السياسية ومقاله الإسبوعي في مجلة «المصور» ، والأستاذ «هيكل» كان مشهوراً بمقاله الإسبوعي في أهرام الجمعة..و«لويس» يؤكد انه لم يجعل احداً يشعر بوجوده، ولم يكن يتحدث عن اهميته، وكان يعمل في صمت شديد، لكن بإدراك ووعي صحفي تعلمه من خلال دراساته في الجامعة الأمريكية بالقاهرة، ثم من خلال عمله في بعض الجرائد الأمريكية لمدة سنة في ولاية «ميتشجان» .. وعن «فتحي غانم» الذي يعتبره من المجددين في الصحافة، يقول : لأنه كان يهتم بالتحقيق الصحفي، حيث كان يتحدث معهم ويطالبهم أن يكون التحقيق مثل القصة القصيرة، له بداية ووسط ونهاية، ولهذا كانت تحقيقاتهم الصحفية في «صباح الخير» عبارة عن قصة قصيرة، عن مظاهر الحياة اليومية في مصر..

وقاموا ينشر تحقيقات ترصد جميع المزارات الشعبية، مثل «حمام التلات» هذا الحمام الشعبي الشهير في ذلك الوقت، وما هى الطقوس داخل هذا الحمام ،

وأيضاً تم نشر تحقيقات عن مجرات السيول في الأقصر واسوان، وتحقيقات عن الجبال المرتفعة ذات الألوان المختلفة في سيناء، وتحقيقات اخرى عن «الربع الخالي» بين مصر وليبيا، وكانت تحقيقات مشوقة بها معلومات وتظهر صور جديدة عن الحياة في مصر، لم يكن احد يلقى عليها الضوء، مثل التحقيقات التي نشرت عن سوق الحمير، والذي لم يكونوا يعلمون أن هناك سوق معين لبيع الحمير في البراجيل، وان من صفات الحمار انه يعرف سكنه وطريقه وبعد أن يتعلم الطريق، كان يتم تهريب سلع كثيرة بواسطة الحمير، من ليبيا إلى مصر، وكان المهربون يحملون على الحمار السلع التي لم يكن يجرؤ احد إدخالها إلى مصر خاصة «الويسكي» حيث كانت الضريبة على «الويسكي» ٣٠٠٪ ، وأيضاً كان يتم تهريب الملابس الجاهزة، وكل ما هو ممنوع إستيراده كان يتم تهريبه من ليبيا إلى مصر بواسطة الحمير..

وعن ميول «فتحي غانم» ..

يقول «لويس»: كانت ميوله إشتراكية في عهد «عبد الناصر» أو هكذا كان يزعم «فتحي غانم» لأن «أحمد بهاء الدين» كتب مقال هاجم فيه الفهم الإشتراكي لـ«فتحي غانم» بعنوان «إشتراكية الخديوي إسماعيل» وكان «فتحي غانم» على وشك أن يرد عليه بمقالة مضادة، لكن بعض الأصدقاء تداركوا الموضوع، وطالبوه بعدم الرد حتى لا يشتعل الصراع وتزداد الخصومة، وكانوا يعلمون أن «بهاء الدين» أقوى في حجته، وفي الكتابة كان يستطيع أن يمرمط بـ«فتحي غانم» الأرض..

ثم جمعوا بعض الأصدقاء بينهما وصفوا النفوس، حتى يكف «بهاء» عن الكتابة ضد «فتحي غانم» ، وهذه الأطراف كانوا يعملون في «روزاليوسف» وسبق لهم العمل مع «أحمد بهاء الدين» مثل «عبد الغني ابو العينين» و« بهجت عثمان» و «جورج البهجوري» وكانوا لا زالوا على صلة بـ«أحمد بهاء الدين» ولهذا وجدوا

طريقة سريعة لتصفية الخلافات بينهما، وهذا يثبت أن «فتحي غانم» لم يكن إشتراكياً، و«بهاء» كتب مقالة اخرى بعنوان «دراويش الماركسية» ووصف البعض، ومنهم «فتحي غانم» انهم يدعون الماركسية ولكنهم لا يفهمون اصولها ولا مبادئها الأساسية، التي تقوم عليها الإشتراكية العلمية، وبالطبع كان يقصد «فتحي غانم» وغيره ممن كانوا يتصدون للكتابة عن الإشتراكية في ذلك الزمان .

واستمر «فتحي غانم» في رئاسة تحرير «صباح الخير» إلى أن قام «جمال عبد الناصر» بتأميم الصحافة عام ١٩٦١، وعين أصحاب الصحف رؤساء مجالس إدارات مثل «مصطفى وعلي أمين» في الأخبار و «إحسان عبد القدوس» في «روزاليوسف» و «شكري وإميل زيدان» في «دار الهلال»، ونقل «فتحي غانم» رئيس مجلس إدارة دار التحرير «الجمهورية» لأنه في ذلك الوقت كان تزوج من «احلام ناشد» شقيقة «اماني ناشد» الإعلامية الشهيرة، وكان «شمس بدران» ابن خالتهما، وما أدراك ما «شمس بدران» وزير الحربية ورجل المشير «عامر» لدرجة انه رشح رئيس جمهورية خلفاً لـ«عبد الناصر» بعد نكسة يونية ١٩٦٧ ، وعين معه «حلمي سلام» الذي كان له علاقة بالمشير ايضاً..

وإستمرت علاقة «لويس جريس» بالأستاذ «فتحي غانم» حتى أصبح رئيساً لوكالة أنباء الشرق الأوسط، وكلمه «غانم» وطلب منه ترشيح بعض زملاء «لويس» الدارسين معه في الجامعة الأمريكية، ليعملوا معه في الوكالة لينشطوا بها، وبالفعل رشح له «فريد كامل» الذي عين في مكتب روما، و«ديفيد بشاي» الذي عين في مكتب لندن..

ثم استمرت العلاقة بين الأستاذ «فتحي غانم» وبين «لويس جريس» إلى أن توفي «فتحي غانم» في عام ١٩٩٩.

الدكتور / مصطفى محمود ..




يقول «لويس جريس» عن صديقه الدكتور «مصطفى محمود» ...

انه شخص لا ينسى، فقد كان إنسان بشوش وضاحك وصاحب قفشات، وأسلوب رشيق في الكتابة والتعبير عن ما يريد أن يوصله إلى القارئ.. كان «مصطفى محمود» من «طنطا» وإلتحق بكلية الطب، وعمل وهو طالب في فرقة لإحياء الأفراح، للإنفاق على دراسته، لدرجة انه من كثرة إرهاقه أصيب بمرض «السل» وأُحتجز في عنبر ٧ في مصحة حلوان، وكان يرسل بعض قصصه لكي تنشر في تلك الأيام إلى جريدة «النداء» لأنه كان يعيش على ما كان يكتبه من قصص، وخص «صباح الخير» ببعض هذه القصص عن طريق «حسن فؤاد» الذي كان يحب «مصطفى محمود» جداً، وذلك في بداية الخمسينات، حيث كان يوجد ٣ من طلبة كلية الطب ينشرون القصة القصيرة في «روزاليوسف» و«صباح الخير» وهم «يوسف إدريس» و «نوال السعداوي» ولكنهما كانا يتنقلان بين الجرائد والمجلات، لكن ثالثهم «مصطفى محمود» كان مواظباً على النشر في «صباح الخير» ..

و«مصطفى محمود» كان جار «لـويس جـريس» ايضـاً في السـكن حيث كـان يسكن في ٣ شارع مراد بالدور الخامس، و«لويس» يسكن في الشـقة المجـاورة لـه مع شقيقه «مفيد» وإمتدت الصداقة بينهما منذ منتصف الخمسـينات وحتـى وفـاة «مصطفى محمود» في اكتوبر ٢٠٠٩ .

وأصبح ....

«مصطفى محمود» بعد ذلك مشرفاً عـلى بـاب «إعترفـوا لي» ويتـذكر «لـويس» زكائب الخطابات التي كانت تصل إلى «مصطفى محمـود» مـن القـراء، ويقـول : كانت تفوق اي خطابات كانت تصل إلى «إحسان عبد القدوس» أو «فتحي غـانم» أو «يوسف السباعي» أو «أحمد بهاء الدين» ، لأن «مصـطفى محمـود» كـان يعطـي الأمل للقراء اصحاب المشاكل ، حتى مع زملائه عندما كان يدخل المجلة، كـانوا يلتفون حوله ويشعرون بالبهجة لانه كان يلقي القفشات والضحكات، فقـد كـان ساخراً بطبعه..

ولم يكن «مصـطفى محمـود» ناصـرياً او يسـارياً، واذا كـان لابـد مـن تصـنيفه أيدولوجياً..يقول «لويس» : كان «مصطفى محمود» وجودياً خلال فترة شبابه مثل «جان بول سارتر»، وكان يعشـق المـرأة بشكل جنـوني، ودائمـا كـان يقـول : يـا «لويس» انا ضعيف امام المرأة، وأعتقد انه لن يهزمني في الحياة سوى المرأة ..

وفي عام ١٩٦٠ كان «مصطفى محمود» يعمل حكيم باشا في مستشـفى الصـدر بالعباسية براتـب ٤٠ جنيـه، وفي ذات الوقـت يشـرف عـلى بـاب «اعترفـوا لي» في «صباح الخير» براتب ٦٠ جنيه، ثم أصدر «عبد الناصر» قانون عـدم الجمـع بـين وظيفتـين، فـذهب «مصـطفى محمـود» إلى «إحسـان عبد القـدوس» وقـال : يـا «إحسان» انا على استعداد أن اترك مهنة الطب وأتفرغ للعمل في «صباح الخير» لـو أعطيتني الـ«١٠٠» جنيه ..

ووافق «إحسان» وعينه بـ١٠٠ جنيه ..

ويؤكد لويس : على لو أن «مصطفى محمود» كان طلب أكثر من هذا المبلغ لكان وافق «إحسان» لأن «مصطفى محمود» كان مشهوراً ومحبوباً، وكانت عباراته سهلة ورشيقة، وقد كان انسان بسيط مثقف يخاف من المرأة ويعشقها في ذات الوقت إلى حد الجنون .

ويذكر صاحب الذكريات ذات يوم ...

إتصلت به سيدة وحكت له مشكلتها، وأعجب بها من خلال الاتصال التليفوني، وطلب منها أن يراها، فرفضت لانها لا تقابل احد ..

فقال : سأراكي من بعيد ولن احدثك .

فقالت : كيف ؟

فقال : يوجد محطة أتوبيس في شارع مراد امام مقهى «استراند» ، وكان في اخر شارع مراد بعد محطة البنزين، (هذا المقهى هدم وبنى مكانه عمارتين) ..

المهم أن «مصطفى محمود» اقنعها بعد ذلك بأن تأتي عند المحطة، وإتفقا على أن ترتدي ملابس معينة حتى يعرفها، و«مصطفى محمود» كان لديه تليسكوب ينظر به من الدور الخامس، وبالفعل جاءت في الموعد، ورآها من خلال التليسكوب، ووجدها شابة جميلة وأعجبته، ثم في إتصال أخر طلب منها أن تنتظره حتى يقابلها لكنها رفضت ..

وقالت : انها لا تخرج ولا تقابل احد .

فقال : ألا تخرجين إلى أي مكان ؟

قالت : احيانا أخرج إلى الصيدلية التي في شارع مراد .

وبالفعل جاءت إلى الصيدلية لشراء أسبرين، ونزل«مصطفى» مسرعاً ليلحق بها، ولكنه لم يستطع لقاءها، ومن حينها ظل يترقب إتصالها به، إلى أن إتصلت .

فقال : الحقيقة اني كنت لا أفكر في الإرتباط بأحد، ولكنني أريد أن أتزوجك .

فقالت : موافقه وتعالى قابل بابا .

ووافق «مصطفى» وأعطته العنوان، وبالفعل ذهب وقابل والدها، وكان «مصطفى» في عمر الـ٤٥ سنة، وتزوجها وأنجب منها «أدهم» و «امل» ..

ويقول لويس : ثم بدا يزهقها ويقرفها في حياتها، لأنه لم يكن يريد زوجة في حياته، حتى لا يتقيد بالواجبات الزوجية والمسئولية الأسرية، وكان يريد أن يعيش حياته لنفسه ولكتاباته وقرائه ، وتم الإنفصال .

ويذكر كاتبنا الكبير ....

انه و«مصطفى محمود» كانا يلتقيان كثيراً بحكم العمل والجيرة، ويضحك «لويس» ويقول : ذات يوم وجده «مصطفى» خارج من سوبر ماركت الكائن تحت العمارة التي كانا يسكنان فيها، ومعه جبنه رومي، ولانشون، وبسطرمة، وزجاجة للشرب ..

فسأله : إيه يا «لويس» انت هتشرب وتسكر، فيه إيه مضايقك، ولا انت زعلان مع «سناء» ؟

لويس : اه فيه بعض الخلافات معها .. (هذا كان قبل الزواج).

مصطفى : شوف يا «لويس» يا خويا، ما تقومشي بهذه العملية ابداً، ولما حاجة تضايقك تروح تشرب وتسكر، وتفكر تنسى .

لويس : اعمل إيه يا «مصطفى» انا متضايق جداً ؟

مصطفى : واجه وهذا أفضل، قابلها وناقشها حول الزواج، أو الإنفصال، لأن المواجهة في حل المشاكل أفضل، ولا تجعل نفسك معلق، وإتخذ قرارك بعد المواجهة، ولا تشرب وتسكر وتعيش مع ذكرياتك الصح والغلط .

ويضحك «لويس» مرة أخرى ويقول : «مصطفى» كان بارعاً في حل المشاكل، بل كان مصيبة كبرى، وكان لديه حلول جذرية لأي مشكلة تعرض عليه..

وبالفعل تحدث «لويس» مع «سناء جميل» بناء على نصيحة «مصطفى» صديقه في تلك الليلة، وقالت «سناء» : انها ستقابله غداً في مقهى «استراند» وسوف تضع النقط على الحروف، وبالفعل أنهيا كل الأمور بالإتفاق حول الزواج في ذلك اللقاء.

وعن تحوله من الفكر الوجودي إلى الإيمان...

يقول «لويس» «مصطفى محمود» كان فكره وجودي، وكان كتب مقالات عام ١٩٥٦ بعنوان «الله والإنسان» في «روزاليوسف» والتي جمعها في كتاب بنفس العنوان، ولكن تمت مصادرته، ثم أعاد صياغته وحذف منها الفكر الإلحادي الذي كان به، والتي أوجدت خلافاً شديداً بينه وبين الأزهر..

ويؤكد «لويس» أن «مصطفى محمود» بدأ يقلل من كتاباته في «صباح الخير» عندما بدأ يكتب «رحلتي من الشك إلى اليقين» وبدأت إهتماماته بالكتابات الدينية، ويعتقد «لويس» أن الذي غير فكر «مصطفى محمود» إلى الإيمان انه كان يتأمل في معجزات الكون، وفي وظائف جسم الإنسان، وتأكد من وجود خالق، لإنه من الصعب أن هذا الجسد المحكم، والذي يدير أجهزته دون كلل أو ملل أو إشارات، أو دون إعطاء أوامر لأعضائه مثل القلب، والكبد وجميع الأعضاء الداخلية للإنسان، ليس له خالق ..

ومن هنا بدأت مقالاته عن العلم والإيمان، وقدم برنامج بنفس الأسم، وكان الشيخ «صالح كامل» ينتج له الحلقات، لأن «ادهم» نجل «مصطفى» بعد وفاة والده، كان يعتقد أن هذه الحلقات ملكاً لأبيه، فذهب ليطالب بها فقالوا له انها ملك للشيخ «صالح كامل» لأنه هو الذي أنتجها .

المهم أن «مصطفى محمود» في كتاباته ورحلته إلى الإيمان كان يتحدث عن نفسه، وعن الرجل الذي لم يكن يؤمن، إلى الرجل الذي أصبح مؤمناً، والى الإنسان الذي إستطاع أن يبني وجوده في الحياة على أساس متين من تفكيره، وعندما كان يشك في وجود الله عز وجل، ويبدأ رحلته محاولاً إثبات العكس لكي يقود الإنسان في حياته، فهو وضع نفسه نموذج للإنسان المتمرد الذي لا يؤمن بشئ .. ولكنه يقول لنفسه لا تتوقف هنا فقط .. ولا يكفي انك لا تؤمن بل عليك أن تكمل الرحلة ..

وهل بعد عدم إيمانك ورفضك لكل شيئ ستظل هكذا لا تؤمن ؟ .. أم أن هناك حياة أخرى يجب أن تتمثل بها وتعيشها، وتحاول الوصول اليها لكي تصبح وأنت متشكك، بأن تتحول مؤمناً .. او وانت متشكك تجد طريقاً أخر تسلكه ليصل بك إلى الإيمان .. ويؤكد «لويس جريس» أن «مصطفى محمود» إجتهد ليصل إلى اليقين بالإيمان، بعد أن خاض الرحلة التي كان عليه أن يخوضها والمسيرة التي كان يجب أن يسير فيها، ليجد طريقاً أخر يصل به إلى بر الإيمان ..

ويقول لويس جريس ......

وتزوج «مصطفى محمود» الزواج الثاني له، ولكنه كان إشترط عليها شرطاً بأن يعيش كل واحد منهما في شقته، على أن يلتقيا خميس وجمعة من كل إسبوع، ووافقت الزوجة الثانية على هذا الشرط، وتم الزواج ..

ويؤكد «لويس» أن «مصطفى محمود» كان صديقاً عزيزاً ووفياً، ويذكر انه كان مسافراً إلى الصعيد، وقال : يا «مصطفى» سأسافر حتى أرى عائلتي .

مصطفى : ياريت أجي معاك يا «لويس» .

وبالفعل سافر معه إلى «ابو تيج» بأسيوط، في منزل شقيقه، ثم ذهبا إلى «صطفة» لزيارة شقيقته، وسافرا إلى سوهاج لزيارة شقيقته الثانية، وكان «مصطفى» معه في هذه التنقلات، ثم عادا ، وكتب «مصطفى محمود» رواية «المستحيل» من خلال هذه الرحلة .

وعن هجوم الدكتور «مصطفى محمود» على الرئيس «جمال عبد الناصر» وعلى سياساته وعلى عصره بالكامل ..

يقول «لويس» أن «مصطفى» كان ضد الفكر الناصري والماركسي، وظهر هجومه في أحد المرات بعد ما شاهد فيلم «محاكمات نورمبرج»، فكتب عن هذا الفيلم، وتم رسم صورة الصليب المعقوف الخاص بالنازية، ومعها صور لـ«عبد الناصر» ومن هنا بدا الهجوم عليه من بعض الناصريين والشيوعيين، ودار سجال بينه وبين «خالد محي الدين» من خلال مقالات للرد على بعضهما، وكان «مصطفى» يميل إلى الرئيس «السادات» وعندما كتب «رحلتي من الشك إلى اليقين» فهذا ما قربه من «السادات» الذي كان سعيد جداً بلقب الرئيس المؤمن، وبشعار دولة العلم والإيمان، و «مصطفى محمود» كان سبباً في هذه المسميات

وعن مشروعه الخيري..

يقول صديقه «لويس» أن «مصطفى محمود» كان يريد أن يسعد الأسر الفقيرة، ويخفف ألامهم، فأنشأ المسجد والمستشفى والعيادة لعلاج الفقراء من الناس، وأسماه مسجد «محمود» على اسم والده الذي كان يعتبره من أولياء الله الصالحين، لأنه كان زاهداً في الدنيا، وكان رجلاً تقياً، ووضع جميع ما يملك في بناء مشروعه الخيري، حتى يصل العلاج إلى الفقراء بقروش قليلة، ولا يحرم انسان مريض من العلاج .

ويوما ما سأله لويس : يا «درش» أنفقت كل أموالك على مشروع المسجد، فماذا عن أولادك؟

مصطفى : انا علمت أولادي جيداً، وعليهم أن يشدوا حيلهم ويبنوا أنفسهم بأنفسهم، ولن أورثهم اموالاً ولا عقارات، بل ورثتهم علم وفهم للحياة .

ويؤكد صاحب الذكريات ..

أن الذي قربه من «مصطفى محمود» وتحويل هذا القرب وإستمراره كعلاقة

صداقة قوية ومتينة إلى أن توفاه الله، هى صراحته ووضوحه وبساطته، لأنه كان إنسان غير معقد، وسريع الصراحة ولا يخفي شيئ على الإطلاق، ولم يدخل في صراعات شخصية أو خصومات، غير بعض المقالات التي رد فيها على «خالد محي الدين» أحد الضباط الأحرار ورئيس حزب التجمع حينها، بسبب حكم «عبد الناصر» وسياساته التي كان «مصطفى محمود» يرفضها ويراها سلبية وأضرت بمصر وبحاضرها وبمستقبلها .

ومع أن «مصطفى محمود» كان يخشى المرأة جداً، وقام بإبعاد زوجاته عنه، إلا انه كان يقرب منه «امل» ابنته وبشدة، وكان يتفاهم معها بدرجة عالية، مع انها إمرأة، فقد كان انساناً واضحاً وبسيطاً، ويحب الفرفشة ، وكان ملتزماً عملياً ودينياً، خاصة بعد أن تحول إلى الإيمان، والى الكتابات الدينية، ولكن قبل هذا التحول كان انسان «هليهلي» .

ولهذا يقول زميله وجاره وصديقه : انه لا يستطيع أن ينساه ويصفه بأنه الكاتب الوحيد الذي كان صادقاً في كتاباته عن نفسه، وعن حياته ..

ويؤكد «لويس» أن «مصطفى محمود» صديقه لم يكتب مذكراته التي نشرت، وان ما نشر وقيل انها مذكراته ، هى مقتطفات من مقالات كان «مصطفى» كتبها ، لأن صديقه لم يكتب مذكراته قبل وفاته .

ويشير «لويس» إلى انه ظل فترة طويلة بعد وفاة صديقه يتصل بأبنائه، وكان يذهب اليهم عندما كانوا جميعاً يريدون إحياء ذكراه، خاصة أن الأولاد نضجوا وتحملوا مسئوليتهم، و«امل» تزوجت وانجبت ولدين ثم تم طلاقها وجاءت وعاشت مع والدها في شقته بالدور الـ١٢ في العمارة التي بجوار مسجد «محمود»، وحالياً تسكن فيها زوجته الأولى والدة «أدهم و امل»، خاصة أن «ادهم» يسافر كثيراً، و«محمود» ابن «امل» وحفيد «مصطفى محمود» يعمل في إدارة المسجد والمستشفى، وقد اخبروا «لويس» انه تزوج في يناير ٢٠١٦ .

محمود السعدني ... الولد الشقي ...



«محمود السعدني» شخصية فريدة ومتميزة بين أبناء جيله ..

هكذا يصف «لويس جريس» زميله وصديقه «محمود السعدني» الذي كان من أوائل الناس الذين تعامل معهم «لويس» عندما بدأ تجربته الصحفية والتي لم تكتمل في جريدة «الجمهورية» مع «أحمد ثابت طوغان» رسام الكاريكاتير، والتي كان يشرف عليها «انور السادات» عضو مجلس قيادة الثورة حينها، ووجده إبن بلد حقيقي متشبع بعادات وتقاليد الحارة المصرية، من الرجولة والشهامة والصلابة، ومواجهاً عنيداً لأقصى درجة، يخوض المعارك حتى لو خسرها، وكان ضاحكاً ذكياً نشيطاً وكثير التنقل، وكانت لديه القدرة على أن يوجز مايراه أو يسمعه في كلمات قليلة ولكنها ساخرة ومؤثرة، وكان يكتب مقالات في مجلة «صباح الخير» يصف فيها كثير من الناس بشكل ساخر، وأحياناً بشكل مهين ..

ويضرب «لويس جريس» مثلاً بما كان يكتبه عن الفنان الرقيق «يحيى شاهين» المتميز بالطول والهيبة ويعتبر من الجان بيريمير بين أبناء جيله، ولكن «محمود السعدني» كان يريد أن يظهر في السينما أجيال أخرى من الجان بيريمير

تختلف عن صورة «يحيى شاهين» و «عماد حمدي» و «محسن سرحان» وكل النجوم الطوال والعراض، حتى تظهر النجوم الأقل طولاً، وربما كان يقصد أخيه «صلاح السعدني» وجيله من الشباب، حتى يصبحوا نجوماً وسط النجوم العمالقة، وكتب عن «شاهين» ووصفه، هذا الرجل ضخم الجثة عريض المنكبين والذي كلما أراه أود أن ألزقه على قفاه..

ويذكر «لويس» إتصال «يحيى شاهين» به..

وقال: يا «لويس» انا لم أفعل شيئ حتى يهاجمني «محمود السعدني» بهذا الكلام؟! وهو إذا كان يراني هكذا، فيوجد الألاف غيره يروني بشكل أخر .

لويس : أستاذ «يحيى» لا تنسى أن الشعب المصري به ٧٥٪ منه لا يقرأون، والعدد القليل الذي يقرأ ربما لا يكون قرأ هذا الكلام، وأرجو أن لا تعيره إهتماماً، وأن تسقطه من حساباتك وكأنه لم يكن .

شاهين : لكن الحقيقة لا يصح أن يقول هذا عني .

لويس : أستاذ «يحيى» لو عاوز ترد سأفسح لك مكاناً بنفس المساحة والمكان لأن ترد .

يحيى : لا لن أرد وأمري لله .

ويقول صاحب الذكريات : أن كتابات «محمود السعدني» كثيراً ما كانت تعرضه لمثل هذه المواقف، ولكنها كانت كتابات مقروءة ويقبل عليها الناس، لما فيها من تجربة وخفة ظل شديدة جداً..

وذكر أيضاً أن «فتحي غانم» قال : أن «محمود السعدني» كان يجيد الكتابة باللغة العربية، لأنه حفظ الكثير من سور القرآن الكريم وهو طفل صغير في التعليم الإلزامي، وهذا ما صنع منه إسلوبه البليغ وحجته القوية، وجعله يمتلك المفردات والكلمات المعبرة .

ويقول «لويس» : انه تولى رئاسة تحرير المجلة بالمشاركة مرتين مع «السعدني» مرة وفترة أخرى مع «حسن فؤاد»، وفترة «السعدني و لويس» مع بعضهما إستمرت من ١٩٦٨ وحتى ١٩٧١ لأن «السعدني» تم حبسه في قضية مراكز القوى، ويؤكد «لويس» على انه لم يكن لديه عقدة الرياسة فقد كان سلس في تعامل مع الأخرين، ولا يغضب ممن كان يريد أن يكون رئيس تحرير، ويتركه يغير ويبدل كما يشاء، وعندما عين هو و«السعدني» رئيسا تحرير ، إلا أن «أحمد بهاء الدين» عين «صلاح جاهين» رئيس تحرير، وبعد أن غادر «صلاح» حاول «السعدني» أن يصبح رئيس تحرير بمفرده، لأنه كان يعتقد أن رئيس التحرير لابد أن يكون حاصلاً على شهادة جامعية، وهو كان ترك التعليم في المرحلة الثانوية، و«صلاح جاهين» لم يكمل تعليمه في كلية الحقوق، وعندما أصبح رئيس تحرير، ففتح الباب أمام «السعدني» بأن يمكن له أن يكون رئيس تحرير «صباح الخير» .

وحينها سألوا «شعراوي جمعة» وزير الداخلية، عن إختيار «محمود السعدني » رئيس تحرير بمفرده ؟

فقال : وماذا نفعل في «لويس جريس»؟ وهو يتعامل جيداً، وكتاباته ممتازة وفي صف الدولة وثورة يوليو، ودارس صحافة في الجامعة الأمريكية هنا في مصر، وإستكملها في أمريكا، وعندما لا نعينه ونجور عليه، فلا يوجد شيئ يعيبه إلا أن يقولوا لأنه مسيحي، و تكون الدولة إضطهدته لأنه مسيحيي .

وذهب السعدني إلى «شعراوي» وسأله: يعني إيه ما جيش رئيس تحرير؟

شعراوي : شوف يا «محمود» عاوز تكون رئيس تحرير إتفق مع «لويس جريس» وانت وهو تكونا رئيسا تحرير، لكن انت بمفردك لا .

ويقول لويس : جاء إليه «السعدني» وبلسانه السليط وسبه بأمه، قائلاً : مش ممكن تكون رئيس تحرير لوحدك يا (......) لكن أنا وانت ممكن .

لويس : ماشي يا «محمود»، إيدي على كتفك .

وحينها صدر القرار ولكن لم يحصل «لويس» على صورة منه، لكنه عرف فيما بعد من خلال صحفي كان ينقب في القرارات القديمة، أن القرار الذي صدر من خلال وزارة «شعراوي جمعة» بأن «محمود السعدني» هو رئيس التحرير المسئول، وان «لويس جريس» رئيس التحرير التنفيذي، ويعتقد «لويس» أن «محمود السعدني» هو الذي طلب منهم ذلك، ولكن إستمر العمل مع بعضهما ٣ سنوات، ولم تحدث مشاكل أو أزمات بينهما .

ويحكي كاتبنا الكبير: عن وجود منافسة كانت بين «محمود السعدني» وبين «صالح مرسي» الكاتب الشهير في أدب الجاسوسية، على من سيتحوذ على إعجاب «شعراوي جمعة» بعد ما قال في إحدى المرات انه يقرأ لـ«صالح مرسي»، وعلى هذا الأساس كانت المنافسة بينهما، وذات يوم دخل «صالح» على «لويس والسعدني» وكان في شدة الإنفعال.

وقال: يا «لويس» خد هذه الورقة، وعندما مد «لويس» يده ليأخذها، فقام «السعدني» بإختطاف الورقة من «صالح»، حيث كان «السعدني» رجل لماح وفي منتهى الذكاء، وبالطبع عرف «لويس» ماذا كان مكتوب في تلك الورقة، حيث كان «مرسي» كاتب إستقالته، ولكنه كان يريد أن يعطيها لـ«لويس» لأنه كان معتاداً أن ينفعل، وأعطاه إستقالته أكثر من مرة، ويعرف أن «لويس» سيضعها في درج المكتب ولن يستخدمها، وبعد أن يهدأ «صالح مرسي» يقوم بردها إليه .

ولكنه فوجيئ بـ«السعدني» ينزل إلى «كامل زهيري» رئيس مجلس الإدارة، وجعله يقبل الإستقالة، فأصبح «صالح مرسي» في الهواء، لأنه عاتب «لويس» بعد ذلك قائلاً: أنا كنت بعطي لك الإستقالة يا «لويس» لماذا لم تأخذها؟.

لويس: ما هو أنت شفت يا «صالح» اللي حصل، و«محمود» هو اللي خطفها. ويقول: «لويس» حينها تدخل «أحمد بهاء الدين» وألحق «صالح مرسي» بـ«دار

الهلال».

ويضحك «لويس» عالياً ويقول : كنت أنا و«السعدني» نعمل في مكتبين مواجهين لبعض ، وعندما يكون لدى «السعدني» ضيوف في مكتبه.

فينادي قائلاً : واد يا «لويس» .

لويس يذهب اليه ويسأله : خير يا «محمود» ؟

السعدني : عاوز أوراق، روح هات لي أوراق .

يذهب «لويس» بمنتهى الهدؤ ويحضر له الأوراق .

شويتين وينادي عليه مرة أخرى، واد يا «لويس» .

ولويس يذهب اليه ويسأله : أيوه يا «محمود» ؟

السعدني : إملأ لي القلم حبر .

لويس يأخذ القلم ويملأه له بالحبر ويعطيه له .

السعدني : واد يا «لويس» أنت بتعمل إيه في مكتبك تعالى أقعد هنا .

لويس : حاضر يا «محمود» ، (ويجلس معه).

السعدني : هننشر إيه في الموضوع الأول للمجلة ؟

لويس : اللي تقول عليه يا «محمود» .

ويقول لويس : أن «محمود» كان بيعتبر هذا لوءم مني، مع انه ينفي هذا تماماً، لأنه لم يكن في ذهنه شيئ لأن «محمود السعدني» بالنسبة اليه كان صديقاً مقرباً، وهو الذي عرفه على «زكريا الحجاوي» و «كامل بك الشناوي» و «رياض السنباطي» و «أحمد صدقي» وعرفه على نجوم كثيرين في المجتمع، ولهذا لم يتضرر أبداً من «السعدني» على الإطلاق، لأنه كان يحبه بالفعل، وكان يفهم لماذا كان

ينادي عليه بـ«واد يا لويس»، لأنه كان يعتقد أن «لويس» سيتشاجر معه ويقول انه رئيس تحرير مثله، فيعزله ويعين بدلاً منه ، وهذه فاتت عليه لأنه كان يتعامل معه دون قصد لأنه يحبه، ولهذا كان يتقبل منه أي شيئ..

مع أن «السعدني» كان يقول : الواد «لويس» لئيم وحِدق، ومراوغ وفاهم، ولكن بالعكس لأن أبو نيه واحدة غلب أبو نيتين .

ويقول لويس : أن « السعدني» أنشأ في فترة الستينات فرقة مسرحية بأسم «ابن البلد» وكتب لها مسرحية بعنوان «عزبة بنايوتي»، ومثل فيها «عبد المنعم إبراهيم» و «سناء جميل» وعرضت أعمالها في القاهرة والأسكندرية، وأيضاً قدمت مسرحية «شلة الأنش» لـ«مصطفى محمود». لأن« السعدني» كان متعدد المواهب، ويتنقل من حالة إلى حالة بسهولة ويسر، يستطيع من خلالها أن يتجاوز اللحظة أويعيشها، ومن ضمن كتاباته المميزة «الصعلوكي في بلاد الإفريقي» وكان يصف فيها أيام الصعلكة التي تنقل فيها «السعدني» في تونس والجزائر والمغرب، حيث كان كثير السفر والترحال، وكان حكاءً لا مثيل له، وان صفة الولد الشقي كانت ملازمة له ولم يتخل عنها طوال حياته، وان «كامل بك الشناوي» هو الذي أطلقها عليه، بسبب شقاوته وحركاته ومواقفه وإشتراكه في صنع المقالب .

ويصف «لويس جريس» علاقته بـ«السعدني» بالعلاقة الأسرية، حيث كان «محمود السعدني» وأسرته يأتون إليهم أو هو و«سناء جميل» يذهبان إلى منزل «السعدني» وكانت زوجته من الإسماعيلية وتجيد طهو الطعام الشهي، و«سناء» كانت تقول لها : على فكرة طبيخك طعم جداً وانها تحبه ، وكان «السعدني» يقول لـ«أكرم» أبنه وكان صغير، (روح أقرص طنط سناء في رجلها) وكان يدفع أبنائه للشقاوة مع «سناء» وهم يضحكون، وقد قضيا «السعدني و لويس» فترات من أجمل فترات العمر، فقد كان «السعدني» رجلاً شهماً وإبن بلد وصاحب صاحبه قولاً وفعلاً .

ويحكي كاتبنا الكبير : عـن علاقـة «محمـود السـعدني» بالسـلطة بأنهـا كانـت مشكلة، لأنه عندما كان يؤيد «عبد الناصر» وسياساته تم إعتقاله لأنه نقد بعض من هذه السياسات، وأفرج عنه ١٩٦١ ، قبل الإفراج عن الشيوعيين ١٩٦٤ ، ثـم تـم حبسه في عصر «السادات» ثم أفرج عنه بوساطة من «عثمـان أحمـد عثمـان» لـدى «السادات» وبعد ما افرج عنه غادر مصر إلى قطر والإمارات حيث قابلـه «لـويس» هناك، ثم سافر إلى لندن، ولم يعود إلا في عهد «مبارك» وكان يريد أن يسـترجع كـل ما كان عليه قبل سفره، وبالفعل إسـترد راتبـه، ومكانتـه ككاتـب كبيـر في «صـباح الخير» ولكن عندما طلب من «مبارك» أن يعود رئيس تحرير «صباح الخيـر» كمـا كان..

رفض «مبارك» وقال : لا .. سيبقى «لـويس جـريس» كمـا هـو رئـيس تحريـر بمفرده .

فقال له «السعدني» : هو أنا أكتب ولا «لويس» ؟

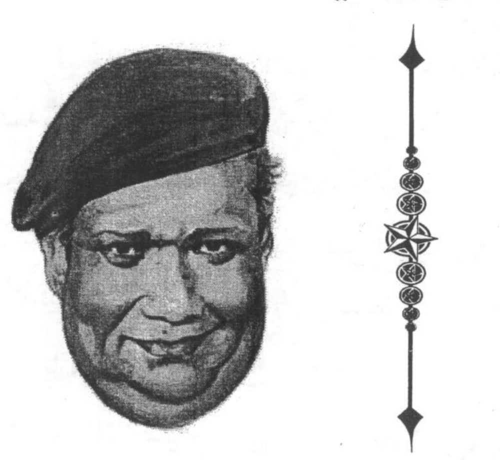
مبارك : لاء أنت أكتب منه.

السعدني : إذن من حقي أن أكون رئيس تحرير .

مبارك : لا .. رئيس التحرير ليس مهماً أن يكون أفضل الكُتـاب، بـل الأهـم أن يكون متحملاً للمسئولية، و«لويس» مسئول ويقدر المسئولية .

وذهب «السعدني» إلى «لويس» وقال له : لن أكتب عندك، وذهب ليكتـب مـع «مكرم محمد أحمد» في دار الهلال، وإختار أن يكون رئيس تحريره «مكرم» ولـيس «لويس جريس».

صلاح جاهين ..



الحديث عن «صلاح جاهين» لا يمكن أن يعطيه بعض من حقه حقه ...

هكذا قال «لويس جريس» عن «صلاح جاهين» ، الذي وصفه انه كان متعدد المواهب بالفطرة، رغم إنه لم يكمل دراسته الجامعية، حيث كان والده يريده أن يصبح مستشاراً مثله، فألحقه بكلية الحقوق، ولكنه كان يهوى رسم الكاريكاتير والصحافة، ويحب التبكيت والتنكيت في كتاباته ورسوماته، ولهذا إستعجل الحياة العملية وترك كلية الحقوق، على خلاف رغبة ابيه، وعمل في العديد من الجرائد في السعودية، وأصبح شخصية صحفية معروفة، وكثيراً ما كان يفاجأهم بما لم يكونوا يتوقعونه، سواء من خلال كتاباته الساخرة أو رسوماته المبدعة أو أشعاره الرائعة، و«صلاح جاهين» عرفه بعض الناس من خلال رسوماته الكاريكاتورية، والبعض عرفه من خلال كتاباته للرباعيات، والأخرون عرفوه من خلال كتاباته الرائعة للأغاني الوطنية التي تفيض حماسة، وغيرهم عرفوه من خلال تمثيله في بعض الأفلام، حيث كانت تستهويه فكرة التمثيل».

ويقول «لويس جريس» يعتبر «صلاح جاهين» أول رسام كاريكاتير يرأس

تحرير مجلة مصرية، وهى «صباح الخير» .. وكانت تجربة فريدة وممتعة وجريئة، قام بها «أحمد بهاء الدين» صاحب قرار تعين «صلاح جاهين» رئيس تحرير.

ودائما كان «صلاح» يقدم مالا يتوقعه القارئ، ذلك لأنه عندما كان ينظر إلى أي عمل، فكانت نظرته تختلف فيه عن غيره، سواء كان هذا العمل قصيدة، أو قصة، أو رواية، أو خبر صحفي، أو رسمة كاريكاتورية، لأنه كان ينظر اليها بعين المدقق الذي يفحص ما بين يديه ويستجلي أمره، بل يغوص في تفاصيلة، حيث كان يخوض في بحور كثيرة، قد يغرق هو فيها بنفسه، لأنه كان من الذين يهتمون بالتفاصيل، وكان يتقن البحث والتدقيق حتى يدرك قيمة ما بين يديه.

ولهذا تميز «جاهين» في «صباح الخير»، وكان يكتب صباح الخير يا (....) ثم يضيف اليها من يريد أن يتحدث عنهم مثلا : صباح الخير يا (رجال الأمن، أو يا رؤساء الجامعات، أو يا نظار المدارس) وهكذا..

و«صلاح جاهين» كان من الشخصيات الذين يستقبلون الشباب ويحسنون إبراز مواهبهم، خاصة الذين يكتبون الشعر أو يجيدون الرسم، ومن يجد فيه بارقة أمل كان يقدمه بشكل جيد، وقد لا يعرف الكثيرون انه هو الذي قدم «عبد الرحمن الأبنودي» و «عبد الرحيم منصور»و«سيد حجاب» في شكل جميل مع أشعارهم من خلال «صباح الخير»، لأنه كان يستطيع بعين الناقد أن يلتقط الموهبة، من بين الألاف خاصة ممن يكتبون الشعر أو يرسمون الكاريكاتير، ليحتضنهم ويشيد بهم ويحسن تقديمهم لجمهور القراء.

وعن تولي «صلاح جاهين» رئاسة تحرير «صباح الخير»...

يقول صاحب الذكريات: في هذه الفترة كان الأستاذ «هيكل» يرأس مؤسستي «الأهرام» و«الأخبار»، والأستاذ «أحمد بهاء الدين» يرأس «روزاليوسف» و «دار الهلال» وكان التنافس بينهما شديداً، وقد نجح «هيكل» في إغراء «إحسان عبد القدوس» الذي كان يعمل مع «بهاء الدين» في «دار الهلال» وأقنعه أن يترك «بهاء»

ويأتي للعمل معه في «اخبار اليوم» بل يتولى رئاسة تحرير «الأخبار»، فرد عليه «أحمد بهاء الدين» بأنه نجح أيضاً في إقناع «صلاح جاهين» بالعمل معه، بل خطفه من «الأهرام» وعينه رئيس تحرير مجلة «صباح الخير».

وبمجرد وضع اسم «صلاح جاهين» على «صباح الخير»، إرتفع التوزيع.

وكان «لويس جريس» مدير تحرير «صباح الخير» في هذه الفترة، وكان حريصاً على أن يجعل المؤسسة الصحفية، تهتم بالموضوع أكثر من إهتمامها بالمحرر كاتب الموضوع، ولهذا كان يبرز عنوان الموضوع أكثر من إبرازه للكاتب، وكان الباعة في تلك الفترة، ينادون على أسم الصحفي في الشارع، بدلاً من أن ينادوا على الخبر أو التحقيق أو الحوار..

وكانوا ينادون: إقرأ لـ«فكري اباظة» أو «موسى صبري» أو «هيكل»، ولكن لإهتمام «لويس جريس» بالموضوع الصحفي، وجعله النجم وليس الكاتب، فأصبح الباعة ينادون: إقرأ في «صباح الخير (كذا وكذا)، ويقولون اسم الموضوع..

ويقول «لويس»: ربما هذه هى الإضافة الوحيدة التي يمكن له أن ينسبها لنفسه في تلك الفترة.

وجاء «صلاح جاهين» وعمل على الإعتماد على أبناء المؤسستين «روزاليوسف» و«دار الهلال» في النهوض بهما، وحاول قدر الإمكان أن يجعلهم نجوماً في العمل الصحفي، فقد كان إنسان بمعنى الكلمة، وأراد أن يجعل «صباح الخير» عبارة عن كاريكاتير، ومقالات قليلة وقصيرة لا تتعدى عامود صحفي، وباقي الصفحات كاريكاتير.

فقال لويس: يا «صلاح» هذا لن ينفع، لأن لدينا أكثر من عشرين محرر، و ١٠ رسامين كاريكاتير فقط، فماذا سنفعل بالمحررين؟

صلاح: طب قول لي هنعمل إيه يا «لويس» انا عاوز اطبق الفكرة ديه؟

لويس: نترك المواضيع كما هى، والرسامين يُخدمون عليها، وعلى الرسام أن يقرأ الموضوع ثم يضيف اليه رسماً يعبر به عن الموضوع الصحفي، (وهكذا تم حل الأزمة).

ويقول «لويس»: كان بينه وبين «صلاح جاهين» سنة أو سنتين فرق في العمر، وكان يوجد توافق كبير بينهما، في العمل، وخارج العمل، ومع هذا يعتبر «صلاح جاهين» نقطة فارقة في تاريخ «صباح الخير» ، لأنه إستطاع أن يبرز دور العملية الصحفية في نجاح المؤسسات الصحفية، التي بها كُتاب ورسامين متفوقين، وعليها أن تقف على قدميها، ولهذا اثبت «صلاح جاهين» انه أنقذ «صباح الخير» في مراحل حرجة بل كان لحظة فارقة في «دار الهلال» و«روزاليوسف» و«الجمهورية»..

وفي صباح ٦ يونية...

يقول كاتبنا الكبير: بعد التأكد من الهزيمة القاسية، وضياع سيناء بالكامل، وإكتشاف حقيقة ما كان يجرى من كوارث، والظلم الفادح الذي وقع على الجندي والضابط المصري، وعلى القوات المسلحة بالكامل لأنها لم تعطى الفرصة للقتال والدفاع عن سيناء، وضياع المسئولية بين الرئيس «عبد الناصر» وبين المشير «عامر».. وبناء على هذه النتائج «صلاح جاهين» اتصل به تليفونياً وأيقظه من نومه، وأخبره أنه لن يعود إلى العمل في «صباح الخير» وانه ترك له رسالة في درج مكتبه اليمين، وعليه أن يقرأها ويستوعبها، وعندما ذهب «لويس» وأخذ الرسالة ونظر فيها، وجد بها رسم بياني لصعود وهبوط «روزاليوسف» و«صباح الخير»، وجملة تقول: تمنياتي لك بالتوفيق، بالنهوض بمجلة «صباح الخير» و «روزاليوسف»، وترك «صلاح جاهين» مؤسسة «روزاليوسف» نهائياً ولم يعمل في «صباح الخير».

وحينها كانت «روزاليوسف» توزع ١٦٥ الف نسخة، و «صباح الخير» توزع ١٥٥ ألف نسخة، وتدهور الحال صباح يوم الأثنين ٥ يونية ١٩٦٧ وانهار التوزيع وتدهور، وإستمر في التدهور إلى أن أصبحت «روزاليوسف» توزع ٨ الاف، و«صباح الخير» توزع ١٨ ألف نسخة، ذلك بسبب طغيان العمل الإعلاني، وإدارة المطابع، وعزوف القارئ عن المطبوعات بسبب فقدانه الثقة في كل ما كان يكتب وينشر.

ثم بعد ذلك أصيب «صلاح جاهين» بالإكتئاب، وفرض على نفسه عزلة شديدة، بعد ما كان يروج لـ«عبد الناصر» وللخطط التي كان يتحدث عنها «عبد الناصر» ، والأحلام التي كان يحلم بها «عبد الناصر»، لأنه كان مؤمناً بـ«عبد الناصر»، وبأحلامه وأهدافه، ولهذا كان يروج لها من خلال كتاباته وأشعاره، وكان يعتقد أنها حقيقية وسوف تتحقق، ولم يكن يشك لحظة انها أكاذيب وأوهام، وعندما إنهار كل شيئ في ٥ يونية، فاق «صلاح جاهين»، وتأكد انه كان يروج لأكاذيب ولأحلام كاذبة.

ويقول صاحب الذكريات: ومن هنا «صلاح جاهين» لام نفسه على هذه المشاركة المضللة لوعي الشعب المصري، والتي زيفت الحقائق، وغيبت وعيه، فأضاعت أمله وأفاق على كابوس مرعب ومذل، والتي لو كان مدركاً لها ما كان شارك فيها، لأن «صلاح جاهين» كان واضحاً مع نفسه، ولم يكن يفعل ما لا يقتنع به، ولهذ رأى أن ممارسته الصحفية غير نقية، لأنها كانت مبنية على أحلام وأوهام كاذبة، كان يحلم بها «عبد الناصر» وإنساق وراءها «صلاح جاهين»، ورغم انه عاد إلى «الأهرام» من خلال رسوماته الكاريكاتورية، إلا أن زملائه وأصدقائه شعروا فجأة انه لا يريد الإستمرار، وبدأ يتمرد، لأنهم كانوا يرسلون له بعض المحررين ليسألوه عن رأيه في بعض الأمور السياسية، أو الأدبية، أو الثقافية، من خلال الحوارات الصحفية، لأنه كان قامة كبيرة وشهيرة، لا يمكن إغفالها في الصحافة،

ولأنه لم يتأخر في لحظة من اللحظات عن الإشارة بكل ما كان يعتقد انه صحيح، وإعتقاده عن صحة الشيئ من عدمه كان ينبع من إيمانه به وبأهميته، وإنه يعكس مصلحة الناس والوطن، لأن هذا ما كان يهمه ويشغله قبل أي شيئ أخر، ولكنه إنزوى بعيداً وانطوى على نفسه مكتئباً حزيناً، غير راغب في المشاركة بأي جهد، في أي أمر كان.

إلى أن حدثت المعجزة ....

كما يقول لويس جريس : بأنتصار حرب أكتوبر وعبور قناة السويس، وإقتحام قواتنا المسلحة خط «بارليف» ، فبدأ «صلاح جاهين»يخرج من هذا الإكتئاب، وكانت «سعاد حسني» بدأت تصوير فيلم «خلي بالك من زوزو» ، وذهبت إليه ليكتب أغاني الفيلم، ووافق «صلاح جاهين» ، ومن هنا بدأت «سعاد» تخرجه من عزلته، بالأغاني التي كتبها للفيلم وحققت نجاحاً باهراً، ولهذا أحب «جاهين» الفنانة «سعاد حسني» لكنه كان حب من طرفه هو، ويضحك قائلاً: كل من رأى «سعاد» أحبها.

ولكن في تلك الفترة «منى قطان» زوجته الثانية فاجأت الجميع بنشر كتاب من الكتب التي يطلق عليها بالأدب المكشوف، معتبرة أن هذا الأدب يمكن أن يصل بها إلى الشهرة السريعة، وتحدثت فيه عن أمور خاصة وفي منتهى الحساسية، وتخص «صلاح جاهين» كالعلاقات الجنسية بين زوج وزوجته، وهذه الأمور أهانت «صلاح جاهين» وجرحته جرحاً كبيراً فأصيب بالإكتئاب الشديد مرة أخرى ، فأخذه «بهاء» إبنه وعاش معه..

وعن علاقة «صلاح جاهين» بـ«عبد الحليم حافظ»..

يصفها لويس : بأنها كانت علاقة قوية جداً، وقدما من خلالها أفضل الأغاني الوطنية حتى يومنا هذا، ويذكر كاتبنا الكبير: عندما كانا يعملان في «روزاليوسف» بالمبنى القديم بشارع «حجازي» والذي يطل على شارع مجلس الوزراء، وحينها

كان الرئيس «عبد الناصر» سيخطب في مجلس الوزراء، وبدأت الجماهير تحضر حول مبنى مجلس الوزراء لمشاهدته والإستماع إلى الخطاب.

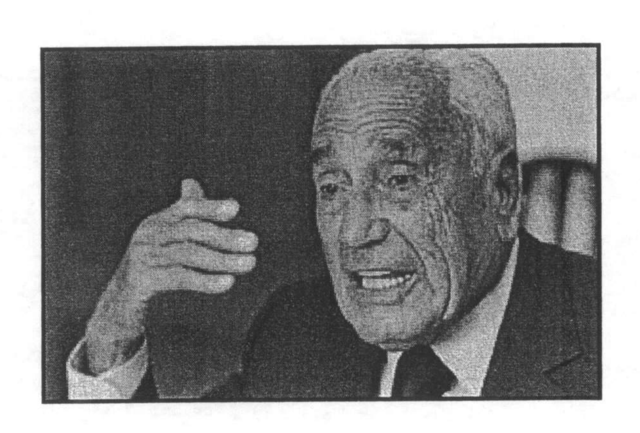
فقال صلاح: يا لويس« إيه رأيك تعالى نقف وسط الناس، ونستمع إلى خطاب الرئيس معهم، وبالفعل نزلا ووقفا وسط الناس، ثم خرج عليهم «عبد الناصر» وخطب وإنتهى من الخطاب، ثم صعدا «صلاح و لويس» إلى «روزاليوسف» ودخل كل منهما إلى مكتبه، وبعد مرور ١٠ دقائق، خرج «صلاح جاهين» إلى لويس جريس« ليقرأ عليه أغنية »إحنا الشعب، إحنا الشعب ، إخترناك من وسط الشعب»

ثم تحدث «صلاح جاهين» مع «عبد الحليم حافظ» و «كمال الطويل» وقال لكل واحد منهما انه كتب أغنية «إحنا الشعب» ، وإتفق معهما على تلحينها وغناءها، ولهذا يؤكد «لويس»: أن «صلاح جاهين» كان لديه ثقافة موسيقية، لأنه وهو يؤلف الأغنية، يستطيع أن يدندن موسيقاها، ومرات عديدة كان يوحي للملحن بطريقة التلحين ..

فقد كان «صلاح جاهين» فنان حساس وذو حس مرهف، والكلمات لديه لها معنى ومغزى، ولم تكن مجرد كلمات، ولكنها كانت تخرج في شكل أغنية يريد أن يوصلها إلى الناس، لأنه كان قيمة وقامة كبيرة سوف تتذكره الأجيال القادمة بكل الخير..

ويضحك «لويس» قائلاً: رغم أن كل إنسان يتمنى أن يخلد إسمه أو إسم أحد من اقاربه، بإطلاقه على اسم شارع أو ميدان، إلا أن «جاهين» كان مستاء جداً من إطلاق إسم جده لأمه «أحمد حلمي» على ميدان موقف أتوبيسات تتجه إلى قبلي وبحري، وهذا لم يسره أبداً، وكان يتحدث عنه بمرارة شديدة.

محمد حسنين هيكل ..

الحديث عن الأستاذ «محمد حسنين هيكل» ليس بالسهل، بل هو حديث مليئ بالعقبات والصعوبات...

هكذا بدأ «لويس جريس» كلامه عن الأستاذ «هيكل» لأنه يرى الأستاذ «هيكل» قامة صحفية كبيرة بني نفسه بنفسه، واقترب من «عبدالناصر» وأصبح يحتكر الأخبار الرسمية للدولة وينشرها في الأهرام، واشتهر ببعض المصطلحات التي تم ترويجها في عالم الصحافة والسياسة، مثل «النكبة العربية» علي مأساة ١٩٤٨ بين العرب وإسرائيل، ثم مصطلح «النكسة» علي هزيمة يونية ٦٧ ،ثم مصطلح «مراكز القوي» علي باقي رجال «عبدالناصر» الذين اعتقلهم «السادات» في مايو ١٩٧١ ..

مصرحاً : حتى لو لم يكن «عبد الناصر» موجوداً في السلطة، كان «هيكل» سيقترب من الذي سيكون مكانه ..

ويشير «لويس» إلى أنه لم يعمل مع «هيكل» ولم يكن من الصحفيين الذين

تشرفوا وتتلمذوا على يديه، ولم يكن من دراويشه، ولكنه كان من قرائه، بل لم يكن يبتعد عن قراءة ما يكتبه «هيكل» تحت عنوان «بصراحة» مرة وأثنين، وكان يوجد إقبال شديد علي قراءة مقاله «بصراحة» في الأهرام، بحثاً عن فهم وإدراك أو الكشف عن المستور في ذهن وفكر الرئيس، لأن الإهتمام بـ«هيكل» كان هو الإهتمام النابع من إقترابه من «عبد الناصر» الذي كان يحكم مصر من خلال ما يكتبه «هيكل» في مقاله الأسبوعي في «الأهرام».

ويؤكد كاتبنا الكبير...

أن ما كان يكتبه «هيكل» في «بصراحة» كان يشد القارئ ويجتذبه، ويجعله من الذين يسعون خلف الإطلاع على ما ورد في هذه السطور، ومحاولة فهم ما تعنيه الكلمات، وما لا تعنيه، لأن قراءة «بصراحة» كانت مهمة صعبة جداً، لأن الأستاذ «هيكل» كان يكتب، ليس بما تعنيه الكلمة، ولكنه كان يكتب بما يمكن أن تشير إليه الكلمة، وبالطبع الفرق بين المعنى والإشارة واضح، لأن المعنى يحدد الرسالة التي يريد إرسالها للقارئ، بمعناها المكتمل، فتحمل الكلمة معناها، أما إستعمال الكلمة لكي تشير إلى إحتمالات معاني أخرى، فهذا أمراً صعباً يستوجب العناية التامة في القراءة، والتمعن في ما يقرأ، حتى يستطيع القارئ أن يعي ويدرك، هل الكلمات تفي بما تعنيه، أم انها تحمل معاني أخرى ؟

بالإضافة إلى ما تعنيه الكلمة ذاتها ..

وهكذا كانت توحي كلمات «هيكل» إليهم انه و«عبد الناصر» كانا يتشاوران، ويتباحثان ويتداولان، ويتحدثان كل منهما إلي الآخر ..

ويتساءل «لويس» : هل يا ترى ما يكتبه «هيكل» يكون نتيجة لهذه الحوارات؟

وهل «بصراحة» كانت تعرض علي «عبدالناصر» قبل النشر أم لا ؟

ولكن تخمينات «لويس» وقناعاته، انه كان يرسل المقال إلي «عبدالناصر» قبل

نشره اعتماداً علي أن «عبد الناصر» كان لا يجب أن يفاجئه احد، بل كان يحب أن يفاجئ الجميع ..

وبالتالي لكي تستمر العلاقة بين «هيكل» وبين «عبد الناصر» كان لابد أن لا تحدث مفاجأت بينهما، وأن يكون «عبد الناصر» مطلعاً على ما ينشره «هيكل»..

ويقول «لويس» : هذه توقعات وإستنتاجات وليست معلومات.

وأعتقد «لويس» أن ذلك الجيل لم يكن فيه من لا يبدأ يومه بقراءة «بصراحة»، لكن ماذا كان يريد أن يقول «هيكل» وهو يدعي في عنوانه انه يقول الصراحة، فهذا أمر لم يكن فعلاً معلوماً، ولم تكن الكلمات التي يدبجها في مقالاته هي التي تقول الأمور بصراحة، بل كانت منتقاة، وتجعل قارئها يفكر كثيراً في ما تحمله معاني الكلمات مباشرة، وما تخفيه أيضاً بطريقة غير مباشرة، وكان أحيانا يسأل الصحفيين الأجانب الذين يقرأون لـ«هيكل» مترجماً ماذا يشعرون بعد قراءة مقالات «هيكل» ؟ ..

فكان معظمهم يقولون عندما يقرأون لـ «هيكل» يشعرون أنهم ذهبوا إلي البحر ولم يرووا عطشهم وهذا يعني أن «هيكل» لم يكن لهم شيئاً..

ولكنه في مصر إستطاع أن يجعل القراء يحتفظون بقراءة «بصراحة» طوال فترة حكم «عبد الناصر» و ٣ سنوات من حكم «السادات» .

ويقول صاحب الذكريات ...

أن «هيكل» بدا الصحافة في أربعينات القرن الماضي، وكان يكتب موضوعات إجتماعية، وكان يطلع القراء على صور أميرات الأسرة المالكة لأحفاد الخديوي «إسماعيل» و «عباس حلمي» والسلطان «حسين كامل» التي كانت تنشر في مجلة «اخر ساعة» ، وكم كانت هذه الأميرات جميلات ويضارعن ممثلات هوليود في الجمال والشياكة والأناقة .

وهذا يؤكد أن «هيكـل» لم يكـن كاتبـاً سياسـياً في بداياتـه، ولكنـه كـان كاتبـاً إجتماعياً، وكان يميل إلى التحقيق الصحفي المصور، وكانت الصورة تلعـب دوراً هاماً في تحقيقات «هيكل» .. ويعتقد لويس» انه تعلم هـذا مـن مصـور في مجلـة «لايف» الأمريكية..

ويؤكد «لويس جريس» ....

على دور «هيكل» الإيجابي في الصحافة لأنه بالفعل، أعلي من شـأن الصـحفي وجعل للصحفي ولأول مرة قيمة ووزناً ووجوداً، وقبل «هيكل» كانـت الصـحافة المصرية تنشر الأخبار عن المراسلين الأجانب، لكـن مـع جـود «هيكـل» ومعـه «موسي صبري» أصبح الصحفي المصري هـو الـذي ينتقـل الي موقـع الحـدث، وينقله الي المصريين واستطاع «هيكل» أن يقدم هذه النقلة النوعية، بـأن ينتقـل إلي موقع الحدث بنفسه وينقله، وكان يتجاوب مـع الحـدث بمنتهـى السـرعة، وقـام بتغطية الأحداث السـاخنة في إيـران، عنـدما أمـم «مصـدق» بتـرول إيـران، طـار «هيكل» و«موسى صبري» ونقلا الأخبار من موقع الحدث، وإلتقيـا بــ«مصـدق» وايضاً «هيكل» هو أول من رفع راتب الصحفي، ولم يعد الصحفي يعمـل بالقطعـة بل أصبح له أجر ثابت.

وخاصة كان «هيكل» يستطيع بما يكتبه أن يؤثر في الحكام خاصة حكام الـدول التي كان يطلق عليها وصف الرجعية، على عكس صوت العـرب و«أحمـد سـعيد» اللذين كانا لهما تأثير في الشارع العربـي ولـدي المـواطن العربـي، لكـن كتابـات «هيكل» كان تأثيرها على الحكام العرب.. ويرجع وصـف «هيكـل» برجـل لكـل العصور، ذلك لتجاوبه مع السلطة ولاهتماماته بالحوار مـع الحكـام، وتقـديم مـا يمكن أن يجعل الحاكم مستريحاً في اتخاذ القرار، لأنه يزين له الأمور ويعرف ماذا يريد الحاكم أن يفعل، فيمهد له القرار الذي ترضي عنه الشعوب.

ولهذا كان هو صاحب مصطلحات: النكبة والنكسة ومراكز القوى، ومع هـذا

«هيكل» لم يقدم شيئاً في منصب وزير الإعلام، لأن الوزارة كانت مفروضة عليه فرضاً، وهو كان الصحفي الأوحد والنديم الأوحد والمستشار الأوحد لـ«عبدالناصر» الذي رد علي هذا عندما قال : أنا و«هيكل» نتبادل المعلومات، وبالطبع «هيكل» كان لديه ميزة في هذا، نظراً لإمكانيات الأهرام الضخمة، بوجود مكاتب ومراسلين لها في جميع أنحاء العالم، وعند صدور كتاب عن مصر في أي دولة من العالم، كانت مكاتب الأهرام ترسله إلي «هيكل» ، وبدوره يعطيه إلي «نوال المحلاوي» مديرة مكتبه، لتسهر عليه ليلاً وتترجمه وتلخصه، وفي الصباح تعطيه لـ «هيكل» فيعطي هذا الملخص إلي «عبدالناصر» خلال أيام من صدور الكتاب، وهذه كانت من ضمن الخدمات التي كان يقدمها إلي «عبدالناصر»، ولم يكن يستطيع أحد أن يقدمها مثله.

ومع هذا تخلي «هيكل» عن أستاذه «مصطفي أمين» ومديرة مكتبه «نوال المحلاوي» و زوجها «لطفي واكد» عندما تم إعتقالهم !!

وكان «هيكل» مركز قوى شديد جداً في عصر «عبد الناصر» ، ومن كان يريد شيئ كان يذهب اليه، كما حدث بعد أن صدر قرار فصل «مفيد فوزي» وكان قرار واضح بعدم صرف راتب له، وتدخلت أفراد كثيرة لعودة «مفيد» ولم يفلحوا، ولكن الذي أعاده إلى عمله هو «هيكل» بعد أن ذهب اليه «مفيد» أكثر من مرة .

ولهذا يؤكد «لويس» أن «هيكل» شريك اساسي وفاعل في أخطاء «عبدالناصر» لأنه كان يشير عليه في كل كبيرة وصغيرة، وكان حاضراً معه كل المواقف، وأثناء صدور القرارات السياسية الصعبة، التي تم تنفيذها في تلك المرحلة، وعليه فهو يتحمل المسئولية بنسبة أكبر في أخطاء «عبدالناصر» بل يمكن القول انه الذي كان يشير علي «عبدالناصر» لأن قراراته تقريباً كانت نابعة من أفكار «هيكل» .

ومع هذا كتب «هيكل» بعد وفاة «عبدالناصر» مقاله بعنوان «عبد الناصر» ليس بالأسطورة، وهوحينها حاول توضيح علاقته بـ«عبدالناصر» وهذه هي كانت

طريقة «هيكل» للخروج من علاقة شديدة الأهمية والارتباط وكان يقصد أن «عبدالناصر» ليس بأسطورة، ولكن أنتم الذين خلقتوا الأسطورة وألقي الأمر علي الناس وأعتقد انه برأ نفسه.

ويقول كاتبنا الكبير..

وبعد مجيئ «السادات» إلى السلطة إنحاز «هيكل» له بل كان الوحيد من رجال «عبد الناصر» الذين إنحازوا له، ولم ينحاز إلى مجموعة «عبد الناصر» بل أطلق عليهم وصف مراكز القوى مع أن «هيكل» ، كان أهم مراكز القوي في عهد «عبدالناصر» وهذا طبيعي لأنه كان رجل ذكي ويستشف المستقبل ويقرأه جيداً ويتفهمه، فعرف أن «السادات» قادم لا محالة وانه سيفوز علي رجال «عبدالناصر» اذن «هيكل» مع المستقبل وليس مع شيئ أخر، ولأنه كان يري نفسه ومصلحته في أن يكون مستمراً ومتعايشاً كصحفي أول في كل العصور، وبكل الطرق المشروعة فانحاز لـ«السادات»..

ولكن سرعان ما تم الصدام بينه وبين الرئيس «السادات»، الذي نحي «هيكل» جانباً ، وعلى الفور، لأنه لم يكن يريد تكرار صورة «عبد الناصر» و«هيكل» معه، عندما أراد «هيكل» حضور لقاء الرئيس «السادات» مع «هنري كسينجر» وزير الخارجية الأمريكي في أسوان ورفض «السادات» هذا، وخشي من اقتراب «هيكل» منه حتي لا يقال انه يشير علي «السادات» كما كان يفعل بمشورته مع «عبدالناصر» الذي كان يشير عليه في كل كبيرة وصغيرة، وحاضراً معه جميع المواقف، وصدور القرارات السياسية التي تم تنفيذها في تلك المرحلة، فرفض حضور «هيكل» أي اجتماعات رئاسية، مع أن «هيكل» كان يحضر اجتماعات «عبدالناصر» لكن «السادات» رفض تكرار التجربة مع «هيكل» أو مع «موسى صبري» الذي كان قريباً منه..

ولكن يؤكد «لويس جريس» عدم حدوث صدامات أخرى، في حياة

«السادات» لأن «هيكل» كان يعرف انه يتعامل مع رئيس الجمهورية، وكان يعرف حدود ما يفعله ..

ويقول «لويس» : لكن بعد وفاة «السادات» ، أراد «هيكل» أن يرد علي «السادات» وينتقم منه، بعد وفاته لعدم قبوله وجود «هيكل» بجواره، فرد «هيكل» بشكل فيه تجريح غير مقبول، لـ«السادات» بكتابه «خريف الغضب» لأنه تعرض لعائلته، مع أن جميع المعلومات في الكتاب غير مفيدة، ولكنها تقع تحت التطاول والتجريح، فماذا يعني نشر صورة أم الرئيس «السادات» ؟ ..

ويجيب : لا شيء..

ويذكر «لويس» أن هذه الصورة كان أحضرها من وكالة أنباء «الشرق الأوسط» لمجلة «صباح الخير»، ولكنه فوجيئ بمكتب الرئيس «السادات» يتصل بي مساءً

ويسأله: أين صورة أم الرئيس؟

لويس : في المجلة..

فقالوا سنرسل لك في الصباح من يأخذها وحذروه من نشرها ..

لكن «هيكل» أحضرها ونشرها في الكتاب بعد وفاة «السادات»، معتقداً انه بهذا يستطيع الإساءة إلى «السادات» الذي لم يكن له خريف، لأنه بطل الحرب وبطل السلام، وكان داهية سياسية ورجل دولة من طراز فريد، وحقق نصر أكتوبر وقدم السلام وفرضه علي أمريكا وإسرائيل، وأعاد أرض مصر المحتلة، وهزم الناصريين في مايو ١٩٧١ ، ولكنه في أواخر عهده لم يكن مسيطراً علي مقاليد الأمور، لدرجة أن الجماعات الإرهابية استطاعت إغتياله.

كما أن «هيكل» لم يكن له خريف أيضاً، لأنه إستمر كصحفي، واستطاع أن يكتب في الداخل والخارج، بل كتب في جريدة انجليزية توزع بالملايين، فقد عاش وظل علي القمة، والأحداث التي عاصرها، والرؤساء الذين تعايش معهم، كانوا

قيمة وقامة .

ولذلك أصبح له دراويش ليسوا بالكثيرين، ولكن له تلاميذ وقراء، وهو يستحق ذلك فقد كان صحفياً متفرداً، إذن «هيكل» لم يكن مثل باقي الصحفيين فهو أستاذ صحفي، لأنه أحد الذين صنعوا الصحافة الحديثة مع أستاذه «محمد التابعي» ومنافسه «أحمد بهاء الدين» و«إحسان عبدالقدوس».

ومن الطبيعي أن يكون له أعداء كثيرون، منهم الموضوعيين، وآخرون بعيدون عن الموضوعية، وهذه غيرة وحسد علي «هيكل» ، لأنهم يقولون : لو انه أتيحت لهم الفرصة التي أتيحت لـ«هيكل» لكانوا أصبحوا أفضل منه، فهؤلاء كارهوه، وأما أعداؤه المنصفون يقولون «هيكل» اجتهد ونجح، ولكنهم يختلفون معه في المواقف السياسية، ولكنهم لا ينكرون عليه مهنيته وأستاذتيه.

ويذكر صاحب الذكريات ..

أن الكثيرين عابوا على « هيكل» كتابة مقالات إنهزامية قبل نصر اكتوبر، وكثير من قادة النصر قالوا : «هيكل» كان يثبط الهمم ويقيد إرادة الضباط والجنود، بهذه المقالات لأنه كان يروج أن الإقتراب من قناة السوس، والعبور وإقتحام خط بارليف مستحيل !!..

ويقول «لويس جريس» : أن الأستاذ «هيكل» كان قريبًا من «عبدالناصر» وبالطبع فإن أجهزة مخابرات العالم، أو الكثير منها ستحاول الاقتراب منه، أو تمرر له معلومات، أو تكسب ثقته بشكل أو بأخر، طالما أنها لن تستطيع الوصول إلى «عبدالناصر»، وبالطبع تسعى إلى زرع الأفكار إليه حتى يقوم هو بزرعها لدى «عبدالناصر» وبالطبع سيكون هذا عن طريق أقرب المقربين إليه ..

ولذلك يعتقد «لويس جريس» أن ما أطلق عليه بالمقالات الانهزامية، هى كانت بالنسبة لـ«هيكل» معلومات مستقاة عن خط بارليف، من جهات وثق فيها «هيكل» سواء كانت معلومات مخابراتية، أو قريبة من المعلومات في إسرائيل..

ولكن الذي لا يعرفه «لويس» كما يقول هو في تساؤلاته : هل «الملك حسين» كان له يد في الأمر أم لا ؟..

ويجيب بتساؤل أخر : أيهما أقرب إلى خط بارليف الملك «حسين» ام «هيكل»؟..

أم هل تم هذا بواسطة أحد الصحفيين السوريين أو اللبنانيين الذين كانوا بجوار الملك «حسين» وكانوا يأتون معه إلى القاهرة وبالطبع يتقابلون مع «هيكل»؟ ..

ويجيب على تساؤله قائلاً : بالطبع «هيكل» لم يشك فى صدق المعلومات التى حصل عليها عن خط بارليف، وهو بالطبع لم يدرك أنها قد تكون مدسوسة عليه..

ولكن عندما حدثت المعجزة، وانهار خط بارليف تحت أقدام الجنود المصريين، اندهش العالم من هذا العبور العظيم، خاصة أن «السادات» جعل نصر أكتوبر أسطورة بخطة الخداع الاستراتيجى التى خدعت أمريكا وإسرائيل، ولهذا اعترض قادة نصر اكتوبر على مقالات «هيكل» ووصفوها بالانهزامية، وأنه كان يخوفهم ويثبط همتهم بعدم مقدرتهم بعبور قناة السويس وتدمير خط بارليف، ولكن «هيكل» لم يشك فى هذه المعلومات التى اعتبرها انفرادًا صحفيًا حتى يحتاط الجيش عند مهاجمة خط بارليف وبالفعل قد كان وقامت حوله الدراسات ووضعت له الخطط والتدابير المحكمة..

وحتى هذه اللحظة لم يعرف من هو مصدر هذه المعلومات الحقيقي، هل الملك «حسين» أم أحد الصحفيين المرافقين له ؟

وعن أتهام «هيكل» بإستشهاده في حواراته بالموتى، لأن الذين شهدوا ذلك العصر أو طالتهم الأحداث يكذبونه ويكذبونها، يقول كاتبنا الكبير ...

هذا يرجع إلى ما كان يريد «هيكل» أن يقوله، وهو في الحقيقة كان في موقع

جعله يستطيع أن يلم بأشياء كثيرة، ما كان من الممكن أن يصل اليهـا أي صـحفي أخر، في ما كان يقوله أو ما لا يقوله، فهذا يرجع إلى أسباب لديه هـو ، ولا يسـتطيع أحد أن يعرفها، لأنه أصبح هو الوحيد الذي قيلت له أو شاهدها، ولكننا حتى هذه اللحظة لا نعرف من كان مصدر هذه المعلومات، إلا ما يعلنه «هيكل» بنفسه، فهو إذن الشاهد والراوي والمحقق، وربما المصدق لما يقول ويعلن ، وهذه الأسباب والدوافع لا يعرفها إلا «هيكل»، أما من يكذبونه فكان «هيكل» يقف أمـامهم بـأن علاقته كانت أقوى منهم مع «عبدالناصر»، وقد كان قريبا حقًا منه وربما يكون هذا فى صالحه..

ويقول «لويس جريس» : المحير أن الكثيرين لا يعلمون هل «هيكـل» ناصـرياً أم إشتراكياً ؟ لأنه كان يروج أنه اشتركياً، مع أنه كان أبعد ما يكون عن الاشتراكية، لأنه كان يعيش معيشة اللوردات، وليس لأحد حق الاعتـراض عـلى هـذا، ولكـن الغريب والمحير هو الاعتداء الذى تم عـلى فيلتـه فى «برقـاش»، ولكنـه كـتم عـلى الخبر ولم يعلنه حتى وفاته ..

ولا أحد يعرف ماذا حدث؟

وهى من ضمن أموره التي لا يعرف احد عنهـا شـيئ، وظلـت غيـر مكشـوف سرها، فمن الذي أحرق فيلة «هيكل» في «برقاش» بعد ٣٠ يونيه، فلا أحد يعلم ؟

ولماذا هذا التعتيم الذي فرضه «هيكل» ؟.. هل عناصر من جماعـة الإخـوان؟ ولماذا ؟.. وهل مدبرة أم لا ؟ .. ومن الذي دبرها؟

لكن «هيكل» ظـل صـامتاً تجاه هـذا الحـادث، ولم يـتكلم عنـه في حواراتـه العديدة، ..

ويقول لويس» انه واثق تمام الثقة أن «هيكـل» كـان يعلـم مـن الـذي أحرقهـا، وطالما انه لم يتحدث عنها أو يشير إليهـا، فهـذا يؤكـد انهـا كانـت قـوة لا يمكـن مواجهتها . ولهذا يلمح «لويس» إلى أسرار«هيكل» الكثيرة، والى السياج الحديدي

الذي حاول فرضه حول هذه الأسرار، ولهذا كـان «هيكـل» يتعامـل بتجاهـل، أو بصدر رحب، ولا يرد على أى هجوم أو نقد، ولكن ربما كان له رسائل يرسـلها إلى أفراد محددين..

ويقول صاحب الذكريات لكاتب هذه الذكريات ...

يا «ممدوح» أذكر حوارى معك على صفحات «الوفد» عام ٢٠٠٩ ،وكنت قد تطرقت فيه إلى الأستاذ «هيكل» ، ودوره خلال عهد «عبدالناصر»، ويبدو أن هذا لم يعجبه لأننى فوجئت في ذات اليوم الي نشر فيه الحوار، بمكتبه يتصل بى ويقولـون أن الأستاذ «هيكل» اتصل بك، ولماذا لم ترد عليه؟ .

وأعطونى رقم موبايل وقالوا الأستاذ اتصل من هذا الرقم..

فقلت لم يحدث وكيف لى ألا أرد على الأستاذ «هيكل» ، وقمت بالاتصـال عـلى الرقم الذى أعطانى إياه مكتبه أكثر من مرة ولكنه لم يرد عليَّ، ولا أعرف هـل هـذه كانت رسالة منه بأنه قرأ الحوار، ولم يعجبه ما قلته عنه فيه ؟..

أم انه بعد ما قرأ الحوار كاملاً ، اكتشف أننى لا أعرف مـا كـان يخـاف منـه أن أكون أعرفه، وسأذكره فى الحوار؟ أو كان يعتقد أننـى أعـرف شـيئا كـان يخشـاه، ولكن بعد ما تأكد أننى لا أعرفه، بعـد قراءتـه للحـوار كـاملاً لم يهتم بـالرد عـلى مكالمتى التى طلبها مكتبه، ويبدوا انه قال فى نفسه «سيبك منه وخليه على عماه!!» الله أعلم.

ويقول «لويس جريس» ...

عن إستئذان «هيكل» وعودته مرة أخرى للحياة العامة والكتابة ..

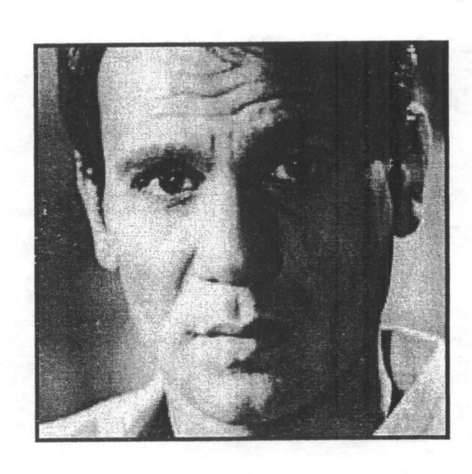
هذه أحد أساليب «هيكل» فى الكتابة، لأنه عنـدما اسـتأذن فى الانصـراف، ولم يقل إنه يستأذن فى عدم الكتابة، فسافر للخارج ثـم عـاد، فالإستئذان كـان مجـرد بلاغة كلام، أكثر منها وعود أخرى، لأن كتابات «هيكل» دائمًا ما كانـت تشـير إلى

معنى، يحتمل معنى آخر وهذا هو «هيكل» .

ولهذا يرى «لويس جريس» أن الكثيرين يلمحون إلى أن شخصية «محفوظ عجب» هى تنطبق على الأستاذ «هيكل» ولكن الأستاذ «موسى صبرى» صاحب الرواية لم يصرح بهذا أبدًا ، ويتساءل : لماذا يدعون هذا الكلام؟!

ويضيف : لكن رواية «زينب والعرش» لـ«فتحى غانم» قد تنطبق على «هيكل» و«التابعى» و«إحسان عبدالقدوس» و«موسى صبرى».

عبد الحليم حافظ ..




يحكي «لويس جريس» عن علاقته بـ«عبد الحليم حافظ» ،ويصفها بانها كانت صداقة قوية وممتدة على مدى العمر، ولكن كانت بداية التعارف ولأول مرة بين «حليم» و «لويس» عندما إصحبه زميليه «محمود السعدني» و الرسام الشهير «أحمد ثابت طوغان» إلى ما كان يطلق عليه في ذلك الوقت كازينو «بديعة» حيث مكانه الأن فندق شيراتون، وحينها جاء «عبد الحليم حافظ» في صحبة «كامل بك الشناوي» رئيس تحرير «الجمهورية» والكاتب الساخر الشهير، والشاعر الغنائي الكبير، ولكن ربما لا يعرف الكثيرين إلا انه مؤلف، الأغنية الشهير «لا تكذبي» ..

والغريب أن هذه الأغنية، غنتها «نجاة الصغيرة» ولم تنجح، وغناها «عبد الوهاب» بالعزف على العود، وغناها «عبد الحليم حافظ» وتفوق في الأداء، ولكن بعد ما غنتها «نجاة» في الفيلم الشهير نجحت نجاحاً باهراً، بسبب تصويرها في السياق الدرامي للفيلم، المهم أن «كامل الشناوي» كان يدعم ويساند «حليم» في مسيرته الفنية، ومن هنا تعرف «لويس» على صديقه «حليم» ، وكان موهبة شابة ناشئة تبناها «الشناوي» وكان يصطحبه معه في كثير من سهراته، وأحياناً كان يطلب

منه أن يغني في هذه السهرات، وأعطاه «كامل الشناوي» قصائد كثيره من تأليفه مثل : «لست قلبي» و«حبيبها» ، وتوطدت العلاقة بين «لويس» وبين «حليم» عندما كان يأتي إلى «روزاليوسف» ليصطحب «إحسان عبد القدوس» ليقضيا سهراتهما الليلية، حيث كان «حليم» لا يفضل النوم ليلاً مثل «كامل الشناوي»، و«عبد الحليم حافظ» جاء إلى «روزاليوسف» كثيراً، وكان يجلس مع «لويس جريس» و «جمال كامل» و«مصطفى محمود» و«ابو العينين» سكرتير تحرير «روزاليوسف» و«صلاح جاهين» عندما عين في صباح الخير«

ويقول صاحب الذكريات ....

أن «عبد الحليم حافظ» عندما كان يدخل إلى دار «روزاليوسف» كان يهلل ويعمل هالة وهوليلة، وجلبة وحالة من السعادة والنشوة، وكان يجلس ينتظر «إحسان» فيطلب منه أن يغني جزء من أغنيته الجديدة، فيغني .. ويقول «لويس أن «عبد الحليم حافظ» عندما كان يقابل أحد من أصدقائه سواء كان رجل أو إمرأة، لم يكن يسلم عليه، بل كان يحتضنه إحتضاناً وعلى الفور، وبمنتهى السرعة، ومن هذه الطريقة كتب «صح جاهين» أغنية بالأحضان من طريقة سلام «عبد الحليم» لأصدقائه.. و«عبد الحليم حافظ» كانت علاقته قوية جداً بـ«إحسان عبد القدوس» ويعرف قيمة إحسان جيداً، وقيمة قلمه .

ويتذكر «لويس جريس» الأزمة الشهيرة بين «عبد الحليم» وبين «أم كلثوم» قائلاً : كنا سهرانين في حفلة بمناسبة ذكرى ٢٣ يوليو ، و«أم كلثوم» غنت وأجادت، وكان المفترض أن تنتهي من فقرتها الساعة الواحدة صباحاً، وإذا بها تستمر حتى الساعة الـ٣ صباحاً، و«عبد الحليم» كاد أن يجن، كلما أعادت كوبليه من أغنيتها، وعندما جاء دور «حليم » ليغني، كان يخشى من إنصراف الجمهور بعد غناء «أم كلثوم» بسبب التأخير ، وخشى أيضاً من أن الرئيس «عبد الناصر» يغادر الحفلة فيغادر معه الجمهور، ولكن الرئيس إستمر ليستمع إلى «حليم» الذي

فاجأ الجميع قبل أن يغني، وقال : أنا مش عارف هل الغناء بعد «أم كلثوم» شرف لي أم انه مقلب من الست «أم كلثوم»؟ ، وتكهرب الجو وحدثت الأزمة الشهيرة، ولكن سرعان ما تم فض الإشتباك بينهما بأن جعلوا «أم كلثوم» تغني في يوم ٢٣ يوليو ، و «عبد الحليم حافظ» يغني يوم ٢٦ يوليو في الأسكندرية ..

ولم يجتمعا مع بعضهما في اي حفلة بعد ذلك حتى لا يشتبكا مع بعضهما بالكلام .

ويقول كاتبنا الكبير .....

للأسف ناس كثيرة كانت تقول أن «عبد الحليم حافظ» كان يدعى المرض، حتى يكسب عطف الجمهور، وهذا كان غير حقيقي، لأننا نحن تحديداً في «روزاليوسف» كنا نعلم حقيقة مرض «عبد الحليم حافظ» ، وأنه كان يعالج من مرض دوالي المرئ ، ومرات كثيرة عندما كان يذهب إلى المصيف في الأسكندرية، لدى «إحسان عبد القدوس» وعندما ينزل إلى البحر كنا نرى جسده مشرط من جراء كثرة العمليات الجراحية التي أجريت له .

ويذكر «لويس» انه في إحدى رحلاته إلى أمريكا تخلف في باريس لأمر ما، وكان يسير في شوارعها للتنزه فتقابل فجأة مع «محمد حمزة» الشاعر الغنائي الكبير، والذي كان يعمل مساعد خطاط في روزاليوسف، وكان «عبد الحليم حافظ» يقف على المسرح يقدم الأغنيته التي سيغنيها على انها من تأليف الشاعر «محمد حمزة» ..

فسأله «لويس» بتعمل إيه هنا يا محمد ؟

فقال : انا هنا مع «عبد الحليم حافظ» لأنه مريض وبيتعالج في المستشفى .

لويس : سأتي معك لأزوره .

وإشترى «لويس» ٣ وردات بـ ٣٠ فرنك، وذهب «لويس» مع «حمزة» إلى المستشفى لزيارة «عبد الحليم حافظ» ، وسعد «حليم» وتهلل وجهه عندما رأى «لويس» قادماً لزيارته، وبعد العودة إلى مصر ..

قال لويس إلى الأستاذ «عبد الرحمن الشرقاوي» رئيس مجلس إدارة «روزاليوسف» مش معقول «محمد حمزة» معين لدينا مساعد خطاط بـ٥ جنيه، في الشهر و«عبد الحليم حافظ» يقدمه في حفلاته بالشاعر الكبير ..

الشرقاوي : يعني عاوز إيه ؟

لويس : ينقل إلى أسرة التحرير، ويرفع راتبه ..

ووافق الشرقاوي على النقل والزيادة لـ«حمزة» وأصبح راتبه ٣٠ جنيه .

ويؤكد «لويس جريس» ..

على أن «عبد الحليم»، كان شهم ورجل مواقف وابن بلد حقيقي، ويتمتع بأخلاق القرية من الكرم والواجب والأصول.. ويقول : ذات يوم كانت «سناء جميل» تصور مسلسل في ألمانيا، ومنتج المسلسل أهان احد الوجوه الجديدة، لأنه لم يكن حافظاً جيداً لدوره، فإعترضت «سناء» على هذه الإهانة..

فقال المنتج : أنا حر أفعل ما اريد واللي عاجبه يعمل معنا على كده اهلا وسهلاً واللي مش عاجبه بالسلامة ..

وقالت سناء : فعلاً انا لا أريد العمل معكم، وتركت العمل، وهى عائدة بالطائرة تقابلت مع «عبد الحليم حافظ» على الطائرة، فلم يتركها وحدها، وأوصلها إلى البيت ، ورن الجرس وعندما فتح «لويس» الباب، وجد «سناء وحليم»، يدخلان عليه..

وقال حليم : «لويس» الأستاذة أهى ياعم كانت جايه من المانيا، وقلت أوصلها لك، إلى باب البيت.

ويقول لـويس : مـع انهـم كـانوا يسـكنون في الـدور الرابـع، في عمـارة بـدون أسانسير، ولكن «حليم» كان شـهم وزوق وجـدع، لأنـه رغـم مرضـه أصر عـلى توصيل «سناء» ولم يتركها تأتي بمفردها لأن «لويس» لم يكن يعلم موعد حضورها، نظراً لعدم إكتمال التصوير وفي هذا اليوم سهرنا وضحكنا طوال المساء.

ويستشهد «لويس» بمثل اخر يدل على شهامة ورجولة ومواقف حليم» ..

ويقول : أصدر «عبد الناصر» قرار بفصل «مفيد فوزي» وكان مكتوب في هذا القرار جملة مع عدم صرف راتبه، وحاول «حليم» بشتى الطرق أن يعيد «مفيـد» إلى الكتابة مرة أخرى، وإتصل بنـاس قـريبين مـن «عبـد الحكـيم عـامر» و «اشـرف مروان» لكي يعود «مفيد» إلى عمله، وبعد ما لم يوفـق في هـذا، لأن الـرئيس « عبـد الناصر» كان هو الذي إتخذ القرار.. فوجيئ «لويس» بحضـور «عبـد الحلـيم» إلى «روزاليوسف» ..

وقال: لويس ممكن تاخدني إلى بيت «مفيد» بسيارتك لأني مشيت السواق،

لويس : طبعاً ممكن .. وركبا السيارة وذهبا إلى «مفيد» الذي كـان يسـكن في منيـل الروضة، وحتى يتأكدا انه في المنزل قالوا للبواب إطلع ونـادي عـلى «مفيـد» وبالفعـل صعد البواب، وقال له : «عبد الحليم» تحت ويريدك، ونزل «مفيد» اليهما مسرعاً..

وقال «عبد الحليم» : خلاص يا «لويس» انا سـأظل مـع «مفيـد» وإرجـع انـت إلى عملك، وتركهم «لويس» وانصرف، ولكنه إكتشف فيمـا بعـد مـن كلامـه مـع «مفيـد فوزي» أن «عبد الحليم» جاء إليه حتى يوقع عقد مع «مفيد» ليعمل كموظف في شركة صوت الفن التي كان يمتلكها «عبد الحليم» و «عبد الوهاب» و «مجدي العمروسـي» ، وكان راتب «مفيد» حينها ٤٥ جنيه، وكان يتحمل «عبد الحلـيم» يتحمـل ٢٥ جنيـه، و«ناديه لطفي» ٢٠ جنيه حتى يعطيان له الراتب بطريقة شيك وراقيـة، وبـدون إحـراج له ، فـ«عبد الحليم» كان صادق مع نفسه ومع اصدقائه ولم يكن يتخلى عن أحـد مـنهم

أبداً، عندما يكون في إحتياج للمساندة في المواقف الصعبة والأزمات .

ويقول «لويس» لم يتوقف «عبد الحليم» كثيراً عند حياة اليتم والحرمان التي عاشها، او انه تربى في ملجأ، وأن شقيقته الكبرى «عاليه» هى التي إحتضنته ورعته، لأنه حاول أن يعوض هذا اليتم والحرمان من خلال إنغماسه وتفانيه وإخلاصه الشديد في فنه، ومن خلال تكوينه لشبكة من الأصدقاء الأوفياء، وأيضاً كان «عبد الحليم» باراً بأهله إلى أقصى درجة من العطاء والسخاء والتضحية، وقد كان بينهم أُولفة وحب ودفء وترابط أُسري في منتهى القوة والمتانة، يقوم على التفاهم والإنكار الشديد للذات وكأنهم يعيشون الكل في واحد.. ويذكر «لويس» أن «عبد الحليم» قال أن مذكراته سيكتبها «مفيد فوزي» ثم غير رأيه وكتبها له «منير عامر» وطلب «منير» من «لويس» نشر مذكرات «عبد الحليم»، ووافق ، ولكنه فوجئ بمجلة «الكواكب» نشرت مذكرات «عبد الحليم» ، فتوقف «لويس» عن النشر، وإحتفظ بالحلقات التي كان تم إعدادها للنشر، وبدأ «منير» يلح عليه بالنشر..

فقال له : سأنشر ولكن بشروط.. اولها أن يكتب «عبد الحليم» أن المذكرات بقلم «عبد الحليم» ثم يسجل في شريط كاسيت يقول : أن هذه مذكراته وليس له أية علاقة بأي مذكرات أخرى، غير التي في «صباح الخير» ثم ينشر إعلان في التليفزيون يعلن عن هذه المذكرات .. ويقول «لويس» : بالفعل تم تنفيذ شروطه، وتم نشر الإعلان التليفزيوني بصوت «نجوى إبراهيم»، وبمجرد نشر الإعلان عن نشر مذكرات «عبد الحليم» هذا رفع التوزيع، فتم رفع سعر المجلة، ورغم هذا تم بيع ٢٧٠ ألف نسخة ، وأصبحنا نكسب من التوزيع، لأن الإعلانات كانت ضعيفة في هذه الفترة، ولكن بعد ارتفاع التوزيع، بدأت الإعلانات تتدفق عليهم .

ويتعجب «لويس» حينما يقول ....

كان يوجد إشاعات يتم ترويجها أن «عبد الحليم» كان يقف ضد الفنانين الشبان من المطربين، وقالوا: ذلك عندما ظهر «كمال حسني» و «محرم فؤاد» و

«هاني شاكر» الذي قالوا عنه أن صحته جيدة وسيسحب البساط من تحت أقدام «عبد الحليم» وسينهي عليه، ولكن هذا لم يحدث وقد غنى «هاني» ولم يتوقف «عبد الحليم» بل ظل كما هو في المقدمة، وهذا حدث مع «محرم فؤاد» و «كمال حسني» لدرجة أن المنافسين انتجوا له أفلام ، واحضروا «شادية» لتمثل أمام «كمال حسني» لأنها قدمت أفلام ناجحة مع «عبد الحليم» ، ولكن ظلت أفلام «عبد الحليم» كما هى في المقدمة وتفوق على الجميع..

ولكنه يقول : أن «عبد الوهاب هو الذي كان يفعل هذا ، مع المطرب الجديد الذي يظهر على الساحة، بدلاً من أن يجعله يركز على فنه، يتعاقد معه على عدة أفلام، ويعطي له مقدم عقد كبير على هذه العقود، فينطلق الفنان الشاب الناشئ ويعيش حياته بالطول والعرض، في السهر والنسوان، وحياة اللهو والمرح التي بالطبع تؤثر على فنه الذي لا يهتم به ، وبالتالي «عبد الوهاب» لا يكمل معه الأفلام ولا يطالبه بشيئ ، وهذا المخطط نجح مع كثير من المطربين، منهم «محرم فؤاد» و «عبدالغني السيد» ولكنه لم ينجح مع «عبد الحليم» الذي لم يعيش حياة اللهو والمجون، لأنه أولاً يحب فنه، ثم أن صحته لم تكن تساعده على هذا إذا أراد، فلم يذهب هنا أو هناك، وعندما نجح ساعده عبد الوهاب وإحتضنه، بل وشاركه في شركة «صوت الفن» وأصبحت علاقتهما جيدة جداً لدرجة أن «عبد الوهاب تبناه فنياً، بل كونا معاً لوبي فني قوي ورائع .

ويؤكد «لويس» على عدم زواج العندليب من السندريلا «سعاد حسني» قائلاً : في رأيي انه لم يتزوجها رغم إصرار زميلي وصديقي «مفيد فوزي» انه تزوجها، لأن «عبد الحليم» كرجل هو فنان مشهور ومحبوب، من جماهير الشباب، ولم يكن يحب أن يُعرف عنه انه ارتبط بأخرى وتزوجها، حتى لا يكون ملكاً لغيرهم ، ولهذا كان يصر على إعلان انه لم يتزوج، ولكن «مفيد» يؤكد زواج «عبد الحليم» من «سعاد حسني» والسؤال هنا لـ«لويس» أن «سعاد» لمن يعرفها جيداً ، لم تكن

تلك الفتاة التي كانت ستمتنع عن «حليم» إذا أحبته أو رأته مناسباً لهـا ، وإذا كـان «عبد الحليم» أحب «سعاد» وارادها ، ما كانت ستمتنع عنـه، فلمـاذا يتزوجهـا ؟ ولماذا يقدم «عبد الحليم» على الزواج منها ؟ ..

ولهذا يؤكد «لويس» انه لم يتزوجها، الأمر الثاني : لو أن «عبد الحليم» و«سعاد» كانا تزوجا، كان لابد أن يلتقي «عبد الحليم» بوالدها «حسني الخطاط» ويضع يده في يده لكي يقرأوا الفاتحة، ولم ير أحد هذه الصورة أو يشهد اخر هذه الجلسة ...

ثم المهم أو الأهم كما يقول «لويس» أن «عبد الحليم» كـان مـريض ونوعيـة مرضه هل كانت تمنعه من ممارسة العلاقة الزوجية أم لا ؟ وقد كان كثيراً ما يكون مريض وطريح الفراش، يشكو من آلام المعدة والضعف والهزال .

ويشير «لويس» إلى عدم إصابة «حليم» بالإكتئـاب بعـد هزيمـة يونيـه ٦٧ مثـل «صلاح جاهين» وقد كانا الأثنين مبشرين بأهداف ثورة يوليو، بـل إستمر في فنـه، ولكن ما حدث أن «عبد الحليم» بدأ مرحلة جديدة مـع «عبد الـرحمن الأبنـودي» وغنى«إبنك يقولـك يـا بطـل هـات الإنتصـار»، و «أحلـف بسـماها وبترابهـا»، و «المغربية جت»، لأن «عبد الحليم» لم يستسلم للهزيمة ولم ينهار، بل واصل مشوار الفني بالكفاح والجهاد، وتقديم الحفلات للمجهود الحربي، ولم يتخلَ عـن دوره الوطني، الذي كان بدأه قبل الهزيمة التي لم يعترف بها ويجعلها تؤثر عليـه وتهزمـه .. ثم أن «عبد الحليم» لم يكذب في فنه لأنه كان يؤمن بأهداف الثورة حقيقة ومؤمناً بزعامة «عبد الناصر» ولهذا غنى لهما بمنتهى الإحساس الصادق المليئ بالوطنيـة والحماس، فألهب الجماهير بصوته بما قدمه من أغاني وطنية أكثر من رائعة . ومع أن البعض قالوا: انهم لا يصدقون «عبد الحليم» عنـدما يغنـي ، وهـذه كانـت مـن الشعارات البلاغية، التي يقولها البعض عندما يريد أن يصـف الفنـان بالصـدق في الفن ، لكن لا يوجد انسان صادقاً دائماً أو كاذباً طوال عمره، بالطبع «عبد الحليم» لم يشذ عن هذه القاعدة كأي إنسان طبيعي .

يذكر «لويس» عندما كان يـذهب إلى منـزل «عبـد الحلـيم» في الزمالـك، كـان يلاحظ أن سفرة الطعام، دائما سواء في الغداء أو العشاء تكون عامرة بشـتى أنـواع الطعام، وكان «عبد الحليم» يأتي وينظر اليها ولكنه لا يأكل، منهـا شـيئ والجميـع يأكلون ويستمتعون بما لذ وطاب بأشهى الطعام، وقيل هذا عن «عبـد الحلـيم» و «عبد الوهاب» خاصة مع ثمار المانجو، فقد كانا يحبان المانجو ، و«عبد الحلـيم» كان يقشر ثمرة المانجو، ويتغزل فيها وربما يأخذ لحسة منها بلسانه ولكنه لم يكـن يستطيع أن يأكلها، لأنها شديدة على معدته..

وعن مقالب «عبد الحليم» يقول حـدث ولا حـرج، فقـد كـان ثمـة العصـر ، والجيل كله يعيش على المقالـب الضـاحكة، وكـانوا يتنصـتون عـلى المكالمـات التليفونية ويحكوهـا لـبعض ، ويعطـون بعضـهم مواعيـداً مضـروبة، ويتقمسـون شخصيات غير شخصياتهم في المقالب، ويعتقد «لويس» أن مقالب «عبد الحلـيم» كان تعلمها من «كامل بك الشناوي» الذي كان أفضل من يدبر ويخطط للمقالب .

ويقول «لويس» : حاول «عبد الحليم» أن يحـل محـل «فريـد الأطـرش» بعـد وفاته، في حفلات بعض الأثرياء العرب، خاصة انهم كانوا يأتون إلى «فريد» للعـب الكوتشينة، و«فريد» كان يحصل على «الجانيوتا» أو الأرضية كمـا يقـال ، وحـاول «عبد الحليم» أن يجعل الأثرياء العرب يـأتون إليـه، بـدلاً مـن السـفر إلى أسـبانيا وفرنسا وأمريكا للعب الكوتشينة، ويحل محل «فريد» في هذا ، ولكنه لم يفلح، لأن «فريد» كان يتميز عن «عبد الحلـيم» في أمـرين، أن شـقة «فريـد» كانـت في الـدور الـ١٢ على النيل بشارع أبن مالك، ولم يكن معه أحد، ولكـن «عبـد الحلـيم» كـان يعيش مع أسرته ..

ويبدو أن «فريد» كـان يسـتطيع تـوفير أمـور أخـرى لضـيوفه، بجانـب لعـب «الكوتشينة» حتى يستمتعوا بكل شيئ و«فريد» كان أقـدر مـن «عبـد الحلـيم» في توفير هذه الملذات، وتوفير الأجواء لهم لأنهم كانوا يأتون إلى شقة «فريد» ولكنهم

توقفوا عـن المجيـئ إلى شـقة «عبـد الحلـيم» لأنـه لم يقـدر عـلى تـوفير الأجـواء والملذات التي كان يوفرها «فريد»..

مع أن «عبد الحليم» كانت له علاقات قوية ومحترمة، وتتميز بانها صداقات ممتدة وعلى أعلى مستوى ببعض الأمراء والملوك العرب، وأشهر هذه الصداقات كانت مع الملك «الحسن» ملك المغرب، وأيضاً كانت علاقته جيدة بسمو الأمير «عبد الله الفيصل» وقد غنى له قصيدة «سمراء» وايضاً «حبيبتي من تكون».

ويقول صاحب الذكريات ...

عندما اصبح «عبد الحليم حافظ» نجم النجوم على ساحة الغناء العربي ، توطدت علاقته جيداً بالسلطة، حيث كانت له علاقات قوية مع «عبد الحكيم عامر» و «زكريا محي الدين» ، وجميع الشخصيات القوية في مجلس قيادة الثورة، وكان يغني في حفلات زواج ابنائهم ، وقد غنى في حفلة زواج «منى عبد الناصر» وبالطبع كان يجاملهم..

وعن علاقة «عبد الحليم» مع الرئيس «عبد الناصر»، يقول «لويس» كانت علاقة مباشرة دون أطراف أخرى أو وسيط، مع «عبد الناصر»، لأنه كان يكلمه مباشرة، بل كان كثيراً ما يسهر في منزل «عبد الناصر» حيث كان أبناؤه كغيرهم من المصريين يحبون المطرب الشهير.

ولكن علاقة «عبد الحليم» مع الرئيس «السادات» يقول «لويس» عندما نفتش في هذه العلاقة لا بد أن نجد «فوزي عبد الحافظ» مدير مكتب الرئيس، الذي كان هو الطرف الأخر أو الوسيط الذي يخبر «عبد الحليم» بما يقوله أو يريده الرئيس .

ويقول «لويس» كان «عبد الحليم» يقدم هدايا لكثير من الصحفيين، والحقيقة لو أن الصحفي قبل هدية من «عبد الحليم» ثم ردها كتابة، فهذه هى الرشوة.. أنما هل يا ترى هو طلب منهم الكتابة أم انهم تبرعوا بالكتابة من تلقاء أنفسهم؟ حيث كان

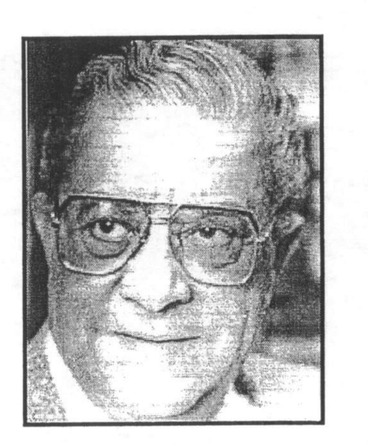
«حليم» يقدم بالفعل كرافتات وهى هدية مقبولة في جميع الأحوال ، و«عبد الحليم» كان يستعمل جملة النبي قبل الهدية، و«عبد الحليم» لم يدع شيئ يمر إعتباطاً ، وكان له ميزة مع رأس السلطة، لأنها تفتح أمامه الأبواب المغلقة، عندما يعرف الناس أن «عبد الحليم» يسهر في منزل «عبد الناصر» فهذا له ميزة كبرى بالطبع ..

مع انه يؤكد على أن «عبد الحليم» كان انسان بسيط جداً، بل إلى أقصى درجة من البساطة والتواضع ، وكان ابن بلد حقيقي شهم وجدع، ولم يستعرض نفسه أمام أحد أو إستقوى على ضعيف أبدا، هذا لم يحدث ولم يستغل علاقاته السلطوية في أي امر من أمور حياته الفنية أو الشخصية، وكان الجميع يتأكد من هذا، إذا حدثت مشكلة ما أو أزمة ما، كان «عبد الحليم» يتعامل معها بمنتهى العقلانية، ويتحملها ويفكر في حلها، دون اللجوء إلى أحد من معارفه الكبار في السلطة، والذين كانوا يتمنون لو أن «عبد الحليم» طلب منهم أي شيئ سيحققوه له على الفور .

ويكشف «لويس» عن أن «عبد الحليم» كان سيقوم ببطولة فيلم غنائي إستعراضي، مع الفنانة الكبيرة «ليلى مراد»، ولكن كان أخر أجر تقاضته «ليلى» كان ١٥ ألف جنيه، في فيلم «غزل البنات» ، وحينها كان «عبد الناصر» أصدر قرار بأن لا يزيد أجر الفرد عن ٥ الاف جنيه، وكان «عبد الحليم» و«فاتن حمامه» هما فقط اللذان يحصلان على هذا المبلغ في تلك الفترة، أي انهما كانا أغلى أجراً في الفن .. وبالطبع «ليلى» لم توافق على تخفيض اجرها الذي سبق وحصلت عليه، وهذا كان سيتعارض مع القانون الذي أصدره «عبد الناصر» ولهذا لم يشاهد الجمهور فيلم يجمع بين «ليلى مراد» و«عبد الحليم» ..

ويؤكد صديق «عبد الحليم» على انه كان شخصية سلسة وبسيطة ومرحة، وكان به وفاء كبير جداً وإخلاص لأصدقائه، وزملائه، وكان يعشق الفن بطريقة جنونية ويعشق جمهوره ويعمل لع ألف حساب .

موسى صبري ..




يقول «لويس جريس» انه تعرف على الكاتب الصحفي الكبير «موسى صبري» في إحدى السهرات، في منزل زميله «مفيد فوزي» ، ولكنهما تقاربا مع بعضهما خلال الفترة التي تم منعه من الكتابة في فترة الستينات..

ويرى «لويس جريس» دور «موسى صبري» في الصحافة المصرية، بأنه كان إستكمال لدور الأساتذة «علي و مصطفى أمين» لأنه كان تلميذ مجتهد ووفي لهم (عكس غيره) ، ومن ضمن الصحفيين الذين تتلمذوا في مدرسة الأخبار ، وقد شغل منصب رئيس تحرير مجلة «الجيل» ورئيس مجلس إدارة ورئيس تحرير أخبار اليوم ..

ويؤكد «لويس» انه من خلال نموذج «موسى صبري» إستطاع أن يشكل لنفسه فكرة عن ما يجب أن يسعى إليه عند بدء العمل في الصحافة .

وأكد انه كان شخصياً يسعد بـ«موسى صبري» وبكتاباته السلسة، وجمله الرشيقة، كما أنه كان من محافظة أسيوط، التي هى بلدة «لويس جريس ».

ويقول صاحب الذكريات ..

برز الأستاذ «موسى صبري» أمام جيله من الصحفيين، كنموذج للصحفي النشط، الذي يتواجد في موقع الحدث عندما يحدث أو وقت حدوثه، ويوافي القراء بالحدث من موقعه ومكان حدوثه، وهذا كان مبهراً لشباب ذلك الجيل من الصحفيين.. ويذكر «لويس» جملة من الجمل التي إرتبطت بـ«موسى صبري»، وهى الجملة الشهيرة التي كانت تصفه بها جريدة «أخبار اليوم» عندما تنشر : طار اليوم «موسى صبري» إلى إيران أوالى بيروت أو الخرطوم.. وهكذا عندما يجري حدث أو تحدث أحداث يكون «موسى صبري» هو الصحفي المصري الذي يطير إلى موقع الحدث .

ولذلك كان الذين يقومون بالتدريس لـ«لويس جريس» في الجامعة الأمريكية، يقولون لشباب الصحفيين: على الصحفي دائماً أن تكون شنطة ملابسه جاهزة، بمتعلقاته الشخصية، بحيث إذا حدث حادث ما، يذهب إلى منزله ويأخذ شنطته، وينطلق عبر الطائرة إلى مكان الحدث، هكذا إشتهر «موسى صبري» بالصحفي الطائر إلى مكان الحدث، ولهذا كان معظم شباب الصحفيين يتمنون في المستقبل أن يكونوا صحفيين وكان النموذج الأمثل أمامهم هو «موسى صبري» ..

ويقول «لويس» : كان «موسى صبري» له واقعة شهيرة بينه وبين إحدى الراقصات، ولكنه إبتعد عنها، ثم تزوج من إحدى خريجات قسم الصحافة، في كلية الإعلام، وأنجب منها ولدين ..

وبعد زواج «لويس» من «سناء جميل» تفضل «موسى صبري» بدعوتهما إلى تناول الغداء في نادي الجزيرة، ليحتفي بهما، و«موسى صبري» كان يميل إلى اليمين، ومن يعمل في «روزاليوسف» يميلون إلى اليسار، ولهذا لم يكن يوجد ترحيب من «لويس»بأن يختلط في اليمين، وتحدثوا كثيراً حول ما يجري من أحداث، وكان يأمل في ذلك الوقت أن يصبحا (لويس و سناء) جزءً من المنظومة

التي يتحرك فيها «موسى صبري»، ولكن «لويس» بطبعه كان عازفاً عن الإندماج في أي من المجموعات التي كانت موجودة في تلك الفترة، لإنه لم يكن يبحث عن الشهرة، لمجرد انه تزوج من ممثلة مشهورة، لإنه لم يكن مشهوراً في تلك الفترة، وإبتعد بطريقته بعيداً مفضلاً عدم الإنضمام إلى المجموعات ، وكان أهم هذه المجموعات تلك التي كان يقودها «علي و مصطفى أمين» أو مجموعة «أحمد بهاء الدين» أو مجموعة «موسى صبري» ومجموعة «يوسف السباعي» ، أو مجموعة «محمد حسنين هيكل» والتي كانت في المقدمة..

ويقول : أن هذا الإبتعاد كان يتوافق مع شخصية زوجته «سناء جميل» أيضاً لأنهما كانا يميلان إلى الإنصراف إلى العمل أكثر من الإنخراط في الحياة الإجتماعية، ومن هنا إستطاعا أن يبنيان لأنفسهما تفرداً إنفردا به وسط المجموعات المتعددة والتي كانت تبحر في بحور الفن والصحافة في ذلك الزمان.

ويقول كاتبنا الكبير..

أن «موسى صبري» خاض معارك كثيرة، ضد الناصريين والشيوعيين وأشهرها التي دارت بينه وبين الأستاذ «محمد حسنين هيكل» لأنه كان يريد، أو هكذا خيل إليهم، انه كان يسعى ليكون بجانب الرئيس «السادات» كما كان «هيكل» بجانب الرئيس «عبد الناصر»، وكان يريد أن ينفرد ببعض الأخبار من الرئيس «السادات» كما كان يفعل «هيكل» مع «عبد الناصر، ولكن «السادات» رفض أن يميزه على غيره من زملائه الصحفيين، مع انه كتب له كثير من خطبه السياسية، ولكنه لم يخصه بأخبار رئاسية خاصة، ومع هذا لم يستقي «موسى صبري» أية اخبار من المعلومات التي كان يتحدث يها «السادات» كما كان يفعل «هيكل» لأن ما كان يفعله «هيكل» كان يوافق عليه «عبد الناصر» لأنه لم يكن من السهل على أحد أن ينشر خبر دون المرور على الرقابة، فكيف بالأخبار التي تنشر في الصفحة الأولى من جريدة الأهرام، ولا يكون «عبد الناصر» يعرفها أولاً .

ويقول «لويس جريس» من ضمن الحروب التي خاضها «موسى صبري» كانت معركته على منصب نقيب الصحفيين، وبما انه كان قريباً من الرئيس «السادات»، وكان مرشحاً ضده الأستاذ «حمدي الجمال» مدير تحرير «الأهرام» في تلك الفترة، قام «حسنسن هيكل» بدور خفي في هذه الانتخابات ضد «موسي» و«السادات»، حيث قام بإستضافة جميع مراسلي «الأهرام» الذين يعملون في الخارج، سواء في أوروبا وأمريكا أو كندا حتي في استراليا، وبالطبع لم ينسى مراسلوا «الأهرام» في الدول العربية، ولا المراسلين في محافظات مصر في الداخل، ونزلوا جميعاً ضيوفاً علي جريدة «الأهرام»، وتم تجييش باقي الصحفيين في «الأهرام»، وقاموا بالاتصال بباقي الصحفيين الناصريين والشيوعيين، واستغل «هيكل» كراهية الناصريين والشيوعيين لـ«السادات» ولـ«موسي صبري»، وبالفعل نجح «هيكل» في إسقاط «موسي» في منصب نقيب الصحفيين ضد «حمدي الجمال».

ويتعجب كاتبنا الكبير..

من الذين قالوا : أن الرئيس «السادات» أعطى «موسى صبري» الضوء الأخضر لشن الهجوم على «عبد الناصر» والناصريين، على صفحات جريدة الأخبار..

قائلاً : لا هذا لم يحدث، بل ماحدث كان عن إقتناع داخلي لـ«موسى صبري» وإستكمالاً للحرب الدائرة بينه وبين الناصريين، بعد أن جرب هذا الطريق ونجح، ولم يجد إعتراض عليه، ولم يمنعه أحد، أو يطلب منه التوقف، فلماذا يتوقف وهى حرب أفكار وأيدولوجيات، فإستمر فيها، وكانت تجد صدى لدى القراء خاصة أن عصر «عبد الناصر كان عصراً منغلقاً، ولم يكن يعرف الشعب ماذا يحدث معه أو ماذا يحدث له، فجاء «موسى» وأزاح الكثير من ستائر الظلام عن بلاوي العصر الناصري، وسلط الضوء على كثير من الأحداث التي لم يكن أحد يستطيع الإقتراب منها، وعرى سؤات شخصيات وزعامات، كانت تتخفى خلف عدم كشف

المستور، وتم كشف حقيقتها امام الشعب .

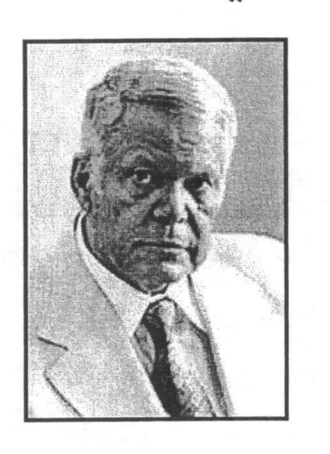
ويضحك «لويس» عالياً وهويقول : ذات يوم كتب «موسى صبري» في يوميات الأخبار، وفي عهد «عبد الناصر» نقداً عن المذيعة «همت مصطفى» وكانت متزوجة من احد رجال المخابرات، فتم ركنه وإيقافه عن الكتابة بسبب هذا النقد، فقام بحلق شاربه.

وعندما سأله أصدقائه عن سبب حلق شاربه ؟

قال : لما واحدة ست تقعدني في البيت ، يبقى أحلق شنبي!

وعن علاقة «موسى» بـ«السادات» ؟ يقول «لويس» انها بدأت عندما كان «السادات» محبوس في قضية «أمين عثمان»، و «موسى صبري» كان معتقلاً بسبب تهريبه لـ«الكتاب الأسود» لـ«مكرم عبيد» ، وتعرف على «السادات» في السجن، وظل قريباً منه، ومؤمناً بسياساته، ومباركاً خطواته، وساعياً لتحقيق أهدافه، ووفياً له، حتى بعد وفاته.

يوسف السباعي ..

يقول «لويس جريس» الحديث عن «يوسف السباعي» مهما كان طويلاً، لكنه لن يلم بكل أمور «السباعي» ذلك لأنه كان متعدد الجوانب والمواهب، ومتعدد الإبداعات، فهو كان يكتب الرواية، والقصة القصيرة، ويرأس منظمة سياسية، وهى منظمة التضامن الأفرو أسيوي، وتصدر له روايات تتحول إلى أفلام سينمائية، وكانت مؤثرة في تاريخ السينما المصرية مثل «السقامات» و «العمر لحظة» و «رد قلبي» و «أرض النفاق» وكثير منها دخل ضمن أعظم ١٠٠ فيلم خلال القرن الماضي.

ويقول «لويس» عندما تتحدث عن «يوسف السباعي» الإنسان تتكتشف أمور مدهشة، مثلاً هو الذي عين «أحمد فؤاد نجم» في منظمة التضامن الفرو أسيوي، مع انه كان يهاجمه، وعندما سأله «لويس» عن هذا التعيين ..

قائلاً : يوسف بك «أحمد فؤاد نجم» هاجمك كثيراً في أشعاره، وعندما تقدم لطلب وظيفة، وافقت على تعينه ؟

السباعي : بعد أن يضحك، يا «لويس» انا لا أقف كثيراً امام من يهاجمونني، ويقولون بأنني لا أعرف الكتابة، ولست بروائي، وأعتبر هذا الهجوم وجهة نظرهم، لأنني روائي، وأنشر رواياتي ولها قراء، فماذا فعل هجومهم ؟

لكن يظل السباعي ...

كما يقول صاحب الذكريات، هو الصحفي الذي بدأ الكتابة في «روزاليوسف» وإستمر يكتب فيها سنوات ثم تركها إلى مجالات أخرى، ولكنه ظل في الكتابة الصحفية والرؤية الإدارية كما هو معتاد، وكان «يوسف السباعي» شخصية نادرة لا يمكن سبر أغوارها، ومعرفة كيف تسير إلا بمعرفة أمور كثيرة، منها معرفة الشخصيات التي إقتربت منه أو التي تعاون معها، أو الشخصيات التي أثرت فيه وأثر فيها، ولا يستطيع احد أن ينظر إلى «يوسف السباعي» بمنظار واحد، ولا بد أن يراه من جوانب متعددة، وبرؤية متعددة، فقد كان موسوعة منتشرة ومؤثرة في إتجاهات عديدة، ولم يكن أحادي النظرة بل كان دائري النظرة .

ويقول «لويس» عندما يتذكر «يوسف السباعي» يتذكر نادي القصة الذي أنشأه في إحدى بنايات «سيف الدين» في شارع القصر العيني، وأنشأ المجلس الأعلى للثقافة .. ويذكر أيضاً أن «السباعي» هو الذي ضم «لويس» إلى الوفد الذي سافر إلى «كوبا» ..

حينما قال «لويس» إلى «أحمد بهاء الدين» : عاوز اجدد نشاطي، وأسافر إلى الخارج.

بهاء : إذهب إلى «يوسف السباعي» لأنه يقدر يوفر لك سفرية .

وبالفعل ذهب «لويس» إلى «السباعي» ..

وقال : أن له صديق يعمل في وزارة الإعلام بالكويت، وانه يريد السفر اليه في الكويت وكانت دولة جديدة، ويحصل فيها الإنسان على أعلى دخل يمكن أن يصل

اليه في العالم .

السباعي : وفد التضامن الأفروأسيوي سيسافر، وستسافر معه .

لويس : والسفر فين ؟.

السباعي : سنسافر إلى : كوبا، لكن عن طريق الإتحاد السوفيتي، والعودة كذلك، (حيث لم يكن يوجد طيران مباشر من مصر إلى كوبا) وان الرحلة ستسمر ٦ أسابيع .

ووافق «لويس» على السفر، وعرف في تلك الفترة أن «بهاء الدين» و «السباعي» تحمسا لسفره، لأن «فتحي غانم» رئيس التحرير كان ملقي تبعات «صباح الخير» على أكتافه، وكان متفرغاً لكتابة قصصه ورواياته ..

وسافر الوفد بالفعل إلى الإتحاد السوفيتي ومنه إلى «كوبا»، وخلالها إقترب «لويس» من «السباعي»، واكتشف انه رجل دقيق منظم مرتب، يقضي يومه كالساعة، ومواعيده بالدقيقة والثانية، وكان يوزع اعضاء الوفد على اللجان حتى تأتي له بالأخبار والمعلومات، وظهر «يوسف السباعي» الذي كان يبدو وكأنه لا يفعل شيئ يدير عملية كبيرة جداً لكنها في منتهى الدقة والسلاسة، حيث كان يلم بأطراف العملية السياسية، والروحية والإجتماعية في ذات الوقت، الذي يباشر فيه مهام عمله كرئيس للوفد المصري، ومع ذلك كان لا يغفل النشاط الإجتماعي والرياضي الخاص به، حيث كان يعطي لنفسه فرصة للسباحة في حمام السباحة الخاص بـ«الهيلتون»، وكان يقابل رؤساء اللجان ، بل كان يرأس لجان كثيرة ويستمع إلى رؤساء الوفود، وكان الجميع يشعر بتواجده، وانه في منتهى اليقظة والدقة في جميع مواعيده..

ويقول «لويس» : أن تربية «يوسف السباعي» العسكرية، كانت مؤثرة فيه من حيث الدقة والإنضباط والنظام ..

ويقول لويس جريس : أن الوفد المصري مكث في كوبا ١٠ أيام، على أمل انهم سيلتقوا بـ«فيدل كاسترو» و «تشي جيفارا» ، وكانوا يقولون لهم كونوا على أهبة الإستعداد، لأنه يمكن أن يأتي اليكم «كاسترو» في أي لحظة لأنه يمر في مناطق هنا وهناك، وفي يوم ما قالوا لهم : اليوم سيقابلكم الزعيم، ولم يهتم أحد كثيراً، والجميع جلس ينتظر في بهو الفندق،ولم يأتي وإعتقد الجميع أن هذا اليوم ربما يكون مثل سابقيه، ثم صعد الجميع إلى غرفهم، وظل «لويس» في مكانه إلى أن كبس عليه النوم، ثم فوجيئ بمن يوقظه الساعة ٣ فجراً، ويقول : إستيقظ أيها الصحفي المصري، ويستفق «لويس جريس» وإذا به يرى «فيدل كاسترو» امامه بل كان هو الذي أيقظه من النوم، وبدأوا يجمعوا الوفد المصري، ليتقابل معه، ويشرح لهم ماذا فعلت الثورة الكوبية، وبدأ يجيب على الأسئلة ..

وسأله «لويس» : هل تفكر في زيارة مصر ؟

كاسترو : بالطبع وانا متشوق لزيارة مصر، لأرى الفلاح المصري وأسلم عليه

لويس : لماذا الفلاح المصري ؟

كاسترو : لأنه معجزة فهو يزرع الأرض ٤ مرات في السنة، ونحن نزرع الزرعة الواحدة ٥ سنوات (لأنهم كانوا يزرعون القصب) ، وهذا انسان جدير بالرؤية والإهتمام . وإلتف الوفد حول «كاسترو» و «تشي جيفارا» وتم إلتقاط الصور، ودار الحوار حول ثورة مصر، وثورة كوبا، ولكنهم في كوبا كانوا ينظرون إلى ثورة يوليو على انها ثورة الأفندية (البرجوازية) وليست ثورة العمال، وتم تصحيح هذه المفاهيم بأنها ثورة شعبية، وليس لها أيدولوجية محددة لأنها تنظر إلى جميع فئات الشعب المصري .

ويقول شاهداً على السباعي ...

انه عاش تجربة خاصة مع «يوسف السباعي» عندما بدأ يكتب احدى رواياته في مجلة «صباح الخير» واكتشف أن التوزيع يرتفع إسبوع بعد الأخر، لأن القراء

كانت تتابع رواية «يوسف السباعي» والتي كانت بعنوان «ليل له أخر» وتأكد من إقبال الناس على اعداد المجلة، مع أن «لويس» كان من الفريق الذي لا يعترف بـ«السباعي» كاتباً أو روائياً أو كاتب قصة قصيرة، لكن الواقع أجبره على إحترام الرجل الذي رفع توزيع المجلة، مؤكداً أن «يوسف السباعي» كان أنسان طيب ورقيق ومتواضع ومحبوب ..

ولهذا فإن اسلوب حياته فتح له ابواب القلوب، وهو الذي كان يحتفل بعيد ميلاد «عبد الناصر» بإحضار تورتة ويجمع حوله الأصدقاء ويحتفلون، فقد كان شخصية فريدة مرنة يحسن إستقبال الناس ويحسن توديعهم، ولم يكن يتوقف طويلاً امام الذين يناصبونه العداء، مثل «أحمد عبد المعطي حجازي» و «صلاح عبد الصبور» و «أحمد فؤاد نجم» ولكنه لم يكن يعتبرهم أعداء، وهذه كانت ميزة «يوسف السباعي» .

الذي يستطيع أن يجمع الأفراد المتنافرة، وكان من ضمن المجموعة التي تلتف حوله أو شلته من ينتمي إلى اليسار وأخرين ينتمون إلى اليمين وغيرهم إلى الوسط، والوفد وجميع الأيدولوجيات والأفكار، واستمرت هذه المجموعة إلى أن توفى «السباعي» وأنفرط تماسكها لأنه هو الذي كان سبباً في تجميعها، وقد حاول الكثيرون أن يجمعوا الأطراف حولهم ولكنهم فشلوا ولم يستطيعوا، لأن «يوسف السباعي» كان شخصية جذابة وإسلوبه شيق وراقي، في تناول الأمور والتعاون، وكان يحتوي الذي أمامه ولا يدخل معه في صدام أو جدال اثناء النقاش.

وعن «يوسف السباعي» السياسي أم الأديب أم الصحفي أيهما طغى على الأخر يضع «لويس» صفة الأديب في المقدمة، ثم الصحفي، و«السباعي» السياسي يأتي في الأخر، لأن «يوسف السباعي» الرومانسي كان يناطح «إحسان عبد القدوس» وفي إقبال السينما على تحويل رواياته إلى أفلام، لدرجة أن «يوسف السباعي» كان من السهولة أن يحصل على رقم مالي في الفيلم، يكون «إحسان عبد

القدوس» جاهد كثيراً حتى يصل لمثله، وذات يوم سأل «لويس» عن رأيه في هذا الأمر .

فقال لويس : استاذ «إحسان» أرى أن تشترط مراجعة السيناريو والحوار كما يفعل «يوسف السباعي»، لأنهم كانوا يعطونه مبلغ كبير حتى يوافق على مراجعة السيناريو والحوار، ومن هنا كان أجره يرتفع..

اما عن الصحافة فقد تولى «يوسف السباعي» رئاسة تحرير «دار الهلال» ومنصب نقيب الصحفيين، والعضو المنتدب لمجلة «روزاليوسف» بعد التأميم، ويرى «لويس» أن «يوسف السباعي» لم يتميز في الصحافة مثل تميزه في الأدب، ولكنه كان لديه بُعد إنساني وإجتماعي جيد جداً، وكان يقف بجانب الزملاء ويجد لهم الأعذار، ويجعلهم يشعرون انهم لم يقصروا في شيئ، وكان ينفذ إلى القلوب ويستولي عليها، ويجعل الأخرون قريبون منه ولا يعارضونه ..

وعن «يوسف السباعي» السياسي يقول «لويس»: أن «السباعي» كان رافضاً منصب الوزير، ولكنه أجبر عليه من الرئيس «السادات» حيث عينه وزير للثقافة، وكان يدير الوزارة بهوادة وبدون تشنجات ولا صدامات ، وتولى وزارة الإعلام بجانب الثقافة خلال أشهر أغسطس وسبتمبر واكتوبر، ومرت المرحلة هادئة ومريحة لكل المبدعين، ولم يضاروا أو يستنفروا أو وضعوا في مواقف محرجة، ولكنهم كانوا يتعايشون مع بعضهم خاصة أن «يوسف السباعي» كان الصلة بينهم وبين السلطة، وعندما تكون لديهم مطالب أو مصالح مع السلطة، كان «يوسف السباعي» يتبنى هذه المطالب ويرفعها إلى السلطة ويسعى إلى تحقيقها لهم . ويقول «لويس» : عتب عليه البعض ولاموه لأنه إحتفظ بـ«سعد الدين وهبه» كوكيل أول وزارة الثقافة، لأنه كان يميل إلى اليمين، وكان في الأصل ضابط شرطة، وكانوا يخشون من كتابة التقارير والوشايات، فكان الرد ويقول «لويس» انه نقلاً عن «عبد الرحمن الشرقاوي» ..

إن السباعي قال : يا جماعة انا عامل زي اللي لابس حاجه ومريحاني وليه أخلعها.

ويقول «لويس» : «سعد» كان يستيقظ قبل «يوسف السباعي»ويكون جاهز لكي يخرج معه من منزله قبل موعد نزوله، ويذهب معه إلى الوزارة، وييسرا الأمور سوياً، فكان يريحه من جميع النواحي ..

ويؤكد الكاتب الكبير...

على أن «يوسف السباعي» حضر بدايات الهجوم الشرس من التيار الناصري على «السادات» بسبب «كامب ديفيد»، وكان «يوسف السباعي» من مؤيدي الإتفاقية، وقد ذهب مع الرئيس «السادات» في رحلته إلى «القدس»، ومع هذا تعامل مع الأمور ببساطة وسهولة، وحرفية عالية وكأنها نزهة يقوم بها أو كتاب يقرأه، لأنه كان رقيقاً ودقيقاً، وملماً بأطراف الموضوع، وفي نفس الوقت لا يصدر منه أمراً، ينفر منه أحد الأطراف، وهذه كانت تركيبة خاصة به يتعامل بها مع الأزمات .

ومع هذا يرى «لويس جريس» أن «يوسف السباعي» دفع ثمن مواقف الدولة، وهى السلام، ويؤكد أن الشعب المصري صدم صدمة شديدة جداً بسبب إغتيال «يوسف السباعي» ،لأنه لم يوجد شخص في العرب تحدث ودافع عن قضية فلسطين مثل «يوسف السباعي» ، مع انه لم يكن يؤمن بها، وكان يراها فض مجالس ..

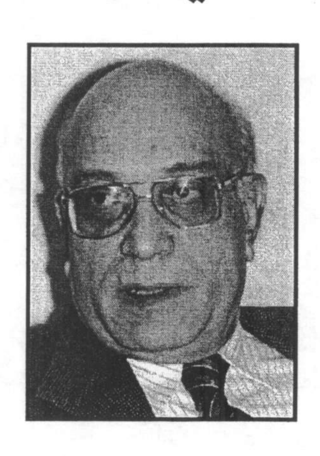
ويرى «لويس» أن إغتياله في قبرص، ربما كان يقصد به احد غيره، لأنه لا يوجد مبرر يجعل جهة ما حتى لو كان الفلسطنيون يقررون قتل «يوسف السباعي» إنما جهة واحدة وهى أمريكا، والتي يمكن أن تكون شعرت أن «يوسف السباعي» بإسلوبه الدبلوماسي الخطير قد يصل إلى حل للقضية الفلسطينية، بما انه كان

يستطيع أن يؤلف بين الأطراف المتصارعة وتلتلف حوله جميع الأطراف، ولهذا لا يجد أي مؤشر إلا أن أمريكا قررت إبعاد «يوسف السباعي» عن الصورة، لأنه كان بالفعل أوشك على تحقيق حل القضية الفلسطينية فأوعزوا إلى القتلة من فلسطين للتخلص منه وإزاحته..

ولهذا خرج الشعب المصري ليودع «يوسف السباعي» في جنازة شعبية مهيبة، وشارك فيها الرئيس «السادات» شخصياً، وسار مع جموع الجماهيرفيها، من بدايتها حتى نهايتها، وخرجت من نادي القصة بشارع القصر العيني وسارت في الشارع حتى جامع «كخيا» بميدان الأوبرا ، وتمت الصلاة على جثمانه ، وقد كان «السادات» عظيماً ووفياً وكان يرى «يوسف السباعي» كصديق، لأنه زامله في الكلية الحربية ..

ويتذكر «لويس» انهم عندما كانوا يمرون بهذه المنطقة وبها العديد من الكنائس، وكلما مرت الجنازة في منطقة بها كنيسة، كانت تدق جرس الجنائز إعلاناً بأن هناك جنازة لشخصية مهمة تسير في هذه المنطقة، وجاءت الجماهير من كل حدب وصوب، وكانت تتحرك مثل الجبل، لوداع شهيد الوطن «يوسف السباعي» .

صلاح حافظ .. مايسترو الصحافة

عن «صلاح حافظ» يقول «لويس جريس» .....

بعض الناس يختلط عليها الأمر بين «صلاح حافظ» وبين «صلاح الدين حافظ»، لان الأثنين عملا في الوسط الصحفي، وان كان الاسم الفعلي لـ«صلاح حافظ» هو «محمد صلاح الدين حافظ» الذي بدأ الصحافة وهو طالب في كلية الطب، عندما كان يذهب إلى «أخبار اليوم» ليمارس مهنة الصحافة، ويذكر الوسط الصحفي كله أن بداية التعرف على «صلاح حافظ» كانت عندما خرج «مصطفى أمين» من مكتبه وذهب إلى صالة التحرير، ليبحث عن محرر إسمه «صلاح حافظ» فقالوا له : هذا هو «صلاح حافظ» .

فقال للصحفيين : هذا الصحفي سيكون له شأن كبير، لانه كتب وصف مجوهرات الملك «فاروق» كما لو كان رأها، وجعل القارئ يقرأ وكأنه يرى ..

وهكذا تكلم «مصطفى أمين» عن «صلاح حافظ»، ولهذا أطلق عليه وصف العبقري ومايسترو الصحافة ، والذين أطلقوا عليه مايسترو الصحافة كثيرون،

ولكن «رشاد كامل» سجلها في كتاب بعنوان «صلاح حافظ مايسترو الصحافة»، حيث إستطاع أن يجمع مقالات كتبها «صلاح حافظ» عن الصحافة، جعلته نجماً صحفياً لا نظير له، ظفرت به «روزاليوسف» منذ أن كان طالباً في كلية الطب .

ويحكي صاحب الذكريات ...

تجربة شخصية يقول انه لم ينساها، عندما كان في رحلة إلى نيويورك، وذهب إلى مقر الأمم المتحدة، في الجلسة الشهيرة التي رفع فيها «خرتشوف» الحذاء، وسجل «لويس» هذا المشهد، وكتبه في موضوع وأرسله إلى «روزاليوسف»، وأعطى «كامل زهيري» الموضوع إلى «صلاح حافظ» الذي غير في المقدمة التي كتبها «لويس» سطرين، فتحول الخبر إلى تحقيق سياسي من الطراز الأول، وعندما عاد «لويس» وقرأ الموضوع ذهل مما قرأه، وهذا يؤكد عبقرية «صلاح حافظ» التي كان يستطيع أن يغير كلمة بدلاً من كلمة، أو يبدل سطراً مكان سطر، فيجعل من الموضوع المنشور سلاحاً قوياً في وجه الذين يقرأونه ..

ويقول «لويس جريس» : بالرغم من أن «صلاح حافظ» كان يعمل في «روزاليوسف» إلا انه كان يحب أن نستكتبه في مجلة «صباح الخير» حيث كان له باب شهير بعنوان «قف» و«صلاح» إقتبس هذا العنوان من إشارة المرور، بمعنى انه يشاور للقارئ بالتوقف ليقرأ هذه المقالة، و«صلاح حافظ» صال وجال في مجال الكلمة بشكل لم يتصوره أحد..

ويحكي «لويس جريس» أن «صلاح حافظ» في عهد «عبد الناصر» حكم عليه بالسجن ١٠ سنوات، قضاها كاملة في سجن الواحات، لأنه ضبط في الجامعة وهو يوزع منشورات شيوعية سنة ١٩٥٣ ، وكان في الصف الخامس في كلية الطب، ولهذا «صلاح» لم يكمل تعليمه، ومع هذا أستطاع من خلال دراسته لهذه السنوات الخمسة، أن يكتب سلسلة مقالات في «روزاليوسف» أكثر من رائعة بعنوان «انتصار الحياه» وكان يمزج فيها بين ما داخل الإنسان من أجهزة، وبين ما يحدث

للإنسان حينما تستعصي عليه بعض الأمور في فهمها، وكان ينتصر للحياه، لأنه يمزج فيها العلم بالمعرفة، فيكتب في نصف صفحة ما يقبل عليه القراء، وهم سعداء بما يقرأوه .

ويصفه «لويس» قائلاً : أن «صلاح حافظ» كان غزيراً في معارفه، وواضحاً وبسيطاً في تعبيراته، لأنه كان يتميز بالعبارة الرشيقة الصادقة والبسيطة التي تميزت بها «روزاليوسف» بل كان سببها أن «صلاح حافظ» كان يمر بيده على موضوعات «روزاليوسف» فيكسيها ثوباً رشيقاً، ويكسبها طعماً ومذاقاً مختلفاً عن ما كانت عليه، لأنه كان مدرسة صحفية لا مثيل لها، ولم تتكرر حتى يومنا هذا، ولهذا لا يوجد في الوسط الصحفي من يطلق عليه بـ«مايسترو» الصحافة المصرية، فقد كان فريداً ومتميزاً (ومازال) وكان ساخراً حين تجب السخرية، وجاداً حينما تجد الجدية ..

ويقول «لويس» كان يتعامل مع زملائه بمنتهى بالبساطة والسهولة، وكان رئيساً لتحرير «روزاليوسف» ولم يتخذ له مكتباً خاصاً كرئيس تحرير، بل كان يجلس مع المحررين في صالة التحرير، و«عبد الرحمن الشرقاوي» كان يريد الإهتمام والإرتقاء بـ«روزاليوسف» فإختار «فتحي غانم» لرئاسة تحريرها ولكنها لم تتطور، إلى أن إختار «صلاح حافظ» وبدأت «روزاليوسف» في التطوير، إلى أن وصل توزيعها إلى ١٦٥ ألف نسخة، بعد أن كان التوزيع ٨ الاف نسخة، لأن «صلاح حافظ» جعل لـ«روزاليوسف» موقف وهدف ..

و«لويس» نفسه له ملحوظة تأكد منها وهى حينما يكون لـ«روزاليوسف» و «صباح الخير» موقف وهدف فيرتفع توزيعهما، وعندما يكونا بدون موقف، ينخفض التوزيع، وخلال وجود «إحسان عبد القدوس» كان لهما موقف فكان التوزيع مرتفعاً، كذلك خلال وجود «عبد الرحمن الشرقاوي»، لكن أيام «مرسي الشافعي» و «عبد الرحمن خميس» إنخفض التوزيع، لإنهما لم يخوضا أية معارك، ولم

يكن لهما موقفاً .

ويذكر كاتبنا الكبير ...

بعد خروج «صلاح حافظ» من السجن قال : أن لا يريد أن يعمل في «روزاليوسف» مرة أخرى، حتى لا يكون من ضمن كتابها، لأنه كان يريد الإبتعاد عن تيار اليسار حتى لا يذوق تجربة السجن مرة أخرى ، ويريد أن يعمل في مجلة «أخر ساعة» اليمينية، ولكنهم لم يكونوا يريدونه هناك، ولم يوافقوا له أيضاً بالعمل في «أخبار اليوم»، واصبح بدون عمل، فتحدث «لويس جريس» مع «إحسان عبد القدوس» ..

قائلاً : أستاذ «إحسان» ما تطلب من «صلاح حافظ» العودة إلى العمل معنا .

إحسان : إزاي يا «لويس» وهو قال انه لا يريد العودة إلى «روزاليوسف» .

لويس : ولكنه حالياً بدون عمل وسيوافق لو حضرتك كلمته .

وبالفعل كلمه «إحسان» وطلب منه العودة إلى «روزاليوسف، ووافق «صلاح حافظ» على العودة مرة اخرى، بعد أن رأى نفسه عاطلاً عن العمل في المهنة التي كان يعشقها ولا يستطيع الإبتعاد عنها .

ويعترف كاتبنا الكبير لـ«صلاح حافظ» بأنه مايسترو الصحافة المصرية، وهذا ليس مجرد كلام، بل قولاً وفعلاً، لأنه كان عندما يكون لديه عدد متميز لمجلة «صباح الخير» عن شخصية مميزة توفيت .. كان «لويس جريس» يعد الموضوعات والصفحات ويصطحب معه المشرف الفني و «رشاد كامل» ومدير التحرير «عزت الشامي» ويذهبون جميعاً إلى «صلاح حافظ» لكي يرتب لهم هذا العدد، ويحدد لهم بماذا يبأون وما هو الموضوع الثاني، وهكذا إلى أخر موضوع في المجلة، وبهذا كان يترك «لويس جريس» لـ«صلاح حافظ» رئاسة تحرير العدد المتميز لـ«صباح الخير» ، لكي يرتب صفحاته كرئيس تحرير ..

وفي ذات الوقت يأسف «لويس جريس» قائلاً : كان معظم هذه الأعداد لأصدقاء لهم توفوا مثل ما حدث في وفاة «عبد الرحمن الشرقاوي» و «جمال كامل» و «حسن فؤاد» ..

ويقول «لويس» إستمرت نفس المجموعة في زيارة «صلاح حافظ»، كمريض وليس كرئيس تحرير للأعداد المتميزة لـ«صباح الخير» ، وكان يسعد بزيارتهم جداً ، وكانوا يتندرون على الأيام السابقة في «روزاليوسف» و «صباح الخير» .

ويذكر صاحب الحكاوي : أن «صلاح حافظ» قال رأيه في أحد الحوارات الصحفية على صفحات «صباح الخير» قائلاً : حتى في عهد «مبارك» تم الإعتداء على حرية الصحافة، وإذا بالرئيس «مبارك» يتحدث غاضباً مع «لويس جريس» رئيس التحرير ..

ويسأل : يا «لويس» هو فيه حد بيتدخل في شغلك ويمنع نشر أي حاجة ؟

لويس : لا .. يا ريس، أبداً مفيش حاجه من دي بتحصل .

مبارك : طب ليه «صلاح حافظ» يقول اننا بنعتدي على حرية الصحافة ؟ مع انكم أحرار وبتنشروا اللي انتم عاوزين تنشروه .

لويس : طبعاً يا ريس، لأن الرقيب الذي يراقب أصبح في داخلنا، من كثرة ما عشنا الرقابة في السابق .

مبارك : ده رأيك لكن انا في عهدي مفيش تدخل في حرية النشر .

لويس : ده حقيقي يا ريس، لكن «صلاح حافظ» قال هذا مجرد إسترسال في الكلام في حواره مع «رشاد كامل» .

مبارك : خلاص يا «لويس» لكن انا عاوزك تاخد بالك بعد كده من مثل هذا الكلام الغلط .

ويتذكر كاتبنا الكبير في فترة «السادات» كان «صلاح حافظ» رئيس تحرير «روزاليوسف» وكان «السادات» يقرأ له ويتابعه، وفي إحدى الأعداد كتب «صلاح حافظ» مقاله بعنوان «الديمقراطية» ، وشهد فيها على أن الرئيس «السادات» هو أول رئيس عسكري يمارس الديمقراطية في حياته العملية، بل ويطبقها في تعاملاته مع الآخرين، وضرب أمثلة على ذلك، وإستشهد بمواقف حدثت وسجلها في المقال ..

فاتصل به الرئيس «السادات» وقال : يا «صلاح» لقد جعلت عيناي تدمعان، وانت تقول أن «السادات» مكن الصحافة من ممارسة حريتها، وأنا سعيد بهذا، مع انك جعلت الدموع تقفز من عيني .

ويقول «لويس» : هذا هو «صلاح حافظ» الذي لم يحصل على حقه، إلا خلال الفترة التي عمل بها في «روزاليوسف» و «صباح الخير» ، حيث كان علماً من أعلام الصحافة، هو الذي يقود «روزاليوسف»، التي وصل بها التوزيع إلى ١٦٥ ألف نسخة، بسبب مجهودات وأفكار «صلاح حافظ» الذي هو بحق مايسترو الصحافة المصرية .

حجازي....




يذكر «لويس جريس» أثناء عمله في «روزاليوسف» جاء إليهم شاب ومعه أوراقه وتحدث مع «حسن فؤاد» ثم جلس يرسم رسوماته، وبعد الإنتهاء منها أعطاها لـ«حسن فؤاد» المدير الفني لمجلة «صباح الخير»، وأعجب «حسن» بالرسومات، وبدأ يفرج عليها الآخرين، ثم دخل على «إحسان عبد القدوس» و «أحمد بهاء الدين» ليشاهداها، وأُعجبا بها أيضاً، وقالا للشاب: ستعمل معنا في «صباح الخير» وهذا الشاب كان «أحمد إبراهيم حجازي» الذي أصبح رسام الكاريكاتير الشهير بـ«حجازي»، وحينها كان يوجد لرسم الكاريكاتير، عدد كبير منهم «صلاح جاهين» و«جورج البهجوري» و«رجائي ونيس» و«هبه عنايت» و«بهجت عثمان» و«جمال كامل» الذي كان يرسم صور قصص «إحسان»، وبدأ الجميع يتنافسون في إبداع الرسومات الكاريكاتورية، وكانوا يختارون الرسومات التي يكون لها صدى لننشرها، ولكنهم لاحظوا أن الرسومات المتميزة غالباً كانت تخص «حجازي»، لأنه هو الذي كان يفكر ويرسم ولا يحتاج إلى أفكار، وهذا كان جديداً على رسامي الكاريكاتير، بأنه يفكر ويرسم، وكان «صلاح جاهين»

و«بهجت عثمان» يتميزان أيضاً بهذه الميزة، حيث كان باقي الزملاء الرسامين يحصلون على الأفكار من «إحسان عبد القدوس» ثم يرسمونها.

ويقول صاحب الذكريات:

«حجازي» كان إنسان منغلق على نفسه، ولم يكن إجتماعياً، أو من الشخصيات التي تختلط بسهولة بين الناس ويتعرف عليهم، أو يسمح بالإقتراب منه بسهولة، بل كان من الشخصيات التي تفضل أن تعيش مع نفسها وبنفسها، ويحب العزلة، أو ما يسمى بعزلة الفنان، حيث كان يحرص دائماً على أن يأتي إلى المجلة الساعة ٧ صباحاً، ليعمل ثم يترك رسوماته لرؤساء التحرير وينصرف عندما يأتي زملائه..

ومع هذا كان يحب عمله جداً ويتقنه إلى حد التفاني فيه، ولم يكن يُطلب منه شيئاً إلا ويقوم به على أكمل وجه، ولهذا كان «لويس» يحبه ويقدره، وكان يمنحه فرصة رسم ملحق كامل للمجلة كلما جاءت مناسبة خاصة بالسينما، فيطلب منه رسم ٤ صفحات بأفكاره هو وكما يشاء، وكان «حجازي» حينها يرسم ٦ صفحات، ويكون هو رئيس تحرير ملحق المجلة وسكرتير تحريرها، والرسام والكاتب بما انه يفكر ويرسم، لأنه كان موهوباً جداً، وكانت موهبته مبنية على الدراسة والثقافة، وله أبعاد ثقافية وفكرية خاصة به، فقد عاش متنقلاً بين الكتب والمكتبات، لأنه لم يكن يوجد كتاب يصدر في مصر في أي مجال من مجالات الثقافة، إلا ويكون «حجازي» قرأه ثم لا يحتفظ به، ومن يريده من زملائه يتركه له، فقد كانت له فلسفة خاصة في الحياة وفي إقتناء الأشياء.

وذات يوم سأله لويس: لماذ لا تحتفظ بالكتب، ويكون لك مكتبه؟

حجازي: الكتب تحتاج إلى مكان وأنا كثير التنقل في السكن، ولهذا أريد أن تكون أغراضي خفيفة، وطالما قرأت الكتاب، فلا أحتاجه بعد ذلك.

ويذكر «لويس»: أن رسومات «حجازي» سببت له الكثير من المشاكل

والأزمات مع السلطة خاصة عندما كانت رسوماته تمس سياسات «جمال عبد الناصر».

ويحكي «لويس» في فترة الستينات أن كثير من أصدقائه كانوا يقولون له: يا «لويس» وزير الإعلام «محمد فايق» زعلان منك.

لويس: ليه، أنا لم أفعل شيئ حتى يغضب مني؟

قالها له «كامل زهيري» و«مفيد فوزي» و«هبه عنايت» و«مصطفى محمود».

فذهب «لويس» إلى مكتب الوزير في مبنى الإذاعة والتليفزيون، وطلب المقابلة، وعندما دخل إليه قال: معالي الوزير ناس كثيرين قابلوني وقالوا لي أن معاليك زعلان مني، ولم أفعل شيئ، يا ترى ماذا صدر مني وزعلك؟.

حينها فتح «محمد فايق» درج مكتبه وأخرج كاريكاتير لـ«حجازي»، يقول: أصل ما عندهمشي ٨ و ٩ يونية، وهى إشارة إلى قصة التنحي لـ«عبد الناصر» بعد هزيمة يونية ١٩٦٧ . وقال: هل ده كلام يقال ؟

لويس: المهم إسترضيت «محمد فايق» وإنصرفت من مكتبه.

ويقول لويس: حينها لم يعتقل «حجازي» بسبب هذا الكاريكاتير، مع أن غيره كان يعتقل على أقل من هذا النقد بكثير، لكن كانت سياسة النظام بدأت تتريث في مثل هذه الأمور بعد النكسة المفجعة التي حلت على «عبد الناصر» ونظامه، وبدأت الحكومة لا تعتقل أحداً إلا بعد أن تتأكد أن هذا الشخص يستحق رد الفعل الذي ستقوم به أياً كان، وأصبحوا يتمحصوا كثيراً في الشخص قبل القبض عليه، وبالطبع إكتشفوا أن «حجازي» كان يسارياً ويميل إلى «عبد الناصر» وهذا ما نجاه من الإعتقال.

ثم رسم «حجازي» كاريكاتير مهم جداً في عهد «السادات» ولم يقترب منه أحد،

لأن «السادات» كان يختلف عن «عبد الناصر»، ويضحك «لـويس» ويقـول: لأنـه رسم الرئيس «السادات» يسير على خطى «عبد الناصر» لكن بالأستيكة.

ويقول كاتبنا الكبير:

«حجازي» كان لديه بعد إنسـاني وإخلاقـي تجـاه أسـرته، حيـث كـان يعـول شقيقاته، لأنه رجل وحيد على عدد كبير مـن البنـات، وقـام برعـايتهن مـع والـده وتجهيزهن للزواج، مع انه كان يشكو من أن بعض أزواج شقيقاته كانوا يستغلونه، ولكنه لم يتوقف كثيراً أمام هذا الإستغلال، وكـان أبيـه يعمـل سـائق قطـار، وبعـد وصوله إلى سن المعـاش، أراد «حجـازي» أن يكرمـه ليرتـاح مـن تعـب السـنين، فإستأجر له شقة في شارع رمسيس، ليكون بجـواره في القـاهرة، ويضـحك قـائلاً: «حجازي» قال لنا: يا عالم انا جبت له الشقة لأريحه، وهـو تـزوج فيهـا وخلـف لي إخوات وزود لي الهم من تاني.

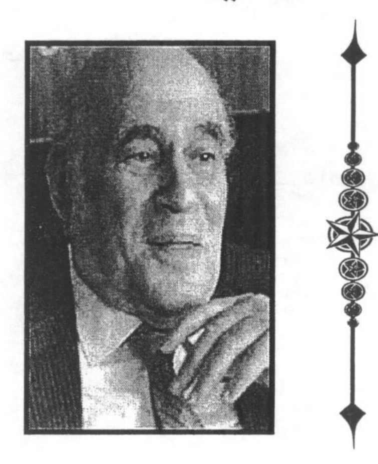
ويقول «لويس»: انه أحب «حجازي» وكان كلما سافر إلى الخـارج يحضـر لـه زجاجة «فودكا»، وقويت الصداقة بينهما، إلى أن إكتئـب «حجـازي» واعتكـف في بلدته طنطا حيث كان يسكن في شارع «حسان بن ثابت» خلـف المحطـة، وكـانوا يذهبون إليه من أن لآخر، وهو كان لا يريد أن يذهب إليه أحـد، ويريـد أن يعـيش بمفرده مع نفسه، ولكنهم لم يكونوا يعرفون، لأنه في أخر زيارة له عام ١٩٧٥ ، كان ذهب إليه «لويس جـريس» و «أحمـد هاشـم الشـريف» و «رشـدي أبـو الحسـن» و«صبري موسى» و«عبد الله الطوخي»، وإستقبلهم «حجازي»، ثم خرج وإشترى لكل واحد منهم، حمص وحلاوة وحلويات من التي تشتهر بها طنطا، وهو يودعهم قال لهم : أرجوكم لا أريد أن يأتي أحد منكم إلى مرة أخرى، وظلوا جميعاً يضـربون أخماس في أسداس، لماذا هو طردهم هكذا ولماذا لا يريـدهم أن يـزوروه؟، وهـل زياراتهم له كانت مزعجة له إلى هذا الدرجة؟ .

ولكنهم لم يصلوا إلى إجابات لأسئلتهم.

وكان «عبد العزيز خطاب» أحد السعاة في «روزاليوسف» يشتري له بعض الطلبات من القاهرة، ويسافر طنطا يعطيها له، وأحياناً كان «لويس» يرسل له زجاجة فودكا مع «خطاب».

ويقول «لويس»: «حجازي» تزوج من صحفية كانت تتمرن في المجلة، وقدمت له شيئاً رائعاً، لأنها إستأجرت شقة دور أرضي وبدروم في الزمالك، وأطلقت عليه «خان المغربي» وكان هذا لقبها، وجمعت معظم رسومات «حجازي» وبروزتها وأقامت في البدروم معرض لصوره، وأسمته «سهرة مع حجازي»، ولكن لم يستمر زواجه معها كثيراً وإنفصلا. و«حجازي» من الفنانين القلائل الذين أحبوا فن الكاريكاتير، وجعلوه فناً مرموقاً، لأنه كان معجزة في رسوماته وأفكاره، وكل من إقترب منه أحبه وشعر بإنسانيته ورقيه في سلوكه الذي كان يفعل كل ما هو جميل ورائع ومفيد.

مصطفى أمين...



يقول «لويس جريس»: «مصطفى و علي أمين» عاشا وترعرعا في منزل «سعد زغلول» زعيم الأمة حيث كانت «صفية زغلول» خالة والدتهما، ولهذا نشأ على الوطنية والنضال، وفهما معنى الحرية والديمقراطية والإستقلال والدستور، و«مصطفى أمين» يعتبر أحد أساتذة الصحافة الحديثة الكبار في مصر والعالم العربي، حيث كان صاحب ومؤسس مدرسة أخبار اليوم، مع توأمه «علي أمين» والتي ضمت جميع الأدباء المرموقين للكتابة فيها، إلا «يحيى حقي» الذي كانت له وجهة نظر مغايرة، لأنه كان يقول: يجب على القارئ أن يبحث عن الكاتب، وليس على الكاتب أن يبحث عن الجريدة الأوسع إنتشاراً ليكتب فيها، والتي نبغ فيها أيضاً أهم كتاب الصحافة في مصر، مثل «موسى صبري» الي أعطى له «مصطفى امين» الفرصة للسفر إلى موقع الحدث الساخن في أي مكان في العالم، لتغطيته لجريدة الأخبار، فأصبح دوره إستكمالاً لدور أساتذته «علي و مصطفى أمين» لأنه كان تلميذ مجتهد ووفي لهما، و«جلال الدين الحمامصي» مؤسس جريدة «الإسبوع» و«كامل الشناوي» الذي إختاره «مصطفى وعلي أمين» رئيساً لتحرير

مجلة «أخر ساعة»، والتي كان باعها لهما «محمد التابعي» وفي أوائل الستينات تـم تعينه رئيس تحرير «الأخبار»..

و«أحمد رجب» الكاتب الساخر صاحب القلم الرشيق، وغيرهم الكثيرون ، و يعتبر «مصطفى أمين» أستاذاً لـ«محمد حسنين هيكل» الصحفي الأبـرز في تـاريخ الصحافة المصرية، وكان «علي ومصطفى أمين» عملا في «روزاليوسف»، في صدر شبابهما، وربما إنشائهم لأخبار اليـوم يرجـع إلى التجربـة التـي أصـدرتها «فاطمـة اليوسـف» اليوميـة، حيـث كانـت «روزاليوسـف» في حجـم أخبـار اليـوم كعـدد صفحات وكحجم، و«مصطفى أمين» خاض تجربة تدريس الصحافة في الجامعـة الأمريكية.

ويحكي «صاحب الذكريات»:

خلال دراسته للصحافة في الجامعة الأمريكية، كان يدرس ويبحث عن أسـباب إصدار الصحف وإغلاقها، وكان يتـردد عـلى مكتـب الأسـتاذ «مصـطفى أمـين»، ومرات كثيرة كان يستقبله ويتحاور معه حـول الصـحف والمجـلات التـي يـدور الحوار حولها..

ويقول لويس: كان «مصطفى بك» يخرج من مكتبه، ويسير معه ليودعـه حتـى باب الأسانسير بعد إنتهاء الحوار..

وبعد إنتهاء دراسة «لويس» وإصراره على العمل في الصحافة، ذهب إلى «هـدى المراسي» سكرتيرة الأستاذ «مصطفى امين»، وقال لها: انه أنهى دراسته الجامعية، ويرجوها أن تخبر «مصطفى بك» بانه يريد العمل في أخبار اليوم، وبالفعل دخلـت «هدى» إلى مكتب «مصطفى امين»، ولكن هذه المـرة لم يخـرج ليسـتقبله، ولكنـه أرسل رده مع «هدى المراسي» يقول: استاذ «لويس» كنت طالب علم ولهذا كنت أرحب بك، أما اليوم فأنت طالب وظيفة، ولا يوجـد وظيفـائف، فأمضـي بسـلام تصحبك السلامة.

فجاءت.....

المنافسة شرسة مع انها لم تكن منصفة، فكانت اخبار اليوم بقيادة «مصطفى و علي أمين» هى الجريدة الإسبوعية التي تصدر كل سبت، وجريدة الأخبار ظهرت عام ١٩٥١ وانفردت بالخبر، بل كانت مدرسة الخبر، ولأول مرة كانوا يرون اكثر من رئيس تحرير لجريدة يومية، وكانت الطبقة المتوسطة أو طبقة الأفندية هى الأكثر متابعة وقراءة لها، وجريدة الأهرام كانت تعتبر هى الجريدة الرسمية للوطن، لأنه كان ينشر بها التصريحات الرسمية لرئيس الدولة، أو رئيس الحكومة وباقي الوزراء، حتى قبل ١٩٥٢ ، وكانت الأهرام هى الجريدة المعتدلة في نشر أخبارها، وبعد ثورة يوليو، إحتكر «هيكل» الأخبار المهمة نتيجة إقترابه من «عبد الناصر».

وكانت تتقاسم التوزيع مع جريدة الأخبار وتليهما بمسافة جريدة الجمهورية، حيث كانت تتميز أن من بين كتابها بعض الكتاب اليساريين مثل «أحمد حمروش» وأيضاً بعض الكتاب اليمينيين، ولكنها لم تكن من الجرائد ذات الثقل في الشارع السياسي أو الصحفي، إلى أن أصبح «حلمي سلام» رئيس تحريرها، وكان يسهر في كازينو «بديعة»، وكان «محمود السعدني» يصطحب معه صاحب الذكريات إلى هذه السهرات التي كانت بقيادة «كامل بك الشناوي».

ورغم هذه المنافسة إلا أن صاحب الذكريات ينفي وجود صراعات بين المؤسسات، ويستشهد بواقعة حدثت معه شخصياً، حيث تعطلت ماكينة تصوير الصفحات التي يتم من خلالها تصميم الزنكوغراف، وتحدث مع وكيل هذه الماكينات، وأخبره أن «روزاليوسف» سوف تتعطل عن الصدور، فقال الوكيل: قطع عيار هذه الماكينة في الخارج وحالياً لا يوجد مندوب لهم في الخارج حتى يأتي لهم بها على أول طائرة، ولو تم شحنها ستصل بعد ٣ أيام، ولكن هذه الماكينة يوجد مثلها في أخبار اليوم إحتياطي، فتحدث مع «علي أو مصطفى أمين» وأخبره

بالمشكلة، وأطلب منه أن تشتريها أو تحصل عليها لتصوير هذا العدد، ثم تعيدها له.وبالفعل تحدث «لويس» مع «مصطفى بك» وأخبره بالمشكلة وقال: قالوا لهم في الشركة أن لدى سيادته ماكينة إحتياطي في المخازن، وأسأله هل يمكن أن يقترضوها لطبع عدد «روزاليوسف» أو أن يشتروها من سيادته؟

مصطفى أمين: لا سأرسلها لك وأدفعوا ثمنها، ونحن سنستورد غيرها.

ويقول لويس: وبالفعل أعطاهم «مصطفى أمين» الماكينة الإحتياطي لـ«أخبار اليوم» ودفعوا ثمنها، وكان هذا دليلاً على عدم وجود صراعات.

ويؤكد كاتبنا الكبير:

أن «على ومصطفى أمين» هما أول من أرسيا وجود أكثر من رئيس تحرير للجريدة الواحدة، حيث كانا يريدان جمهرة من كبار الكتاب كرؤساء تحرير، حيث كانا يصران على إستقطاب الأقلام الجادة للكتابة في أخبار اليوم، مثل «أحمد بهاء الدين» الذي كان يكتب يوم السبت «هذه الدنيا» عام ١٩٥٩، و «كامل الشناوي» و«إحسان عبد القدوس».

ومع هذا لم يغفل «مصطفى أمين» المواهب الشابة من الصحفيين، حيث يذكر الوسط الصحفي خروج العملاق «مصطفى أمين» من مكتبه إلى صالة التحرير، ليسأل عن محرر إسمه «صلاح حافظ»، وعندما وجده قال للصحفيين : «صلاح حافظ» سيكون كاتب كبير، لانه وصف مجوهرات الملك «فاروق» كما انه قد رأها، وجعل القارئ يقرأ وكأنه يرى..

ويذكر الكاتب الكبير: أن مؤسسة الأهرام كانت تستضيف أحد المصورين الأجانب، ثم إتفقوا مع «هيكل» على أن يصطحبه إلى منطقة الأثار في «سقارة» حيث كان يشرف عليها «كمال الملاخ»، وعندما ذهبا إلى «الملاخ»، جاء أحد الأفراد الذين ينقبون عن الآثار، ليبلغه انهم وجدوا بعض الأخشاب هناك، فذهب

الجميع يشاهدون التنقيب، فإكتشفوا مراكب الشمس، وقام المصور الأجنبي بتصوير مراحل الإكتشاف، وإتفقوا أن يذهبوا إلى «مصطفى أمين» في الأخبار، وأخبروه بما حدث وبالإكتشاف الأثري الكبير..

وحينها قال «مصطفى أمين» للمصور: انه لسه هيسافر، وهناك سيقوم بتحميض الفيلم، وإقترح عليه أن يعطيه الفيلم ويقوموا بتحميضه وطبعه، وان يحصل المصور على الصور مطبوعة وهم يشاهدوا هذا الإكتشاف، ووافق المصور..

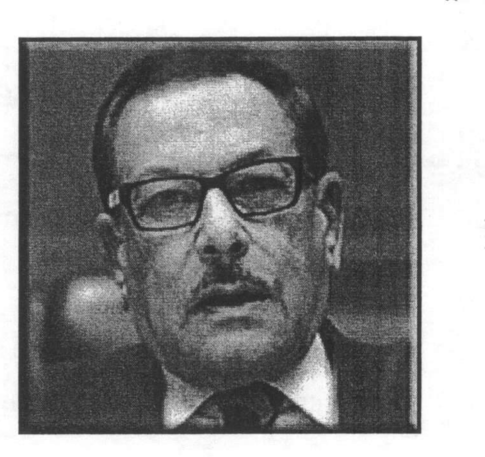
ولكن «مصطفى أمين » إحتفظ لنفسه بنسخة من الصور، وأول ما سافر المصور، قام «مصطفى أمين» بنشر الصور في الأخبار، واعلن إكتشاف مراكب الشمس، بواسطة «الملاخ» في «اخبار اليوم» التي أصبحت أول جريدة تنشر صور مراكب الشمس في العالم.

يقول «لويس جريس»: أن علاقة «مصفى أمين» بـ«عبد الناصر» كانت جيدة في بدايتها، ثم ساءت إلى أقصى درجة، حيث تم محاكمة «مصطفى أمين» بتهمة التخابر لدولة أخرى، وإن كان الكثيرون ينفون هذه التهمة عنه، ويقولون انها كانت تهمة ملفقة له، ولازالت تفاصيل الإعتقال غامضة، أو هل يجوز أن «هيكل» هو الذي حركها، لأنه لا يريد لأحد الاقتراب من «عبدالناصر» غيره؟! فهو لم يرحم أحداً إذا تجرأ وحاول أن يحصل علي مكانة متقدمة من «عبدالناصر» ولا يقصد «لويس» هنا إنه وشي بأحد ولكنه يقول لم يرحمهم.

وعن علاقته «مصطفى أمين» بـ«السادات» يقول: «السادات» هو الذي أفرج عنه، وأعاده إلى «اخبار اليوم»، ولكن بعد أن كتب مقاله بعنوان «هرولة» عن أعضاء حزب مصر، الذين إستقالوا منه وإنضموا إلى الحزب الوطني، بعد ما أعلن الرئيس عن تأسيسه، تم منعه فترة من الكتابة عدة أسابيع من الكتابة، ويقول «لويس» في هذه الفترة، ارسل لهما «عبد المنعم الصاوي» وزير الثقافة والإعلام

دعوة حفل زفاف المهندس «جمال السادات» إلى «لويس و سناء»، وبالفعل ذهبا تلك الحفلة، وكانت السيدة «جيهان السادات» تمر على الموائد وتسأل الحاضرين هل ينقص أحد شيئ ، وفي هذه الحفلة شهدا عودة «مصطفى أمين للكتابة، حين قام «أحمد زين» و «موسى صبري» و «محسن محمد» وتقابلوا مع «مصطفى أمين» وأدخلوه الحفلة وسلم على الرئيس «السادات» والكل قام بالتصفيق، وعاد إلى الكتابة مرة أخرى .

صفوت الشريف.. رجل لكل العصور



يقول «لويس جريس» عن «صفوت الشريف» انه أحد أفراد الحرس القديم للحزب الوطني، ويشهد له بالقرب الشديد من الرئيس «مبارك» حيث كان يتمتع بالذكاء الشديد، وظل يقدم خدمات عظيمة وجليلة للأنظمة الحاكمة في مصر منذ عصر الرئيس «عبد الناصر» وحتى ثورة يناير ٢٠١١ مما أهله لأن يكون رجلاً لكل العصور.

وعمل «صفوت الشريف» في المخابرات خلال فترة الستينات، ثم عمل في الهيئة العامة للإستعلامات، ثم رشحه الدكتور «مرسي سعد الدين» إلى العمل السياسي في الحزب الوطني، فأصبح أحد الأعضاء المؤسسين له عام ١٩٧٧ ، ثم تدرج في مناصب عديدة داخل الحزب، مثل: مقرر لجنة الإعلام، وعضو الأمانة العامة للحزب، فعضو المكتب السياسي بالحزب ١٩٨٩ ، ثم عضوية لجنة تطوير الحزب، فأمين عام مساعد للحزب الوطني وأمين عام الإعلام، ثم أمين عام الإعلام ووزير الدولة للإعلام، ثم رئيساً لمجلس الشورى منذ ٢٠٠٤ وحتى ثورة ٢٠١١.

ويقول كاتبنا الكبير : «صفوت الشريف» كانت له مناصب أخرى مثل رئاسته الجمعية العمومية لإتحاد الإذاعة والتليفزيون، وعضوية المجلس الأعلى لرعاية الطفولة، وعضو المجلس الأعلى للسكان وتنظيم الأسرة، وكان يرأس مجلس أمناء الأكاديمية الدولية لعلوم الإعلام، ورئيس مجلس أمناء أكاديمية الهندسة وعلوم الإعلام، وعضو مجلس إدارة جمعية الهلال الأحمر، ورئيس جمعية الإعلام المصري للتنمية، وعضو اللجنة العليا لمشروع القراءة للجميع، ورئيس المجلس الأعلى للصحافة، ورئيس لجنة شئون الأحزاب، وأمين عام الحزب الوطني الديمقراطي.

ويتساءل «لويس جريس» قائلاً: بعد هذا التكويش على كل هذه المناصب، لم يوجد أحد يستطيع أن يعرف أو حتى ينجم كيف كان يستطيع «الشريف» أن يوفق وينظم وقته لكي يستطيع أن يقوم بمهام وأعباء هذه المناصب ؟.

ولكنه يجيب في ذات الوقت بأن «الشريف» إستطاع أن يضع إستراتيجية وسياسات الإعلام المصري خلال التسعينات، وحقق منظومة الإعلام المصري محلياً وعربياً، ودولياً، وفي عهده الإعلامي دخلت مصر عصر إعلام الفضائيات بإطلاق القمر الصناعي نايل سات، وكان هو أيضاً صاحب فكرة إنشاء مدينة الإنتاج الإعلامي، وفكرة مهرجان الإذاعة والتليفزيون، وله مقولات شهيرة، أصبحت مصطلحات إعلامية مثل عصر السموات المفتوحة، والريادة الإعلامية، ومصر «مبارك»، وإستراتيجية الإعلام المصري.

إن أخطر ما قام به «صفوت» هو إفساد الإعلام والإضرار به ضرراً كبيرا، فمنذ أن تولى وزارة الإعلام أقام عيد الإعلاميين والذي من خلاله كان «مبارك» يكرم كل عام الإعلاميين الذين خرجوا إلى المعاش، أو يبقي على من يريد الإبقاء عليهم.. فتم التجديد لـ«إبراهيم نافع» و«إبراهيم سعده» و«سمير رجب» و«مكرم محمد احمد» وإستمروا في مناصبهم ربع قرن، وأضاعوا على المؤسسات الصحفية

أجيالاً كثيرة من الصحفيين، كان من الممكن أن يتولوا قيادة الصحافة المصرية، وبالتالي إنتشرت الفضائح والبلاوي الكثيرة في عالم الصحافة، مما أدى إلى إنهيار المؤسسات الصحفية، وتجريفها من كوادرها، وتراكم الديون عليها..

ويقول «لويس جريس»:

أن علاقته بـ«صفوت الشريف» بدأت بسبب عضويته في اللجنة العليا للإنتخابات، وكشاهد عيان على جميع الإنتخابات في عهد «مبارك» ولذلك يصف إدارة العملية الإنتخابية بأنها كانت سهلة وبسيطة، لأن نتائجها كانت معلومة ومحددة مسبقاً، حيث كانت تمر الأمور بمنتهى البساطة، وفي النهاية يعلنون ما يريدون إعلانه، بمن يفوز ومن لا يفوز، وذلك من خلال التربيطات والمشاورات بين «صفوت الشريف» و«كمال الشاذلي» و«يوسف والي» الذي يعتبره «لويس» الرأس الكبيرة لهذه العملية..

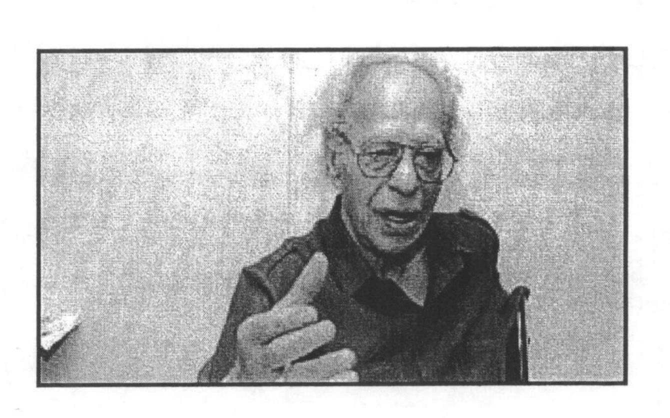
ولكنه يصف دور «صفوت» بالدور الملتبس والمتشعب والمتداخل في السياسة والإعلام والإنتخابات، لانه كان جاهزاً دائماً للرد على أي شيئ، وبالدفاع عن أي سلبيات أو الحديث عن إيجابيات، لأنه كان من أكثر رجال «مبارك» نشاطاً ومعرفة للأمور، وكان يعرف كيفية تستيف وترتيب الأوراق والملفات، ووضع الأولويات، ومن يأتي قبل من، ومن يجلس جنب من، ومن يتحدث قبل من، فقد كان يجيد مثل هذه الأعمال نتيجة لعمله السابق في المخابرات، وأيضا لإطلاعه الدائم والمستمر على جميع الملفات.. و«مبارك» كان يعتمد عليه بشكل كبير في مثل هذه المسائل، وكل من تعامل معه كان يشعر انه متواجد في كافة الملفات وانه يقظ وجاهز للرد والإقناع بالدفاع عن «مبارك» ونظامه.

حيث يؤكد الكاتب الكبير أن «صفوت الشريف» كان من أكبر مراكز القوى في عصر «مبارك» وأكثرها قوة وتأثيراً، بما أن عمله كان يرتب بالإعلام وبتشكيل الوعي لدى الشعب المصري، وبإدارة العملية السياسية من خلال إدارة

الإنتخابات البرلمانية، ولهذا لم يكن يحب أن يوضح الأمور للشعب، لانه كان يتعامل معه بنوع من الغموض، ويخرج عليه ليقول: عصر «مبارك» عصر الديمقراطية وعصر السموات المفتوحة والريادة الإعلامية، وكان يحب أن يتعامل مع مديرو التحرير، ولهذا كان يفضل أن يتعامل مع «مفيد فوزي» في الإجتماعات، بما انه كان مدير تحرير مجلة «صباح الخير» ، ثم يقول لـ«مفيد» أخبر «لويس» بما حدث، و«مفيد» كان يخبر «لويس» بالمطوب من الصحفيين، ولم يكن «لويس» يعترض أو يناقش مثل هذه الأمور بأن «مفيد» كان يحضر الإجتماعات بدلاً منه، ولم يفتح فمه موافقاً أو معترضاً أو ممتعضاً، وتقبل هذا الموقف دون نقاش، لأنه كما كان «صفوت» لا يريد أن يتعامل معه، كان «لويس» يفضل أن لا يتعامل معه مباشرة ، مع انه يؤكد أن «صفوت» كان يعرف حدوده جيداً، ولم يكن يتصل بأحد ويخاطبه بلسان الرئيس، ولم يغضب من احد، بل كان يتعامل معهم بأدب شديد جداً، دون حدة أو غلظة، لانه كان من أزكى رجال «مبارك» لآنه استمر طوال العصور، وكانت له عيون وجواسيس في كل مكان، وتعطي له الأخبار والمعلومات، ولم يكن بالرجل السهل، أو الذي يمكن الإستغناء عنه بسهولة، ولهذا كان من أقرب المقربين لـ«مبارك» خاصة في ما يتعلق بملفات الإعلام والإنتخابات.

أحمد طوغان

شيخ رسامي الكاريكاتير المصريين

«أحمد طوغان» هو من لُقِبَ بشيخ رسامي الكاريكاتير المصريين هكذا قال «لويس جريس» عن زميله «أحمد طوغان»، وكانت بداية التعرف على «طوغان» في جريدة الجمهورية، مع بدايات تجربة «لويس» في الصحافة، ومع أن هذه التجربة لم تكتمل، حيث كانت ثلاث شهور فقط، إلا أن «طوغان» إستقبله إستقبالاً طيباً ومريحاً هو و«محمود السعدني»، حيث كانا أقدم من «لويس» في الصحافة والعمل في الجمهورية، ذلك بعد نجاح ثورة ٢٣ يوليو٥٢، قرر قادة الثورة إصدار جريدة تعبر عن أحلام وآمال الثوار، واصدر «جمال عبد الناصر» التصريح لجريدة وكانت «الجمهورية» لسان حال الثورة الوليدة، ثم طلبوا من «انور السادات» تحمل مسئولية إصدار هذه الجريدة لما كان له من تجربة صحفية سابقة في دار الهلال، حيث عمل محررا في صحفها بالإضافة إلي كتاباته في مجلة المصور خلال فترة طرده من الجيش في فترة الأربعينات، وبالفعل بدأ خطواته لتنفيذ قرار إصدار الجمهورية فاختار الدكتور «طه حسين»، ويساعده «حسين فهمي» في رئاسة

التحرير، وعيَن «زكريا الحجاوي» و«عبد العزيز جبر» مديرين للتحرير، كما أمر بتعيين مجموعة من الزملاء كان منهم «محمود السعدني» و«أحمد ثابت طوغان» الذي إنطلق في الرسم والتعبير عما يجري في الوطن العربي وملاحقة الاستعمار الإنجليزي، ثم أصبح «طوغان» المسئول عن قسم الرسم في جريدة «الجمهورية» وكان معه «محيي اللباد» و«جورج البهجوري» و«حسن عثمان» و«فضلون» و«حاكم» وغيرهم الكثيرين من الزملاء، إلى أن إختير «السادات» رئيساً لرابطة العالم الإسلامي، وعين بدلاً منه «صلاح سالم» والذي كان حدث تنافس بينه وبين «السادات» وكان يعلم بقوة علاقة «طوغان» بـ«السادات» والذي عرفه عن طريق «زكريا الحجاوي» في الأربعينيات، فأمر «صلاح سالم» بإلغاء إشراف «طوغان» عن قسم الرسم، وبعد ذلك أصدر قراراً بفصله من جريدة الجمهورية.

ويقول صاحب الذكريات:

«طوغان» و«محمود السعدني» كانا صديقان مقربان ويعيشا فترات الشقاوة والصعلكة، ويضحك قائلاً: حيث كان «طوغان» و«السعدني» يعملان على أستصدار قرار بفصلهما، بالإتفاق مع رؤساء التحرير، حتى يحصلان على مكافأة شهر عن كل سنة عمل لهما، ثم يتصعلكان بهذه المكافأة فترة ثم يعودان للعمل مرة أخرى، حيث كانت الحياة سهلة وبسيطة والناس متفاهمة مع بعضها وتقدر الظروف، ورغم أن أهل «لويس» كانوا يرسلون له مصاريفه الشهرية إلا انه عاش معهما حياة الصعلكة، لكن كما يقول: على خفيف، حيث كانوا يسهرون ويتنزهون ويتقابلون في حديقة كازينو «بديعة» والذي أقيم مكانه فندق شيراتون حالياً، وكان يحضر هذه السهرات مجموعة كبيرة من نجوم الفن والثقافة في المجتمع وعلى رأسهم «كامل بك الشناوي» و«بيرم التونسي» و«مصطفي وعلي أمين» و«فريد الأطرش» و«الموجي» ولهذا شعر «طوغان» بالوحدة عندما إعتقل «السعدني» حيث كان أبرز صديق لـ«طوغان» الذي يصفه صاحب الذكريات بالإنسان

الخلوق الرقيق والضحوك والمحب لأصدقائه وزملائه.

وكان «طوغان» إستأجر شقة بالجيزة بجوار فيلة «علوبـه» باشـا وكـان يسـكن هناك الدكتور «بطرس غالي» وحينها كان «طوغان» خاطب زميلتنا «فاطمة العطار» وكان على وشك أن يتزوجها وكانت تعمل معنا في «صباح الخير» ولكن الخطوبة لم تكتمل، وتزوج بغيرها وأنجب «وليد طوغان» الـذي يعمـل في «صبـاح الخيـر» رسام كاريكاتير مثل والده، وحينها كان صاحب الذكريات يسكن في غرفة منفصلة قبل أن ينتقل إلى سكنه في شارع مراد، فقال له «طوغان»: لدى شقة يا «لويس» إيـه رأيك تسكن فيها؟ ووافق «لويس» وإستأجرها منه وكان ذلك قبل سفره إلى البعثة الدراسية إلى أمريكا.

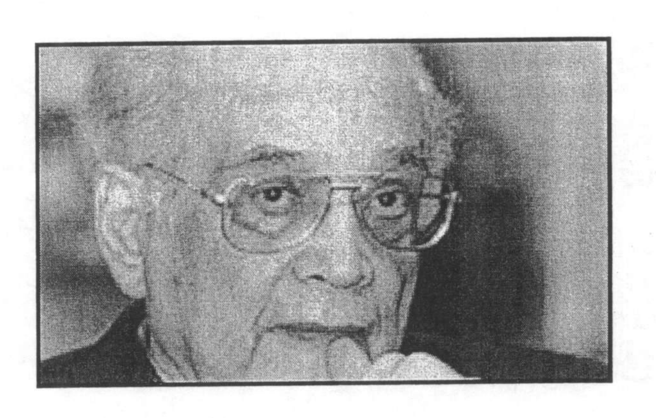
ويقول كاتبنا الكبير :

فجأة أصدر الـرئيس «عبـد الناصـر» شخصـيا أمـراً برجـوع جميـع الصـحفيين المفصولين إلى عملهم وعـاد «طوغـان» إلى الجمهوريـة، ثـم سـافر «طوغـان» إلي الجزائر وعاش مع ثوار جيش التحرير الوطني الجزائري وعاد إلي مصر وقام بنشر تفاصيل هذه الرحلـة في الجمهوريـة وعـن طريقهـا عـرف النـاس مـا يحـدث في الجزائر، ويؤكد كاتبنا الكبير أن «طوغان» كان يمتاز بأن ريشته كانت قويـة وتعبـر دائما عن سخط الشعب على الإنجليز ومحاربة الإستعمار.

وبعـد إنتهـاء الإسـتعمار الإنجليـزي، حـارب الهيمنـة الأمريكيـة ومحاولـة سيطرتها على العالم العربي، وإشـتهر برسـومات العـم «سـام»، وكانـت تعبـر عـن كراهيته للإستعمار الإنجليزي وللهيمنة الأمريكية، ثم أتهم بمعاداة السامية ثـلاث مرات، خلال عصر «السادات» اتهمتـه إسـرائيل مـرتين بمعـاداة السـامية، ولكـن «السادات» لم يلتفت إليهم، وقـد كـان يحـب «طوغـان» ويقـدره، لكـن في عصـر «مبارك» انتقد قوانين «سوزان مبارك» فتلككوا لـه عنـدما اتهمتـه إسـرائيل للمـرة الثالثة بمعاداة السامية، وعرضوا عليه أن يحصل علـي راتبـه دون أن يعمـل ولكنـه

رفض، وأيضاً كان تعرض في رسوماته لبيع الغاز لإسرائيل، وفصلوه من الجمهورية في عام ٢٠٠٩ مع إنه آخر مؤسسيها.. وأنشأ «طوغان» مجلة كاريكاتير مع «مصطفى حسين» والذي كان أول رئيس تحرير لها، ثم أصبح «طوغان» رئيس تحرير «كاريكاتير» بعد ما إبتعد «مصطفى حسين» عنها.

كامل زهيري..
نقيب النقباء

عن «كامل زهيري» يقول «لويس جريس:

أستاذ «كامل زهيري» إشتهر بين الجماعة الصحفية بإنه نقيب النقباء، ذلك لأنه تولى منصب نقيب الصحفيين أكثر من مرة، وكانت له تحليلات هامة جداً في قانون الصحافة، وفي قانون النقابة، وفي اللائحة الداخلية لنقابة الصحفيين، وللصحف والمجلات، ولذلك يعتبر «كامل زهيري» من الشخصيات التي أثرت في الصحافة بشكل واضح، لأنه هو الذي إشترط في عضو نقابة الصحفيين أن يكون حاصلاً على مؤهل عال، وأن لا يتولى رئاسة التحرير من لم يحصل على شهادة جامعية، حيث كان في السابق لم يكن عدد كبير من الصحفيين غير مؤهل للعمل الصحفي، لأن عدد كبير منهم كان غير حاصل على شهادات جامعية، ومن هنا جاء إصرار «كامل زهيري» على وضع هذا الشرط للصحف والمجلات، وفي لائحة النقابة .

ويقول صاحب الذكريات:

أصبح «كامل زهيري» من الشخصيات التي لا تنسى من مخيلة «لويس جريس»، فقد عمل معه وكان يرأس مجلس إدارة «روزاليوسف»، ولكنه كان يعرفه من قبل، بما أن «كامل» كان من كُتاب «روزاليوسف»، وبعد أن تولى «لويس جريس» رئاسة تحرير «صباح الخير» أصبح «زهيري» من كتابها حيث كانوا يخصصون صفحتين في «صباح الخير» لمخاطبة الشباب في أمور السياسة، وكان «لويس» يلجأ أحيانا إلى «فتحي غانم» أو «محمد عوده» أو «فيليب جلاب»، لكن معظم الأعداد كان يكتبها «كامل زهيري»، الذي كان دقيقاً في تعامله، حيث كان يرسل مقاله في موعده.

ولكنه يذكر إحدى هذه المقالات التي كتبها «زهيري» وكانت عن تمرد الشباب وإختلاف رؤيتهم حول ما كان يدور حولهم من أحداث ومواقف، وعن كيفية تعامل «عبد الناصر» معهم، فوضع «لويس» صورة «عبد الناصر» في هذه المقالة، ولكن «كامل زهيري» حذف هذه الصورة ووضع رسمة كاريكاتورية لـ«حجازي» تقول: أصل هما ما عندهمشي ٩ و ١٠ يونية، وهى ذكرى تنحي «عبد الناصر»، وكانت الرقابة أوصلت إلى «محمد فايق» وزير الإعلام حينها أن «لويس» هو الذي وضع الكاريكاتير، فغضب من «لويس جريس» الذي دهش من تغيير الصورة بالرسمة الكاريكاتورية، وحاول أن يبرئ نفسه من هذه التهمة ولكنه لم يجد أحد يسمعه.

وحينها أدرك «لويس جريس» أنه لن يجد أحداً يسانده في أي موقف قد يتعرض فيه للأذى، ولهذا لابد أن يكون حذراً ومنتبهاً لكل أمر يحدث في المجلة، ومنذ هذه اللحظة أصبح لا يثق في أحد، وبدأ يتعامل مع المجلة على أنها مطبوعة يجب حراستها، ليلاً ونهاراً، وكثيراً ما كان يذهب ليلاً إلى المجلة ليتابع بنفسه طباعة المجلة خوفاً من أن يدس له أحداً شيئاً لا يستطيع التخلص منه.

ويذكر كاتبنا الكبير:

مشاجرة حادة بين «كامل زهيري» وبين «رجاء النقاش» الذي كان في بداياته الأولى، ولكنها كانت بدايات مبشرة بظهور ناقد أدبي متميز. وعلى أثر هذه المشاجرة، ذهب «كامل زهيري» إلى الأستاذ «إحسان عبد القدوس» وقال له: يا أنا، يا «رجاء النقاش» في هذه المؤسسة، لأني لن أعمل في مكان يعمل فيه النقاش».

وبالفعل أصدر «عبد القدوس» قراراً بفصل «رجاء النقاش» من «روزاليوسف» ترضية لـ«كامل زهيري» الذي كان مهماً جداً لدى «إحسان»، لأنه كان كاتباً متميزاً، وإدارياً ناجحاً، وبالفعل كانت المؤسسة في إحتياج إلى «كامل زهيري» لأنه كان يدير الأمور الإدارية والتحريرية بسلاسة عجيبة، وبمرونة شديدة، دون تعقيدات.

وذهب «رجاء النقاش» إلى «لويس» قائلاً: انا جاي أسلم عليك قبل ما أمشي من هنا لأن «إحسان» إتخذ قرار بفصلي من «روزاليوسف» لاني إختلف مع «كامل الزهيري» وأستاذ «إحسان» قال انه لا يستغنى عن «كامل الزهيري» ورفدني.

لويس: انتظر شويه يا «رجاء».. وذهب إلى «صلاح جاهين» وحكى له الموضوع، وأكمل أن «رجاء» يتولى رعاية أشقائه وتربيتهم بالاضافة إلى انه مجتهد في عمله، وقام «صلاح جاهين» إلى «إحسان»..

وسأله: ليه رفدت «رجاء النقاش»؟

إحسان: حدثت خناقه بينه وبين «زهيري»، ونحن نحتاج «كامل زهيري»!!

صلاح: علشان محتاج «زهيري» ترفد «النقاش» وهو ناقد أدبي واعد ؟...

المهم تراجع «إحسان» عن قراره..

ويقول لويس جريس: بعد ما رجع «إحسان» في قرار فصل «رجاء النقاش» كما طلب «كامل زهيري» إلا انه لم يعترض، وانتهت الأزمة بين «زهيري و النقاش» وكأن شيئاً لم يكن، لأن هذه كانت صفات «زهيري» الذي لم يكن يتمسك برأيه لو كان فيه ضرراً لأي من زملائه، لأنه كان إدارياً ناجحاً .

يقول كاتبنا الكبير: عندما كان «كامل زهيري» رئيس مجلس إدارة مؤسسة «روزاليوسف» وبعد نكسة يونية ٦٧ ، وإنخفض توزيع المجلة قال «كامل زهيري» له: يا «لويس» لو رفعت توزيع أعداد المجلة من ١٨ ألف إلى ٢٧ ألف نسخة كما كانت سأعينك رئيساً للتحرير، حينها طلب «لويس» من مدير عام «روزاليوسف» ميزانية تطوير بمبلغ ٣ الاف جنيه، ووعد بإرتفاع التوزيع خلال ٣ شهور بحوالي ١٠ الاف نسخة، وبالفعل حصل على المبلغ وأطلق الصحفيين في «صباح الخير» إلى محافظات الجمهورية، خاصة الإسكندرية والأقصر وأسوان، وطلب من «مفيد فوزي» السفر إلى محافظة قنا في فصل الصيف، حيث إعتاد الصحفيون في الصيف، الإهتمام بالموضوعات الصحفية من محافظة الإسكندرية، وفي الشتاء كانت الموضوعات الصحفية تأتي من الأقصر واسوان، لكن «لويس» عكس هذا النظام المعتاد، ومن خلال التجوال في المحافظات والإهتمام بأخبارها، نهضت مجلة «صباح الخير» وإرتفع التوزيع من ١٨ الف نسخة إلى ٢٧.٥ ألف نسخة خلال ٣ شهور، وقال «لويس» لـ« عبد الغني عبد الفتاح» مدير المؤسسة: لو أعطيتني مبلغ اخر استطيع أن ارتفع بأعداد التوزيع أكثر من هذا.. وبالفعل بدأ «لويس» يحصل على مبالغ مالية على فترات زمنية، للإرتفاع بالتوزيع إلى أن ارتفع توزيع «صباح الخير» إلى ٤٥ ألف نسخة إسبوعياً..

ولكنه يقول : عندما ذهب إلى «كامل زهيري».

قائلاً: ها لقد أوفيت بوعدي ورفعت التوزيع كما وعدتك ، فأين أنت ووعدك؟ كامل زهيري: فعلاً.. وفيت بوعدك، لكن أعمل إيه أنا في «محمود

السعدني»؟. لويس: مالوا «محمود السعدني»، عاوز إيه؟

زهيري: عاوز يكون هو رئيس التحرير.

لويس: ومالوا عين «السعدني» رئيس تحرير، أنا مش غاوي مناصب.

ولكنه قال: انه تم إختيارهما الإثنان «لويس و السعدني»، رئيسا تحرير مجلة «صباح الخير».

كامل بك الشناوي ..



يقول «لويس جريس» بدأت معرفته بـ«كامل بك الشناوي» عن طريق زميليه «محمود السعدني» ورسام الكاريكاتير «أحمد طوغان» عندما إصطحباه إلى حديقة كازينو «بديعة» والذي أقيم مكانه فندق شيراتون حالياً، حيث كان يأتي «كامل بك الشناوي» الكاتب الساخر الشهير، والشاعر الغنائي الكبير، ورئيس تحرير «الجمهورية» في ذلك الوقت، ولكن للأسف ربما لا يعرفه الكثيرين إلا انه مؤلف، الأغنية الشهير «لا تكذبي»..

وهذه الأغنية هى واحدة من مئات الأغنيات التي كتبها «كامل الشناوي»..

ويؤكد صاحب الذكريات: أن «كامل بك الشناوي» كان مشهوراً عنه إنه كان يعشق الصعب، أي المرأة الصعبة بالنسبة له.

والحقيقة أن «كامل بك الشناوي» ساند ودعم «نجاة» كثيراً مثل غيرها من الفنانين والصحفيين والأدباء الشباب وفي شتى مناحي الحياة، مثل «عبد الحليم حافظ» و«محمد حسنين هيكل» و« بليغ حمدي» و«يوسف إدريس» و«صلاح

حافظ» و«أحمد رجب» و«كمال الملاخ»، ومن كان يدعمه «الشناوي» كان ينفق عليه لو كان محتاجاً، ويفتح له بيته ليعيش معه، ويصنع منه إسطورة فنية، لأنه كان يجيد تقديم الموهبة إلى المجتمع، حيث كان يكتب عنها ويقدمها إلى صفوة المجتمع، حيث كان صديقاً لـ الدكتور«طه حسين» و«عباس العقاد» و«محمد محمود باشا» و«مي زياده» والدكتور«مصطفى مشرفه» والشيخ «مصطفى عبد الرازق» والأستاذ «أحمد لطفي السيد».

ويقول كاتبنا الكبير :

«كامل الشناوي» كان تعليمه أزهرياً، وعمل مصححاً في جريدة «كوكب الشرق» ثم عمل في «روزاليوسف» وعند توقفها إنتقل إلى «الأهرام»، ثم إختاره «مصطفى وعلي أمين» رئيساً لتحرير مجلة «أخر ساعة»، وبعد ثورة يوليو عين رئيس تحرير «الجمهورية» وفي أوائل الستينات أصبح رئيس تحرير «الأخبار»..

ويؤكد «لويس جريس» انه كان يسعد جداً بلقاء «كامل بك الشناوي»، كقامة وقيمة فكرية وفلسفية وأدبية وثقافية وسياسية وفنية، حيث كان «الشناوي» عالم بالتاريخ وعلم النفس والفنون، والشعر، فقد كان متعدد المواهب، ويتمتع بروح مرحة وسخرية عالية جداً، إلى الدرجة التي يمكن أن يضعه الإنسان في زمرة ظرفاء العصر الحديث، وعندما كان يجلس اليه أصدقائه وزملائه وتلاميذه، كان يمسك بناصية الحديث، ويستمتع الذين يجلسون حوله، بحواره المتدفق السلس، وكانوا يسألونه عن أمور كثيرة، فيروي لهم قصصاً وأحداثاً عاشها هو وتجارب مر بها، ولهذا كان الجلوس مع «كامل بك الشناوي» ممتع ومسلي ومفيد، وبه الكثير من الأسرار عن الفن والفنانين، والسياسة والسياسيين، وان كان لا يخلو من المقالب التي إشتهر بها «كامل الشناوي» وكان ينفذها في أصدقائه وزملائه، مهما كانت نتائجها.

ويذكر «لويس» إحد هذه المقالب التي تمت معه شخصياً، حيث كان من

المقربين له ولزوجته «سناء جميل» والتي كانت في إحتياج إلى شغالة، فسألته في إحدى اللقاءات..

قائلة : كامل بك هل تعرف أحد يحضر لي شغالة ؟

كامل الشناوي : بالطبع أعرف وسأجعله يحضرها لكم.

ويقول «لويس» : «كامل بك الشناوي» وجدها فرصة ليقوم معهم بمقلب من مقالبه الساخنة، وقد كان الأستاذ «مأمون الشناوي» شقيقه لديه بنت جميلة تخدمه، فإستأذن منه أن يترك هذه البنت لمدة إسبوع لتعمل لدى «سناء جميل»، التي أخبرها «كامل الشناوي» إنه وجد شغالة جيدة، وبالفعل أحضرها إليهم بنفسه، وكانت «سناء» تقوم بتصوير فيلم من الصباح وحتى التاسعة مساءً، فأخبرتها قبل خروجها في الصباح بما ستقوم به من أعمال منزلية، ونبهت عليها قائلة: أن البيه يأتي إلى المنزل الساعة ٢.٣٠ ، ليتناول الغداء، وينام حتى الساعة الخامسة، ثم يشرب الشاي ويعود إلى العمل مرة أخرى..

ويقول «لويس» : عندما جاء من عمله، قدمت له البنت طعام الغداء، وفجأة وجدها تمشط شعرها امامه ..

فسألها : بتعملي إيه ؟

البنت : ابدأ بأمشط شعري.

لويس : يعني ما ينفعشي غير هنا؟ إتفضلي أدخلي في المطبخ .

وفي اليوم التالي، بعد تناوله طعام الغداء، وجد هذه البنت تجلس بجواره.فأندهش وسألها: فيه إيه عاوزة إيه ؟

البنت: أبداً لكن يمكن تحتاج حاجة أعملها لك، أو ألبسك الشراب.

لويس: يطلب منها الجلوس في المطبخ وينهرها بشدة،

ولكنه يقول لم يكن يعلم أن «كامل بك الشناوي» مسلط هذه البنت عليه لتحاول أن تستدرجه لأي أمر، ولكنها فشلت.

وإنتهى الإسبوع، وعادت البنت مرة أخرى إلى منزل «مأمون الشناوي»..

وفي أحد اللقاءات قال «كامل الشناوي» : يا «سناء» لكي أن تفخري بـ«لويس» لأن زوجك مخلص لكي ١٠٠٪.

سناء : فيه إيه يا «كامل بك» ؟

الشناوي : لأننا وضعناه في الإختبار ولكنه نجح ، ونظر إلى «لويس»

وقال : يا عفريت لقد نجحت في الإختبار.

ولكن «كامل بك الشناوي» لم يخبر «سناء» عن هذا الإختبار، وسألت «لويس» وهو الذي أخبرها بتفاصيل المقلب، فسعدت وقالت : برافو عليك، وشابو.

ويذكر «لويس جريس» ....

موقف حدث في لقاء رؤساء تحرير الصحف والمجلات، مع الرئيس «عبد الناصر» عام ١٩٦٠، قبل إصدار قانون تأميم الصحافة، وفوجئ بـ«فتحي غانم» رئيس تحرير مجلة «صباح الخير» يطلب منه حضور لقاء الرئيس «عبد الناصر» بدلاً منه لظروف لا يعرفها «لويس»، وبالفعل حضر اللقاء الذي كان في معهد التخطيط.

ويقول «لويس» : دخل الرئيس «عبد الناصر» اليهم، وكان يجلس في المقدمة «فكري باشا أباظة» و«كامل بك الشناوي» و«إحسان عبد القدوس» و«أحمد بهاء الدين» و« محمد حسنين هيكل»، وفجأة وأثناء الاجتماع وضع «كامل الشناوي» يده في جيبه وأخرج علبة السجائر، ووضع سيجارة في فمه وأراد أن يشعلها.

فصرخ فيه «عبد الناصر» قائلاً: إطفيئ السيجارة، إطفيئ السيجارة .

وتكهرب الجو العام للحضور..

فسارع «فكري باشا» قائلاً : بعد إذنك سيادة الرئيس لا تظن أن الأستاذ «كامل» فعل هذه الفعلة بإرادته الحقيقية، بل هى أرادة قوية لدى العديد من الصحفيين، عندما يكونوا في موقف مثل هذا المواقف الجلل، لإننا في ضيافة سيادتكم ويمكن للإنسان أن يتوتر وبحركة لا إرادية وضع الأستاذ «كامل» يده على علبة السجائر، وهو بالطبع لا يقصد أي إساءة أو التقليل من وجود سيادتك، ونحن آسفون ونقدم الإعتذار ..

فقال «عبد الناصر» : طيب.. طيب.. خلاص..خلاص. ثم تحدث «عبد الناصر» عن حرية الصحافة والصحفيين، وأكد على انه لم ولن يتدخل في حرية الصحافة.

وقال : إكتبوا ما تكتبوه، لإنه يؤمن بحرية الصحافة، وأبداً لن يضيق بها ولن يكممها . ويضحك «لويس» ويقول : بالطبع كان هذا غير حقيقي لأن الرقابة كانت شديدة، والصحفيين كانوا يسجنون ويعتقلون ويرفدون ويشردون ، ثم بعد عدة شهور تم تأميم الصحافة عام ١٩٦١ .

سناء جميل ..




الحديث عن «سناء جميل» سهل وفي ذات الوقت في منتهى الصعوبة...

هكذا بدأ «لويس جريس» حديث ذكرياته عن «سناء جميل»، والسهولة تأتي من أنه عاش معها وعرفها، وعرف الكثير عن شخصيتها وعن حياتها، والصعوبة لأنها لم تكن من ذلك النوع الثرثار الذي يتحدث (حتى معه) كثيراُومن صفاتها انها كانت تجيب على قدر السؤال، ولا تستطرد في الكلام، ولا تضيف من عندها شيئ، وحتى يحصل على معلومات منها كان لابد وأن يكثر أسئلته عليها، وحينها كانت تثور وتغضب لو ألح عليها بأسئلة كثيرة، ومن هنا ذكر أن الحديث عنها صعب، كما انه سهل لأنها كانت ترحب بأي سؤال، مع انها كانت تجيب بالتقسيط والإختزال، وكثيراً ما كان يُسأل «لويس جريس» بعد حوارات أجراها عدد من أصدقائه الصحفيين مع «سناء جميل»، يا «لويس» هى «سناء» لماذا لا تقول الحقيقة؟.

وكان «لويس» بدوره يسألهم: وما هى الحقيقة التي تريدون معرفتها؟

فيقولون: عندما نسألها عن أسرتها، نشعر أنها تخفي شيئ ما، وأنها لا تقول الحقيقة !!. ويقول «لويس»: من كثرة إلحاح أصدقائه عليه سألها ذات يوم يا «سناء» هل فعلاً تحاولين إخفاء أسرار في حياتك؟

فضحكت وقالت : أنها مندهشة لأن هؤلاء الناس لا يستطيعون أن يتفهموا شيئ بسيط جداً، وهو أن أهلها وضعوها في مدرسة داخلية وعمرها ٩ سنوات وتركوها ، ولم تكن تعرفهم جيداً، وما عرفته عنهم من المعلومات التي تلقتها منهم خلال الـ٩ سنوات التي عاشتها معهم، ومن هنا كانت لديها تقصير في المعلومات عنهم لأنها لم تعش فترة شبابها مع اهلها، وخلال الـ٩ سنوات كانت تفعل ما كان يشير إليها به والدها او والدتها، دون نقاش، فماذا يطلبون منها أن تقوله وهى لا تعرفه ؟

ومن هنا وجد «لويس» كلامها منطقي، وانها لم تكن تخفي شيئاً لأنها كانت لا تعلم كل الحقائق، وغير متطلعة على جوانب أسرتها المختلفة..

وأسمها الحقيقي «ثريا يوسف عطا الله» ومن مركز ملوي بمحافظة المنيا، وأبيها كان يعمل محامياً، لكن هناك شيئ لم تعرفه «سناء» نهائياً، جعل أبواها يضعاها في مدرسة داخلية، ويدفعا لها مصاريفها حتى المرحلة الثانوية، وبعد ذلك يختفوا ولا أحد يعرف لماذا سافرا، ولماذا إبتعدا ولم يسألا عنها ؟

ويحكي صاحب الذكريات ...

أن الأمور كانت تأزمت بعض الشيئ بينه وبين «سناء جميل» قبل الزواج، فأراد أن يشرب ويسكر لينسى، لكن بناء على نصيحة من صديقه الدكتور «مصطفى محمود» بأن يواجه الأمور ويتخذ القرار الصحيح، إتصل بـ«سناء جميل» وحددا موعد للقاء، في غد ثاني يوم الإتصال بمقهى «استراند» ..

وقال لويس : على فكرة يا «سناء» انتي تعيشين لوحدك، وانا أعيش لوحدي، ما

تيجي نعيش مع بعض .

ويقول «لويس» انها لم ترد ونظرت إليه وضحكت وصمتت ، فقال في نفسه أن العرض لم يعجبها، وأنصرفا، ولم يتصلا ببعضهما أو يتقابلا خلال شهر ونصف، ثم وجدها صباح يوم ١٥ يونية تطلبه تليفونياً ..

وتقول : لويس هو انت لما قلت انتي عايشه لوحدك، وانا عايش لوحدي، وتعالي نعيش مع بعض، كان قصدك الجواز ؟

لويس : آه طبعاً ، إمال إيه ؟

سناء : خلاص نتجوز أول الشهر .

لويس : حيلك، حيلك، أول الشهر إزاي ؟

سناء : فيه إيه ؟ مالوا أول الشهر ؟

لويس : لاء فيه حاجات كثيرة، ولما نتقابل مساءً نتكلم .

وبالفعل تقابلا في الحسين ، وكانا يأكلان كبدة فراخ، ويشربا الشاي الأخضر . وسألته سناء : إيه هى المشكلة ؟

لويس : انا لا أملك فلوس حالياً حتى أتزوج، لأني لاأملك إلا مرتبي .

سناء : وأنا كمان لاأملك إلا مرتبي، وبهما نستطيع أن نعيش .

لويس : لا ما ينفعشي .

سناء : وليه ما ينفعشي، انت معاك ٧ جنيه دلوقتي ؟

لويس : آه معايا .

سناء : كويس، هاتهم بقى معايا .

ويقول«لويس» : اعطيتهم لها، فسألت بعض اللي حوالينا، هو فيه حد من

الصاغة فاتح دلوقتي ؟

فقالوا لها : آه ووصفوا لها أحدهم وكان فاتح محله .

سناء : قوم يا «لويس» معايا ..

وذهبا إلى محل الصاغة ووجدها تشتري الدبلتين، وتكتب ميعاد الزواج عليهما بتاريخ ١ يوليو ١٩٦١، دبلة باسم «ثريا يوسف» والدبلة الأخرى باسم «لويس جريس» ..

وقالت : الدبلتين أهم وعليك بخير يوم الفرح نلبسهم .

ويقول «لويس جريس» : عندما أرادا أن يتمما إجراءات الزواج، كان المسيحيون الأرثوذوكس صائمون، لأنه عندما أصرت على أن يتزوجا في ١/ ٧/ ١٩٦١ كان الصيام لا زال قائما في الكنيسة الأرثوذكسية، وفي الصيام لا يتمموا أي إكليل لا خطوبة ولا زواج، وكانت «سناء» حينها تستعد للسفر إلى موسكو لأن لها فيلم بداية ونهاية كان سيعرض في مهرجان موسكو للسينما، وتزوجا قبل أن تسافر في الكنيسة البروتستانتينية في شبرا، بعد أن ذهبا إلى كنيسة قصر الدوبارة في شارع ريحان وراهب الكنيسة قال له : انه لا أستطيع أن يزوجه لأنه لا يعرفه شخصياً، ونصحه أن يذهب إلى الكنيسة البروتستانتينية في شبرا إلى قسيس صديقه، وبالفعل ذهب إليه وطلب تزويجهما ..

فقال القسيس : فيه إيه؟ وليه ما تنتظرشي حتى ينتهي الصيام ؟

لويس : لأننا مستعجلين .

القسيس : هل أخطأت وعملت مشكلة حمل ولا حاجة ؟

لويس : لا .. بس العروسة مسافرة، وانا مستعجل، وعاوزة تثبت جديتي في الزواج . ووافق القسيس على إتمام الزواج، وفي الموعد المحدد ذهب «لويس وسناء» ومعهما «مفيد» شقيقه، وصديقه «صمويل حنين» المثال الشهير الذي

أسلم في ما بعد وأطلق على نفسه «أدم حنين» ، فنظر إليهم القسيس ورفض إتمام الزواج، وعندما سأله «لويس» عن السبب ؟

فقال القسيس : فين الناس ؟

لويس : فيه ٢ شهود .

القسيس : لا .. أنا أسأل عن المعازيم، وحتى أتمم لك الزواج، لابد من وجود معازيم، حتى يكون الزواج على رؤوس الأشهاد .

وخرج لويس مسرعاً إلى دار «روزاليوسف»، ووجد العمال يخرجون من ورديتهم . فقال : يا إخوانا أنا مزنوق فيكم وعاوزكم معايا .

فقالوا : خير يا أستاذ «لويس» .

لويس : أنا سأتزوج اليوم (وحكى لهم الموضوع) . ووافقوا على الذهاب معه ، وقام بإستئجار ٧ تاكسيات من الـ٥ راكب (بتوع زمان)، وعلى كنيسة شبرا وراحوا، وعندما رأى القسيس العمال هم المعازيم، وافق على إتمام الزواج .

وتم الزواج وسافرت «سناء جميل» إلى مهرجان موسكو السينمائي، وكانت «فاتن حمامه» عضو لجنة تحكيم، وسافرت الإثنتان مع بعضهما ..

وقالت فاتن : على فكرة يا «سناء» دور «نفيسة» كان معروض عليّ لكني رفضته لأن «نجيب محفوظ» كان كاتب في الرواية عن «نفيسة» انها فتاة قبيحة الشكل والمنظر، ويخاصمها الجمال، وانا بسبب هذه الجمل رفضت الدور .

ويحكى «لويس» أن «سناء» فازت بجائزة التمثيل عن هذا الدور في مهرجان موسكو السينمائي، وكان رئيس اللجنة مخرج هندي، كان اخرج فيلم «فدانين أرض»، وأحب دور «نفيسة» جداً، لدرجة انه قال لـ«سناء» يا «نفيسة» انا عن طريق عودتي إلى الهند سأتوقف في القاهرة لكي أزورك في منزلك، وبالفعل جاء اليهما

وقابلاه وتمت دعوته على العشاء في أحد المطاعم الكبرى .

ويضحك «لويس جريس» وهو يقول : بدأنا زواجنا وحياتنا بعد عودتها من مهرجان موسكو السينمائي، والحقيقة انه سعد لأن زواجه تم بالمراسم البروتستانتينية، لأن هذا معناه يمكن أن يكون فيه طلاق، عكس الأرثوذوكية التي من المستحيل وجود طلاق بين الأزواج، والحمد لله إستمرت الحياة .

ولكنه يرجع الفضل في نجاح زواجهما الذي إستمر طوال ٤٠ عاماً، إلى «سناء جميل»، لأنها كانت تديره وتتمسك به، وكان لديها ميزة كبرى تتمثل في مقدرتها على سبر أغوار الرجال، وكانت تستطيع أن تميز بين هذا وذاك، فإذا قالت : يا «لويس» هذا انسان جيد، أو ذاك إنسان سيئ، فكان يكتشف مع الوقت والتعامل حقيقة قولها، ولهذا يقول : انها عرفت انه إنسان مناسب لها، أو انه من الرجال الطيبين، فتمسكت به وعاشت معه وإستمر الزواج، لإنها كانت الأكثر تنظيماً وحرصا على إنجاحه، وقد تعبا وجدا وإجتهدا معاً في بداية حياتهما كثيراً ، فقد سكنا في شقة بشارع المنيل في الدور الرابع وبدون أسانسير، وكان بها إضاءة أوتوماتيكية في السلم ، وكان إيجارها ١٧ جنيه، ولكن «عبد الناصر» قام بعمل ثلاث تخفيضات على الإيجارات السكنية، فأصبح إيجار الشقة ٩.٥ جنيه، فأزال مالك العمارة أنوار السلم، وقام «لويس» بتركيب إضاءة السلم من الدور الرابع حتى الأرضي، لأنهما كانا يعودان أخر الليل حتى يكون سلم العقار مضيئ في الليل ..

ويؤكد أن «سناء جميل» كانت أكثر إرتباطاً وإهتماماً بالمنزل، وهى التي كانت تحرص على دهان الشقة، وعلى شراء السجاد والستائر، وتغيير حجرة النوم، وتجهيز حجرة إستقبال جيدة، وكانت حريصة على تأسيس منزل زوجية محترم، ولكن المشكلة انهما يسكنان في الدور الرابع، وبدون أسانسير، وفشلا في البحث عن شقة سنوات عديدة بسبب الخلوات المرتفعة، والإيجارات العالية ..

ويضحك عالياً ويقول : في أحد المرات كان في الزمالك يبحث عن شقة،

وسأله أحد البوابين بلهجته المميزة قائلاً : انتو بتدور على شقة بقالك كتير، هو مين اللي هيسكن في الشقة دى؟

لويس : مدام «سناء جميل» .

البواب : «سناء جميل» يااه هو لسه بيدور على شقة، لدلوقتي، دا بيدور عليها من زمان ..

ويقول «لويس» مع هذا صبرت وصبرنا، على حياة كانت جميلة وصعبة وسهلة..وكانت تقول : يا «لويس» لما دبوس بيشكك بتقول آي، وانا بقولك لما حاجة توجعك أو تضايقك قولها يا «لويس» ولا تكتم لأن الكتمان على موقف انا قمت بيه أو كلمة قولتها ممكن تنفجر بعد كده ، وإحنا مش عاوزين إنفجارات وعاوزين حياتنا تسير هادئة فأرجوك فضفض بإستمرار .

ويقول كاتبنا الكبير ......

في السنة التي تزوج فيها «سناء جميل» كان «نبيل عصمت» تزوج من «ليلى طاهر»، و«جلال معوض» تزوج من «ليلى فوزي» ، و«أحمد فراج» تزوج من «صباح» وحينها هجمت عليهم الصحافة، وبدأت تنشر صور وأخبار هذه الزيجات، ونشرت حوارات صحفيه مع هؤلاء الأزواج، ولكن «لويس جريس» رفض إجراء أية حوارات أو نشر صور أو أخبار عنه وعن «سناء» ..

وقال لـ«سناء» : أن الزواج مسألة خاصة ولا يجب إطلاع الناس عليها، ولكن لو تريدي إجراء حوارات بمفردك فلا مانع، لكنه يرفض هذه الأمور.

سناء : معك حق وانا أيضاً سأرفض هذه الحوارات .

وهذا ما جعل زواج «لويس جريس» من «سناء جميل» في طي الكتمان، لأنه لم يشتهر مثل «ليلى فوزي و جلال معوض» و «ليلى طاهر و نبيل عصمت» و «صباح و أحمد فراج» وعندما ظهر «لويس» مع «سناء» للحياة العامة، كان بعد مرور ١٥

عاماً من الزواج، في برنامج مع «مفيد فوزي» وفجأة عرف الناس انهما متزوجـان، وقبل ظهورهما في هذا البرنامج، كان الناس يعتقدون أن «سناء جميل» متزوجة مـن الدكتور «لويس عوض» ، ومن ضمن الأمور الطريفـة، أن الممثلـين أيضـاً كـانوا يعتقدون هذا، ومنهم «رشدي أباظة» عندما كان موجود في «سانتا لوتشيا» (مطعـم وبـار) في محطـة الرمـل بالأسـكندرية، وكـان موجـود دكتـور «لـويس عـوض» و«رشدي أباظة» يتناولان «درنك» وإقترب منه «رشدي أباظة» ..

وقال : يا دكتور «لويس» المدام إمبارح كانت منظمة سهرة جميلة جـداً، أحييهـا عليها .

دكتور / لويس : مدام مين ؟

رشدي : مدام حضرتك .

دكتور / لويس : انا زوجتي فرنسية، ولا تعرف احد هنا لتقيم حفلة .

رشدي : حضرتك مش متزوج من «سناء جميل» ؟

دكتور / لويس : آه تقصد «لويس جريس» .

ويقول «لويس» : كانت مثل هذه المفاجئات تحدث وتمر ونعتبرهـا مـن النـوادر ونضحك عليها. وعندما تزوج «لويس» من «سناء جميل» كان يوجد تقليـد بأنـه عنـدما يظهر أفراد على الساحة، في الوسط الصحفي أو الفني، كان بعض الشخصيات تحـاول أن تقيم صداقات معهم عن طريق الحفلات، ولكنه هو و«سناء» تقريباً لم يسيرا في هـذا الطريق، بل كانا يلبيان بعض الدعوات، وإذا شـعرا أنهمـا لا يريـدان إقامـة صـداقات معهم، لم يردا الدعوة بحيـث لا تسـتمر مثـل هـذه الصـداقات، ولهـذا جعـلا طريـق الحفلات إتجاها واحداً، وليس طريقاً مزدوجاً، وبالتالي إسـتطاعا أن يجعـلا حياتهمـا الزوجية، في وضع غير متوتر، وأهدأ من الحياة التي تعتمد على الحسابات، وعلى فلان عمل حفلة، ولا بد أن نقيم حفلة أفضل منه.

ويستشهد في ذلك بإحدى الحفلات التي كادت أن تتسبب لهما في مأزق كبير، عندما قبلا دعوة إلى حفلة في شقة «فريد الأطرش» عن طريق مدير أعماله، ويقول «لويس» كانت شقة جميلة بها رووف، وكان الموعد في التاسعة مساءً، وعندما ذهبا، وأثناء سير الحفلة، فوجئا بحركات غريبة، ولاحظا سيدات تدخل غرف وتخرج، ومعهم رجال..

فقامت «سناء جميل» وسألت على الأستاذ «فريد» .

فقيل لها : الأستاذ «فريد» غير موجود، ولكنه أعطاهم مفتاح شقته ليسهروا سهرتهم، فأندهشت «سناء» وقالت : «لويس» سنقوم ونغادر دون إستئذان، وبالفعل، تم إنصرافهما دون أن يلحظهما أحد .

ويقول لويس : ثاني يوم إتصل به «صفوت مصطفى» وكان من الحاضرين للحفلة، ويعمل مدير أعمال شركة من شركات الإنتاج التليفزيوني في الخليج، وسأله لماذا غادرتما ولم تخبرا أحد ؟

لويس : «سناء» شاهدت أمور غريبة، فأصرت على المغادرة.

صفوت : معها حق، أنت عارف بعد ما غادرتما، البوليس قام بعمل كبسة على الشقة .

لويس : الحمد لله إني سمعت كلام «سناء» ومشينا بسرعة دون إستئذان، وإلا كانوا عطلونا والبوليس جاء وإحنا موجودين .

ويذكر «لويس» حفلة أخرى لكنه لم يحضرها وكان السائق لـ«سناء» فيها، عندما دعا الرئيس «السادات» زوجته «سناء جميل» لحضور مأدبة عشاء على شرف الرئيس السنغالي «سينجور» ، وعندما تحدثت الرئاسة مع «لويس» وسألته اين يرسلوا الدعوة ؟ فقال : إرسلوها على «روزاليوسف» وهو سيعطيها إلى «سناء» ، وكان يوجد دعوة أخرى إلى «محمود المليجي» ولكنه لم يحضر، لأنه كان يقوم

بدوره في مسرحية «إنتهى الدرس يا غبي» على مسرح في شارع الشيخ «ريحان» ..

وعندما قال له المبلغ أن الرئاسة تدعوك لحضور حفلة عشاء، فشتم المبلغ وعنفه، ولم يصدق أن الرئيس «السادات» سيدعوه على العشاء المهم، وقام «لويس» بتوصيل «سناء» بالسيارة وظل منتظراً لإنتهاء الحفلة وأعادها مرة أخرى، و«سناء» قالت له أن الرئيس سألها عن عدم حضور «محمود المليجي» ؟ .

فقالت انها لا تعرف وربما لم تصله الدعوة، ولكنها سوف تخبره، وعندما تقابلت «سناء» مع الرئيس «سنجور» قال لها الرئيس «السادات» كلميه بالفرنساوي يا «سناء» لأنه كان يعرف انها كانت تجيدها ..

فقالت : الشعب المصري يرحب بك في مصر، بلدك الثاني، وأهلا وسهلاً بك .

وعندما أراد الرئيس «سنجور إقامة حفلة يرد بها على حفلة الرئيس «السادات» قام بدعوة «سناء و المليجي» وكانت الحفلة في أحد الفنادق الكبرى، وشرحوا للرئيس «السادات» كيف إنفعل «محمود المليجي» على من أخبره بهذه الدعوة لأنه لم يكن مصدق أن سيادتك ستدعوه على حفلة عشاء ..

ويؤكد لويس جريس» ....

أن زواج الإعلام بالفن مليئ بالعيوب، وأول عيب هو أن أحدهما يتعرض لبعض زملائه في العمل عندما يكون لهم رأي في العمل الذي يقدمه الطرف الأخر، خاصة إذا كان أحد الأزواج صحفي أو ناقد فني، بالطبع سيكون له رأي فني في ما يقدمه شريكه في الزواج، وهل يا ترى يتم مناقشتهم والرد عليهم والدخول معهم في جدل أم يجعل الأمور سهلة وتمر عادية، ولهذا كان «لويس» من الذين لا يعقدون الأمور لأن ما يقوله الزميل هو مجرد رأي، ويذكر في أحد الأيام دخل عليه زميله الكاتب الصحفي «عبد الله الطوخي» في «صباح الخير» وفي يده مقال ويقول: يا «لويس يا جريس» أنا معي مقالة وواثق أنك سترفض نشرها ..

لويس : ليه يا «عبدالله» ؟

عبد الله الطوخي : لأني ناقد فيها «سناء جميل» .

ثم أخذها منه وقرأها وسمح بنشرها ، وجاء اليه «عبـد الله الطـوخي» مندهشـاً لأنه نشرها . لويس : يا «عبد الله» لو أن «سناء» كفنانة ستقضي عليهـا مقالـة انـت كتبتها، فلن تستحق أن تكون ممثلة، أو أن تتبوأ المكانة التي هى عليها حالياً، وانـا نشرتها لأن هذا النشر سيفيدها اكثر مما يضرها ..

عبد الله الطوخي : إزاي يا «لويس» ؟

لويس : لأن القارئ عندما يقرأ مقالتك، ويكون قـد رأى العمـل الفنـي الـذي تتعرض له المقالة، وكون رأيه، فربما هو نفسه الذي يرد عليك، إذا كنـت تتحامـل عليها، أو إنك فعلاً نطقت بالحقيقة، و«سناء» تبـوأت مكانتهـا عـن جـدارة، ولـن يستطيع أحد أن يزحزحها عنها ، إلا «سناء» نفسها، لأن الفنان الذي يبني نفسه هو الوحيد الذي يستطيع أن يهدم نفسه .

عبد الله الطوخي : يعني إيه الفنان يهدم نفسه؟

لويس : يعمل تصرفات وأفعال ما تجعله ينزلق وينحدر إلى ما هو ليس بفن، أما الفنان الذي يقف كثيراً أمام الإعتراضات عليه والمقالات التي تمتدحـه أو تنقـده سيتأخر، فعلى الفنان الصادق مع نفسه أن يضعها فوق بعضها ويجلس فوقهـا، لأن كل هذا الكلام الذي يثار حول الفنان وحول عمله يرفعه ولا يقلل منه حتى لو كان نقداً جارحاً .

ويذكر «لويس جريس» عيوباً أخرى صادفته شخصياً بسبب زواجه مـن فنانـة، وهى عندما كان يعود من عمله إلى المنزل فلا يجد زوجة تستقبله وتضع لـه طعـام الغداء، وكان يجد الطعام في الثلاجة، وكـان يعمـل عـلى تسخينه، أو يكـون أحـد الشغالين موجود فيقوم بهذه المهمة، رغـم أن «سـناء» كانـت تسـتعد لمثـل هـذه

الأمور، عندما يكون لديها تصوير متأخر، أو يحتاج إلى التواجد خارج البيت فترات طويلة ..

ويضرب مثلاً بذلك ويقول : عملت «سناء جميل» مع «يوسف شاهين» وكان يريد تصوير مشهد مع طلوع الشمس، وكان فريق العمل يأتي إلى المنزل ليجهزوا «سناء» الساعة ٢ بعد منتصف الليل، وكان «لويس» يقوم ويجلس معهم حتى تنتهي «سناء» من مكياجها، وترتدي ملابس الدور، الذي يحتاجه المشهد، ثم ينزلون من البيت الساعة ٤ فجراً، ويدخل «لويس» لينام وكان يتقبل هذا الإزعاج، ولا يثور عليه لأنه كان يحترم عملها ويعتبره جزء من المساندة، التي يساند بها زوجته حتى تستطيع أن تبدع وتقدم أفضل ما لديها..

ثم يقول : وتظل مشكلة أخرى، أن بعض الناس تصدق ما تشاهده على الشاشة، مثلاً لو أن الممثلة قامت بدور عاهرة أو فتاة ليل، فيمكن جداً أن البعض يعتبرون أن هذه هى حياة الفنانة، وقد تتعرض لموقف محرج من المواقف السخيفة بسبب هذا الخلط، ويعتقدون أن هذه هى طبيعتها ..

ويؤكد «لويس جريس» بانه لم يشعر بأي قلق في زواجه من ممثلة لأن الأدوار التي كانت تقدمها «سناء جميل»، لم تكن من الأدوار التي تثير له المشاكل في ما عدا دورها في فيلم «فجر يوم جديد» الذي كان فيه مشهد بينها وبين شاب في العشرين من عمره، «سيف عبد الرحمن» وكان يظهرهما أنهما ينامان في السرير، وجاء إليه أحد الصحفيين ليسأله أستاذ «لويس» كيف كان شعورك وانت ترى زوجتك تنام مع شخص آخر في السرير ؟

لويس : هل تعرف عند تصوير اي مشهد يكون هناك عشرات من الأفراد يقفون لتصويره؟ مثل رجال الإضاءة والديكور والمخرج ومساعديه والأكسسوار وحاملي الكاميرات ، وعمال النظافة، وكون أن الممثل جعلك تشعر انه بالفعل يحب الشخص الذي أمامه، أو انه يذوب عشقاً وحناناً فيه، فهذا أداء لممثل

عبقري في تلك اللحظة، وعندما ينتهي هذا المشهد تنتهي هذه اللحظات، ولا بد أن تتذكر أن هذا المشهد لم يكن في غرفة نوم مغلقة، ولكنه كان في بلاتوه على مسمع ومرأى عدد كبير من الناس، ومن هنا الحقيقة لم يؤثر هذا المشهد في «لويس» كثيراً، ويقول : لحسن الحظ انه لم يتعرض لمثل هذه المواقف من هذا النوع، لأن أدوار «سناء» لم يكن فيها ذلك النوع من الملاطفات الحسية والجنسية والعشق والهوى والغرام، ولكن كان بها نوع من القتال والإقتتال والدفاع عن المظلومين ..

ولهذا لا يجد «لويس جريس» في زواج الفن بالصحافة أي شيئ مميز إلا حسب ما الشخص يكون به هذا التمييز ..

ويتذكر صاحب الذكريات ...

ذلك الحادث الشهير الذي أصاب أُذن «سناء جميل» بالصمم، حينها قالت : أن الصفعة القوية التي نالتها من «عمر الشريف» في فيلم «بداية ونهاية» أكملت على البقية الباقية لديها من السمع، لأنها بالفعل كانت تعاني من الصمم في صغرها، وطبلة الأذن لديها لم تكن سليمة، ويذكر «لويس» في عام ١٩٧٢ أن «سناء جميل» صحت من نومها ..

وقالت : «لويس» انا مش سامعه حاجة خالص، كلمني وخبط وأرزع وأعمل دوشة جامدة .. ويحاول «لويس» انه يكلمها وهى لا تسمعه، وإكتشف انها لا تسمعه على الإطلاق وإنها أصيبت بالصمم، فذهب بها إلى الدكتور «لبيب سامي» استاذ الأنف والأذن والحنجرة، وبعد الفحص والكشف، قال : انها أصبحت صماء، ولا بد من تركيب سماعات للأذن، وقام بعمل الفحوصات بالرنين المغناطيسي، وبعد عدة جلسات، جهز لها سماعة لكل أُذن، ولكن مع التجربة إكتشفت أن سماعتين أمر مرهق لها، وإكتفت بسماعة واحدة، في الأذن اليسرى .. ويقول زوجها : من ضمن الأشياء التي جعلته مبهوراً بـ«سناء جميل» لانها بعد

إصابتها بهذه العاهة إستطاعت أن تستمر في عملها كممثلة فوق خشبة المسرح، خاصة كما يعلم الذين يعرفون المسرح، يوجد من يجلس في «الكمبوشة» بمقدمة المسرح، ويقوم بتلقين الممثلين ببعض الجمل، ولكنها إكتشفت انها لن تستطيع الإعتماد على الملقن، فكانت تضطر إلى حفظ النص بالكامل ..

ويعتبر «لويس» أن هذا الجزء من حياته مع «سناء جميل» كان أروعها ، لأنه كان مبهوراً بهذه الإنسانة، التي لم تعوقها هذه الإعاقة غير البسيطة، بالقيام بمهام عملها، رغم أن الأخرين كانوا يقولون عن «سناء جميل» انها تستمع إلى ما تريد أن تستمع إليه، وما لا تريد أن تسمعه فلا تسمعه، عندما كان البعض يوجه لها كلام لا ترد عليه، فيقولوا تتصنع انها لم تسمعه، أو انها مشغولة، أو غير مهتمة ..

ويشرح الزوج : بأن هذا لم يكن صحيحاً، لأن «سناء» كانت تحرص على أن تكون مستمعة جيدة، ولكنها كانت عندما تريد أن تركز في حفظ السيناريو في المنزل، كانت تغلق سماعتها، لأن هذا كان يساعدها على الحفظ والتركيز، وكانت تفتح السماعات عندما تريد أن تضبط جملة، وهذا يؤكد أن الفنان الموهوب ليس من فراغ، لأنها كانت تستمع إلى أدائها للجملة، بأي موسيقى وأي تون، تون حزن وتون فرح وتون هلع، وكيف تقولها في المسرح، ويكون لها تأثيراً واثراً ناجحاً على الجمهور..

ومن هنا تعرف «لويس» على جانب من الجوانب التي تجعل الممثل جيد أو غير جيد، مما جعله منبهراً بها لأنه لم يكن سيكتشف هذا في زوجته لولا هذه العاهة التي أصابتها، ولهذا يؤكد أن كلمة مستحيل لم يكن لها وجود في حياة «سناء جميل» فكان من المحال أن تستمر في عملها لولا انها تمتلك إرادة قوية، تحدت بها إعاقتها، وخاضت التجربة امام الجمهور ، ودون أن يلحظ احد من زملائها أن لديها صمم، ولذلك كان زملاؤها يقولون «سناء» تسمع اللي عاوزاه، وما تسمعشي اللي مش عاوزاه ..

ويقول «لويس جريس» : أن موهبة «سناء جميل» كانت بالفطرة، لأنها رغم هـذه الموهبة الطاغية لم تكن تقرأ أو تحب القراءة، لأنـه بعـد زواجـه منهـا قـال بعـض الأصدقاء يا «لويس» المفترض أن تجعل «سناء» تتثقف وتزداد ثقافة، بمـا لـديك من كتب وإطلاعك الواسع ومعرفتك بالأدب الغربي، والأدب العربـي، ويقـول : طوال ٤١ سنة زواج لم تقرأ «سناء جميل» غير كتابين احـدهما عـن «تشـي جيفـارا» وحتى الكتاب الأخر «لويس» لا يتذكره، وهى لم تهـتم بـأن تقـرأ أو تأخـذ القـراءة مأخذ الجد والإهتمام، وكان زوجها مهموماً بهذا الأمـر .. ولكنـه يقـول : لكـن الدكتور «لويس عوض» هو الذي أنقذه من هذا الأمر، بعد ما قال له ذات مرة : يـا «لويس» قراءة الكتب والإستغراق في القراءة يصـيب الإنسـان بالإكتئـاب، وهـذا أعدى اعداء الممثل، لأنه إذا إكتئـب لا يسـتطيع الأداء، ولا بـد أن تكـون نفسـيته مرتاحة وراضياً عن نفسه وعن الأخرين، حتى يبدع، أما إذا أُصيب بالإكتئاب فهذا بداية النهاية، وإياك أن تعطي «سناء» كتباً لتقرأها، ومن حسن الحـظ، انهـا لم تكـن تسعى إلى القراءة .

ويحكي كاتبنا الكبير ...

أن «سناء جميل» كانت تمتلك سيارة صغيرة من شركة «فورد ماركة أنجيليـا»، وكانت تشبه الفيات ١١٠٠ وكانت تذهب بها إلى أماكن التصوير، وكانت تعمل في فيلم «فجر يوم جديد» مع «يوسف شاهين» الذي قال لها : يا «سـناء» إيـه العربيـة الكحيانـة الـلي بتركبيهـا دي ؟ ولوعـاوزة تكـوني «سـتار» لابـد أن تركبـي عربيـة «كاديلاك» .

سناء : «الكاديلاك» غاليه عليّ وانا أشتريت «الأنجيليـا» بالتقسـيط، والمقـدم كان ٢٠٠ جنيه، وسعرها ٨٠٠ جنيه، وقسط شهري ٥٠ جنيه .

يوسف شاهين : لازم يكون عندك عربية فخمة كبيرة .

سناء : كام ثمن العربية المرسيدس ؟

يوسف شاهين : بـ ٧٣٠٠ دولار ، والدولار كان سعره الرسمي ٧٢ قرش وفي السوق السوداء ٧٥ قرش .

فجاءت إلى «لويس» وقالت : عاوزة ألم دولارات من السوق السوداء حتى أشتري سيارة مرسيدس .

وفي هذه الأثناء جاء اليها المخرج «مصطفى العقاد» يطلبها في دور «سمية» أول شهيدة في الإسلام، في فيلم «الرسالة» وإتفقا على الأجر وكان ٣٦٠٠ دولار، فطلبت منه أن يرفع الأجر بعض الشيئ ولكنه رفض وقال هذا ما تم رصده لميزانية الفيلم.

وذهب جميع أفراد عمل الفيلم للتصوير في مدينة «مراكش» بالمغرب، وتم بناء ديكورات حي «مكة» ومنها الكعبة المشرفة، وبالطبع كان سيتم هدم الديكورات بعد الإنتهاء من تصوير الفيلم، ولكن بعض الجرائد المغربية طالبت حينها بعدم هدم ديكورات حي مكة ومنها الكعبة المشرفة، لتصبح مزاراً سياحياً فيما بعد وتستخدمه المغرب كمزار سياحي .

وهذه الأخبار وصلت إلى مسامع الملك «فيصل» خادم الحرميين الشريفين، في ذلك الوقت، فقام بالإتصال بالملك «الحسن» تليفونياً، مطالباً منه هدم ديكورات الفيلم لأنه لا يوجد في العالم إلا الكعبة المشرفة التي توجد في مكة ، وبالفعل أمر الملك «الحسن» بإلغاء التعاقد بتصوير الفيلم في المغرب وقامت السلطات المغربية بهدم ديكورات الفيلم هناك .. فطلب منهم «معمر القذاقي» القدوم إلى ليبيا، وتصوير الفيلم هناك، وبالفعل تم الإنتقال إلى ليبيا، وتم بناء ديكورات جديدة، ولكن كان يوجد شرط في عقد الممثلين، بأنه إذا تم تغيير موقع التصوير فسوف يكون هناك عقد جديد بشروط جديدة، وبالفعل تم تغيير العقد والـ ٣٦٠٠ دولار أصبحوا ٧٢٠٠ دولار ، في العقد الجديد ...

وبعد إنتهاء تصوير الفيلم، ذهبا «لويس و سناء» إلى شركة النصر العامة للسيارت، التي كانت تستورد المرسيدس، وتم تسليمهم الشيكات والتعاقد على سيارة مرسيدس، وفي اليوم الذي حددته الشركة للإستلام، ذهب «لويس» وأحضر السيارة، ويذكر انهم كانوا يسكنون في شقة في الدور الرابع في منزل بدون أسانسير في المنيل، وطلب من البواب أن يخبر «سناء» أن تنظر من البلكونة حتى تشاهد المرسيدس، وبالفعل صعد البواب وأخبرها، وعندما شاهدتها سعدت وتهللت، وكانت ترتدي قميص نوم فوضعت فوقه «روب» وإرتدت في قدميها «شبشب» ونزلت لتقود المرسيدس بنفسها في شوارع القاهرة، وهى تنظر شمال ويمين وتقول : انا راكبه عربية مرسيدس، كما لو أنها تريد أن توقف كل من يسير في الشارع لتخبره انها راكبة مرسيدس، وأصبحت السيارة المرسيدس الصفراء التي تركبها «سناء جميل» حكاية يتحدث عنها الناس، لأنها كانت تحب أن يشيع بين الناس أن لديها مرسيدس صفراء .

ولأن السيارة كانت مستوردة، فكان لا بد أن يدفعا جمارك حوالي ٥٠٠٠ جنيه، فقام «لويس» ببيع السيارة التي كان يملكها بـ ٢٥٠٠ جنيه، وإقترض بضمان راتبه ٥٠٠، وأكمل الباقي ودفع الـ٥٠٠٠ جنيه، جمرك السيارة المرسيدس ..

ويقول «لويس جريس» : هكذا كانت «سناء جميل» في تصرفاتها تفرح مثل الطفلة، عندما تحصل على شيئ، ولكن بسرعة تمل منه ..

وذات يوم قالت : «لويس» على فكرة العربية المرسيدس كبيرة وبتتعبني في ركنتها، وطلبت منه أن يحجز سيارة فيات من بنك مصر، وبالفعل حجز سيارة «ريتمو»، متوسطة الحجم، واخذتها لأنها سهلة في ركنتها وأعطت المرسيدس إلى زوجها «لويس» الذي كثر حوله القيل والقال بسبب ركوبه سيارة مرسيدس، خاصة انه كان أعلن مع ركوبه المرسيدس، انه إشترى بالطو فرو لزوجته بـ٥ ألاف جنيه، من خلال سؤال صحفي يدور على ألسنة بعض المشاهير، ماذا أحضرت

هدية في عيد ميلاد زوجتك ؟ فقال : بالطو فرو ..

وعليه تم تحويله إلى المدعي العام الإشتراكي، عام ١٩٧٥ ليسأله من أين لـك هذا ؟ بسبب هذين الأمرين المرسيدس والبالطو الفرو .

وساله قائلاً : ها يا أستاذ أنت راتبك كام ؟

لويس : راتبي ٥ الاف جنيه في السنة .

المدعي العام الإشتراكي : دا راتب وكيل وزارة، هل أنت وكيل وزارة ؟

لويس : لا .. لكن راتبنا في الصحافة كويس .

المدعي العام الإشـتراكي : يعنـي هـذا المبلـغ يجعلـك تركـب مرسـيدس، وتشتري بالطو فرو ؟

لويس يضحك ويقول : المرسيدس ليست ملكي وإنما ملك زوجتي .

المدعي العام الإشتراكي : ومن زوجتك ؟

لويس : سناء جميل .

المدعي العام الإشتراكي : الممثلة .

لويس : نعم .

المدعي العام الإشتراكي : وليه أنت اللي بتركبها ؟

لويس : فحكى له موضوع السيارة الـريتمو» .

المدعي العام الإشتراكي : وإيه حكاية البالطو الفرو ؟

لويس : لما «لويس جريس» يتزوج من فنانة فماذا سيهديها ؟ وعـلى كـل حـال سأخبر سيادتك، عن أمر لم أقوله لأحد من قبل .

المدعي العام الإشتراكي : أيه هو ؟

لويس : في عيد ميلاد «سناء» كانت تقيم حفلة، وكنت دائما أفاجأ بها وسط المدعويين، تخرج «عقد لولي» أو «سلسلة ذهب» أو «دلاية» أو «طقم غوايش» وتقول لهم : شوفوا «لويس» جاب لي إيه ؟ ، وهذه هى «سناء جميل» التي كانت تشتري الهدية، ولكنها تخبر الناس بأن زوجها هو الذي إشتراها لها ، ثم إنني سيادة المستشار من أسرة مرتاحة شوية، ووالدي تارك لي أرض في الصعيد وعقارات تدر عليّ أموالاً ولست فقيراً .

المدعي العام الإشتراكي : يعني إيه ؟

لويس : يعني يوجد مبرر كبير جداً بأن أسافر لندن وأشتري بالطو فرو لزوجتي، لأني لم أتحايل أو أسرق لأن دخلي وما تحصل عليه زوجتي يمكنني من شراء مثل هذه الأشياء، وزوجتي تحصل على أموال أكثر مني، لأنها معينة مستشارة في المسرح القومي، وتقوم بالتمثيل في المسرح والإذاعة والتليفزيون والسينما، وتتقاضى أموالاً طائلة عن أدوارها المتعددة، يمكنها من شراء أكثر من بالطو فرو، وكوني إشتريته وقدمته لها ، والعقد اللولي قدمه لها زوجها فهذا يرجع إلى أسرار داخلية بيننا، لأن الأموال أموالنا ونحن إشتريناه بطريق شرعي وشريف، لكن المسميات إختلفت، هى تقول : إشتراه زوجي، والحقيقة انها التي إشترته من أموالها وانا أيضاً إشتريت البالطو الفرو، وربما اني حصلت على أموال منها وأنا مسافر لإشتري هذا البالطو .

المدعي العام الإشتراكي : تقصد أن هذه أموال «سناء» زوجتك ؟

لويس : نعم البالطو ، والمرسيدس أساسها أموال «سناء» التي حصلت عليها نتاج أعمالها الفنية في الخارج، وفي الداخل، وكنا نتفق انا وهى على وضع أموالنا في دولاب البيت، وكل واحد يأخذ ما يحتاج إليه من مصاريف، وانا كنت أحتاج أن يكون معي جنيه واحد، كل صباح أركب تاكسي بعشرة قروش إلى المجلة وعشرة قروش مثلهم في العودة، وأشتري علبة سجائر، ومشاريب الشاي والقهوة،

ويتبقى معي أخر اليوم من ٢٠ إلى ٣٠ قرش فأضعهم في الدولاب مرة أخرى ، إلى أن يأتي يوم أخر ، وهكذا ..

ونحن كنا نعيش بشكل عادي وبسيط، وكان ربنا ساترها معنا ولدينا ما يكفينا، ولم نكن نحتاج إلى أي حاجة، ولكن كانت هناك أشياء تحدث في حياتنا الإجتماعية، لا يعرفها أحد غيرنا، والناس لها ما تراه، والبيوت أسرار، ما أقوله سيادة المستشار سر من الأسرار، وقد بوحت لك به الآن، فالأموال التي بيني وبين «سناء جميل» نتداولها لتفي بإحتياجاتنا وبهدايانا بعضنا لبعض ..

وينفي كاتبنا الكبير ...

وجود صراع بين «سناء جميل» وبين «سميحة أيوب» على المستوى الشخصي، بل يؤكد وجود مودة وصداقة وعشرة في التعامل بينهما من خلال الزيارات المتبادلة بين الأسرتين، خاصة على تناول العشاء، سواء كان في المنازل أو خارجها، ولكنه لم ينفي وجود تنافس في العمل الفني، مع انه لم يجمعهما أي عمل فني على المسرح أو السينما ، لكن تم جمعهما في مسلسل إذاعي .

ويذكر لويس انه في أواخر ١٩٦٢ أو أوائل ١٩٦٣ ، كان يسهر هو و«سناء» و «سميحة أيوب» و «محمود مرسي» في كازينو الشجرة بالزمالك، حيث كانت العلاقة طيبة بين «سناء و سميحة» وهى متزوجة من «محمود مرسي» أو «سعد الدين وهبه» وفجأة جاء سائق «محمود مرسي» ليقول له : «رمسيس نجيب» طلبه في المنزل ويريده فوراً، (ولم يكن ظهر الموبايل) فإستأذن «محمود» وذهب إلى المنزل، وجاء ضاحكاً ويقول لهم : «رمسيس نجيب» يطلبه كممثل، مع أن «محمود» كان يجهز نفسه ليكون مخرجاً..

وقالوا له : «وافق يا محمود» وأهي تجربة، وأصبح «محمود مرسي» منذ هذه اللحظة ممثلاً، بعد أن رآه «رمسيس نجيب» كممثل .

ويقول «لويس» : «سناء جميل» كانت تعتز بدور «فاطمة المعداوي» وبالجملة

الشهيرة التي إشتهرت بها «التمساحة يالا»، وفي السينما كانت تعتز بدور «نفيسة» في فيلم «بداية ونهاية» خاصة مشهد الريال مع «عمر الشريف» ، وأيضاً دورها في فيلم «الزوجة الثانية»، ويحكي عن سبب إختيار«صلاح أبو سيف» لـ«سناء جميل» في هذا الفيلم، بأنها كانت تستيقظ مبكراً قبله وتقرأ الجرائد، وقرأت خبر إختيار «ثروت عكاشة» وزيراً للثقافة ..فقالت : يا «لويس» انا لابد أن أذهب لتهنئة هذا الرجل، لأنه يوجد بيننا علاقة ود وإحترام، وظلت تطالبه بالنهوض من السرير في الصباح الباكر حتى تذهب لتهنئته .

لويس : لسه بدري جداً وهو لم يصل إلى الوزارة دلوقتي .

«سناء» : إتصل وإعرف مكانه فين ونروح إليه .

وأجرى «لويس» بعض الإتصالات وعلم إنه لا زال في البنك المركزي، حيث كان محافظ البنك المركزي، وبالفعل ذهبا إلى مقر البنك المركزي، وتركها تصعد لتهنئته، وإنتظر «لويس» في السيارة، وبعد الإنتهاء من التهنئة، خرج معها «عكاشة» لتوصيلها إلى باب المكتب، فوجد «صلاح أبو سيف» ينتظر للدخول إلى «عكاشة» لتهنئته أيضاً ..

فقال عكاشة : يا «صلاح» ماذا تفعل هذه الأيام ؟ .

صلاح ابو سيف : أجهز لفيلم جديد .

عكاشة : هل يوجد دور لـ«سناء جميل» ؟

صلاح أبو سيف : آه طبعاً ومالوا .

عكاشة : إذن تعاقد معها النهاردة .

وبالفعل تم تعاقدها على فيلم «الزوجة الثانية» والذي تم إختياره مع فيلم «بداية ونهاية» وفيلم «ليل وقضبان» ضمن أعظم ١٠٠ فيلم في تاريخ السينما

المصرية خلال القرن الماضي، وعلى المسرح كان أهم أدوارها «الليدي ماكبث» لـ«شكسبير» و«شهرزاد» لـ«توفيق الحكيم» ..

ويؤكد «لويس» أن «سناء يونس» و «سلوى خطاب» كانا أقرب أصدقائها في الوسط الفني، وعندما كان يسافر «لويس» كانت «سناء جميل» تطلب من «سناء يونس» أن تأتي اليها وتعيش معها خلال فترة السفر، وكانت تهتم بمجموعة من الشباب مثل «المنتصر بالله» وزوجته، و «محمد كامل» و «محمود مسعود» وكانوا من الذين سعدت بهم جداً، هذا بجانب علاقتها الطيبة مع الجيل القديم بالكامل من خلال تصوير الأعمال الفنية .

ويقول لويس : أن «أحمد زكي» بدأ مع «سناء جميل» وهو طالب في معهد الفنون المسرحية في سباعية «كوبري الليمون» ، وأيضاً صورت معه «العانس» في التليفزيون، وعندما بدأ يشتهر طلبته تليفونياً ..

وقالت : «احمد» أنا نفسي أمثل أمامك قبل ما أموت، وكان هذا سنة ١٩٩٨ .

أحمد زكي : حاضر وسأرسل لكي سيناريو فيلمين .

وبالفعل أرسل لها سيناريو فيلم «سواق الهانم» و «إضحك الصورة تطلع حلوة» .

ومع انها كانت تعرف «محمود ياسين» جيداً ومثلت أمامه من قبل، وتقدره تقديراً كبيراً، إلا انها لم تطلب منه، وطلبت من «أحمد زكي» دون خجل أن تعمل معه .

وعن أقرب الأدوار إلى شخصية «سناء جميل» الحقيقية ..

يقول زوجها «لويس جريس» : دور «نفيسه» في بداية ونهاية، لإرتباطها بماكينة الخياطة، والماكينة بالفعل موجودة حتى هذه اللحظة وبعد وفاتها، لأن «سناء جميل» كانت تحيك ملابسها بنفسها، بل كانت تفصل بنطلوناته الصيفية، لأنها

كانت ماهرة جداً في التفصيل، وكثيراً ما كانت تقول : لو انها توقفت عن التمثيل ستفتتح أتيلييه، وستلبس سيدات مصر أحلى فساتين في حياتهم، وأيضا دور «حفيظة» في الزوجة الثانية، لأنها كانت غيورة جداً، ولم تكن تتحمل إقتراب أي سيدة من «لويس» ..

ويضحك «لويس» ويقول : ذات يوم كلمها واحد كان خاطب طالبة في كلية الإعلام وكانت تتدرب على العمل الصحفي في «صباح الخير»، وهذه الطالبة كانت تتحدث كثيراً عن «لويس» وعن مساعدته لها مع خاطبها، الذي قال : مدام «سناء» انا سمعت إنك سيدة دوغري، ولا يعجبك الحال المايل، وعشان كدة أرجو أن تسألي زوجك عن البنت اللي إسمها (.....) المتدربة معه وهل يوجد علاقة بينهما أم لا ؟

فقالت سناء : وانت مين ؟

فقال : انا خطيبها .

سناء : (بنرفزة شديدة) طب ما تسأل خطيبتك أنت بدلاً من أن أسأل أنا زوجي ..ونهرته وقالت : حسك عينك تتصل هنا مرة أخرى .

والمدهش كما يقول «لويس»، انها لم تخبره بما حدث، ولكنه بعد فترة أخبرته الطالبة المتدربة، عن المحادثة التي دارت بين خطيبها وبين «سناء جميل» ..

فسألها لويس : هل كلمك أحد في التليفون عني ؟

سناء : آه إنسان سخيف جداً، لأنه مش قادر يحكم خطيبته، وبيلبس الناس تهمة، وبيقولي زوجك بيعاكس البنت ، فنهرته وأغلقت التليفون معه .

ودور «فاطمة المعداوي» كان أيضاً قريباً من شخصية «سناء جميل»، لأن حكاية التمساحة يا «حمو» فقد كانت عندما تريد شيئ، كانت تريد إحضاره بمنتهى

السرعة، وعندما كانت تريد الخروج بالسيارة، كانت ترسل الشغالة أو السفرجي، قبل ظهور الموبايلات إلى السايس في الجراج، لكي يجهز السيارة في ساعة محددة.

وعن شخصية «سلوى» في مسلسل «ساكن قصادي» يقول «لويس» : بالفعل كانت توجد علاقة طيبة مع الجيران حتى اليوم، وكانت تقول : احنا عشنا مع الجيران ٣٠ سنة في ٢٢ شارع المنيل ، قبل إنتقالنا إلى المقطم ، وكانت طبيعتها كوميديانة في الحقيقة، و«سمير خفاجي» هو الذي إكتشف هذا الأمر، وكان يتمنى أن يكتب لها شيئاً كوميدي مع «فؤاد المهندس» .

ويؤكد «لويس جريس» ....

رضاؤه التام عن عدم وجود أبناء لهما من الزواج، لأنهما تناقشا مع بعضهما حول هذا الأمر، وكان أمامهما نموذج الفنانة القديرة «نعيمة وصفي» حيث ظهرت قبل «سميحة أيوب» ، و«سناء جميل» وكانت من الممثلات المبدعات، وتزوجت وأنجبت ولد وبنتين، وإنشغلت بهما، ولم تحصل على المكانة الفنية التي تستحقها، من خلال قدرتها الفنية العالية، وهذا كان النموذج أمام «سناء جميل» ، وكانت تخشى أن يكون لها أبناء، وقالت : انها لن تستطيع أن يكون لديها طفل مريض، وتتركه لتقدم دوراً على خشبة المسرح، حيث كانت تعشق عملها، ولكن بعد ما كبرت وجريت بها الأيام والسنوات، وتحديداً عام ١٩٧٥ ..

قالت : يا «لويس» يظهر إننا أخطأنا في قرار عدم الإنجاب، لإننا تزوجنا في ١٩٦١ وكان يمكن أن يكون لدينا ولد أو بنت في عمر الـ١٤ سنة الأن، ويكون سنداً لنا ..

لويس : يمكن يكون ولد تلفان يرهقنا ويقلقنا، ويقوم بأمور لا ترضينا، ونضطر للإنشغال به أكثر مما ينشغل هو بنا ، فرب ضارة نافعة، والخيرة في ما إختاره الله، ونحن إختارنا كده، حتى لا نترك الأولاد في سن الرعاية من أجل

العمل والفن، ولهذا نحمد الله .

ويقول صاحب الذكريات ..

مع أن «سناء جميل» لم تكن تـذهب كثيـراً إلى الكنيسـة، إلا إنهـا كانـت تصـلي وترشم الصليب في المساء قبل خلودها إلى النوم، وكانـت كثيـراً مـا تتمـتم بشـيء غريب في سرها، أحياناً بالفرنساوي، وأحياناً بالعربي .

وذات يوم سألها لويس : بتقولي إيه يا «سناء» ؟ .

سناء جميل : بقول يارب إجعل يومي قبل يومه .

لويس : وليه كده يا «سناء» ؟ .

سناء جميل : أنا عاوزه يومي قبـل يومـك لأنـك هتعـرف تتصـرف، وسـتقيم لي جنازة محترمة، ولكن أنا سأنهار ولا أعرف أعمـل أي شـيء، ولهـذا أدعـو الله أن يجعل يومي قبل يومك .

ويقول : بالفعل وقد كان ، ولم يمكن له أن يتخيل من أين جاء هـؤلاء البشـر إلى جنازة «سناء جميل» ؟ ..

ولكن ما فعله «لويس» بعد وفاة «سناء جميل»، وقبل دفنها أن أعلن خبـر الوفـاة في الجرائد العربية والإنجليزية والفرنسية، وأجل دفنها ٣ أيام بهدف أن يـأتي أحـد من أقاربها سواء كان اخيها او إبن إخيها أو أحد من اقاربها، يحق له الميراث لأنهـا لم تنجب، ولكن لم يحضر أحد، فقرر دفنها في مدافن عائلته الأقبـاط الأرثـوذوكس بمدينة نصر، يوم الثلاثاء الموافق ٢٢ ديسمبر ٢٠٠١ .

ومنذ ذلك التاريخ ويعتبر «لويس جريس» زوجته «سـناء جميـل» لم تتـوفى، بـل يعتبر انها مسافرة كما كانت تفعل كثيـراً لتصـوير أعمالهـا الفنيـة مـن مسلسـلات وأفلام ، ويعزي نفسه بصورها التي يضعها أمامه في كل أركان المنزل .

حوار على هامش الذكريات...




تحدث عن نفسك في سطور؟

* «لويس جريس» حاول أن يكون أديباً ولم يستمر، وحاول أن يكون صحفياً ولم يحقق ما كان يتمنى تحقيقه من سبق صحفي ، وحاول أن يكون مبدعاً، ولم يقدم إبداعاته بشكل واضح وصريح، ولكنه في معظم المواقف كان مفسحاً الطريق أمام زملائه لكي يبدعوا وينشر لهم أعمالهم بمنتهى الأريحية والحب.

**** عملت في «روزاليوسف» سنوات عديدة ولماذا لم يتم إختيارك لرئاسة مجلس الإدارة ؟**

* أذكر أن «عبد الرحمن الشرقاوي» ظل يرشحني مرات عديدة لرئاسة مجلس إدارة «روزاليوسف» وفي كل مرة كان النظام يرفض، ويمكن لا أحد كان يعرف سبب الرفض، لكني كنت أعرف أن «موسى صبري» كان رئيس مجلس إدارة ورئيس تحرير الأخبار، وعندما أعين أنا رئيس مجلس إدارة «روزاليوسف» ورئيس تحرير «صباح الخير» سيكون في مصر (٢) مسيحيين يتوليان مؤسسات

صحفية، وكان يمكن للنظام أن يتغنى بهذا، ولكنهم كانوا يستكفون بوزيرين مسيحيين، ولم يكونوا يريدون في كل مكان في الدولة (٢) مسيحيين، لأن «الشرقاوي» كان يلح والنظام يرفض إصدار القرار، وبعد «موسى صبري» عين «سعيد سنبل» مكانه في الأخبار، وظل «سنبل» المسيحي الأوحد كرئيس مجلس إدارة مؤسسة صحفية، ولم يكن أحد يعرف حقيقة عدم الموافقة على إختياري كرئيس مجلس إدارة «روزاليوسف»، حتى لا تكون عرف في الدولة.

**** من هم أساتذتك في الصحافة ؟**

* «أحمد بهاء الدين» الذي تعلمت منه كيفية إعداد السؤال الصحفي في الحوار، وكتابة ما قل ودل أي المختصر المفيد وعدم الإطالة في الكتابة، وايضا ماذا يشغل الناس، وان يكون الصحفي على وعي وإدراك بما يقوله الشارع، وماذا يهم القارئ، وتأثرت بـ«إحسان عبد القدوس» في الجملة الرشيقة، وفي كيفية إختيار الكلمة التي تحمل المعنى الذي يريد إيصاله إلى القارئ، وهذا مهم جداً لأن مفردات اللغة العربية كثيرة، والكلمة الواحدة لها أكثر من معنى، وعلى الكاتب أن يختار الكلمة التي تحمل المعنى الدقيق ليفهمه القارئ .. و تعلمت من «عبد الرحمن الشرقاوي» إتخاذ المواقف الإيجابية الواضحة في جميع القضايا، و«فتحي غانم» تعلمت منه كتابة التحقيق في شكل قصة قصيرة وان يكون قريب من الشكل الأدبي.

**** من هم تلامذتك في الوسط الصحفي ؟**

* كثيرون وإن كانوا لا يعترفون بهذا، ولكني أرى «مفيد فوزي» و «رؤوف توفيق» هما أكثر إثنين أثرت فيهم وتألقا في المجال الصحفي، وإن كانا يقولان أن أستاذهم «أحمد بهاء الدين» مع انهما لم يعملا معه وعملا معي انا (١١) سنة، قبل أن يصبحا رؤساء تحرير، ولكنهم يعتبرانني زميلاً لهما رغم انني سبقتهم في رئاسة التحرير وفي العمل الصحفي، وهما حصلا على فرصتهما في وجودي كرئيس

تحرير، وانا الذي أعطيتهم فرصة النشر، وأيضاً يوجد «كريمة كمال» و«إقبال بركة» و« صالح مرسي» و«صبري موسى» و «عبد الله الطوخي» وكل هؤلاء من وجهة نظري تلامذتي وإن لم يعترفوا بهذا .

**** ومن أقربهم إلى قلبك ؟**

* جميعهم ولكن «مفيد» يأتي في المقدمة، لأنه أشطرهم، وعندما كنت أطلب منه موضوعاً كان ينتهي منه على وجه السرعة، وكان يأتي إلى مكتبي ويستدرجني ليعرف ما هو الموضوع الأول الذي سينشر في المجلة، فأقول : الأستاذ «فتحي غانم» قال أن «رؤوف توفيق» لديه موضوع جيد وأخبره عنه، ولهذا سيكون الموضوع الأول، فيغيب «مفيد» يوم ويأتي بموضوع ويعطيه لـ«فتحي غانم» الذي يقول يا «لويس» رحل موضوع «رؤوف توفيق» للداخل وضع مكانه موضوع «مفيد فوزي» لأنه سيكون الموضوع الرئيسي للمجلة.

**** من كان لديه بعد إنساني كبير ؟**

* «رؤوف توفيق» كان لديه هذا البعد الإنساني.

**** ومن كان الأكثر مكراً ؟**

* «مفيد فوزي» كان الأكثر مكراً .

**** هل غدر بك أحد من تلامذتك ؟**

* لا .. لم يغدر بي أحد منهم، ولكنهم لم يعترفوا بي أستاذا لهم، وأذكر أن «صبري موسى» كان يشرف على باب القلوب الوحيدة مع «زينب صادق» وذات يوم تم التغيير في بعض ما كتبه، فغضب «صبري موسى» وقال: هذا الباب لن ينشر بعد اليوم، و حصل على (٤) صفحات أصول الأفيش وغادر «روزاليوسف» وكان غضبان، فذهبت إلى «عدلي فهيم» في المقهى، حيث كان «كامل زهيري» رفده،

وعين بدلاً منه زميلنا «طه حسين»، وسهرنا طوال الليل نجهز الأفيش من أول وجديد.

**** من هم ابناء جيلك من الصحفيين ؟**

* «محمد عبد الجواد» رئيس مجلس إدارة وكالة أنباء الشرق الأوسط، و«محمود السعدني» و«مصطفى شردي» مؤسس جريدة «الوفد» و«عباس الطرابيلي» رئيس تحرير «الوفد» و«صلاح منتصر» و«محسن محمد» رئيس مجلس إدارة الجمهورية و«إسماعيل النقيب» وكان صديقي وأيضاً «جمال الغيطاني» و«مفيد فوزي» و«صالح مرسي» و«صبري موسى» و«عبد الله الوخي» مع انهم من الجيل التالي لي .

**** كيف كان حجم بنط اسم لويس جريس؟**

* بنفس بنط زملائي .

**** هل تم عمل حفل تسليم وتسلم لرئاسة التحرير بعد خروجك من «صباح الخير» إلى المعاش بالقواعد التي كان أرساها «عبد الرحمن الشرقاوي» ؟**

* يضحك كثيراً وعالياً.. ويقول لا لم يحدث، لأنني أخبرت بتعيين «مفيد فوزي» بدلاً مني وكنت في رحلة صحفية مع الرئيس «مبارك» إلى ألمانيا، وحينها تحدثت مع «مفيد» وكان في سفر إلى السعودية، وهذا التغيير تم مع جميع رؤساء تحرير الصحف، وعين «سمير رجب» بدلاً من «محسن محمد»، وجميع من صدر ضدهم قرار التغيير غادروا ألمانيا ورحلوا إلى مصر، ولكنني لم أغادر، والرئيس بدأ يكشر في وجهي حتى لا يظهر اننا لسه حبايب، أو أن «مفيد» قادم رغماً عنه، ولذلك قلت له: يا فندم انا إتصلت بـ«مفيد فوزي» وهنأته ولكنه في السعودية وقال لي: يا أستاذ «لويس» إستمر في تغطية رحلة سيادتك، حتى أعود، فصمت «مبارك» ولم يرد.

**** وماذا عن أول لقاء بينك وبين «مفيد فوزي» بعد وصولك إلى القاهرة؟**

* تم بالفعل حفل تسليم وتسلم، وحينها قلت للزملاء: سأقوم واجلس مع المحررين، والأستاذ «مفيد» سيجلس مكان رئيس التحرير، وأنا من اليوم محرر في مجلة «صباح الخير» وأكتب فيها حتى اليوم.

**** ما هى أشهر الروايات التي قمت بترجمتها ؟**

* رواية «حب ومال» لـ«إيرس كينكارتوال»، وكان كتاب بنفس العنوان ونشرت مسلسل في «صباح الخير»، ورواية «الثمن» لـ«أرثر ميلر»، ورواية «الوزير والحب».

**** ما الذي لم تحققه خلال مشوارك الصحفي؟**

* كنت أتمنى أن اجمع كل ما كتبته من كتابات في «صباح الخير» و«روزاليوسف» و«المصور» و«الأثنين والدنيا و«الكواكب» من موضوعات أو إفتتاحيات أو قصص قصيرة أو قصص ترجمتها في كتاب بعنوان (هذا ما كتبه لويس جريس).

**** من هم الذين تأثرت بهم ؟**

* «وديع فلسطين» و«رزق جرجس» اساتذتي في الجامعة المريكية، و«أحمد بهاء الدين» و«إحسان عبد القدوس» وكان لهما أثر كبير في حياتي، وأيضاً السيدة «امينة السعيد» رئيسة مجلس إدارة دار الهلال، والدكتورة «سهير القلماوي» التي رأست الهيئة العامة للكتاب وتلميذة الدكتور «طه حسين» .

**** ومن من خارج الوسط الصحفي؟**

* الشيخ «أحمد حسن الباقوري» وزير الأوقاف الأسبق كان قريباً مني، حيث كان من بلدة «باقور» القريبة من «ابو تيج» التي نشأت فيها، ويضحك ثم يكمل: ذات يوم جاءني خبر يقول: أن «الشيخ الباقوري» وزير الأوقاف على علاقة بفتاة

صغيرة ويعلمها القيادة في سيارته، وانا لم أنشر الخبر وإتصلت به على الفور، لإستفسر منه عن حقيقة الخبر، فضحك كثيراً وأكد الخبر، ولكنه أكد أن هذه الفتاة هى إبنة شقيقته، وأيضاً «يوسف السباعي»، والدكتور «هاني محمود فهمي النقراشي» ابن «النقراشي باشا» .

**** من أهم من حدثك معترضاً على نشر شيئ يرفضه ؟**

* أذكر أن «عبد الوهاب» كلمني في التليفون وعاتبني على نشر خبر في «صباح الخير» قال أن «أحمد عدوية» وزع مليون نسخة من شريط الكاسيت الجديد، وقال «عبد الوهاب» معقول يا أستاذ «لويس» البوم «عدويه» يوزع مليون؟ طب قول ١٠٠ ألف أو ١٥٠ ألف، فقلت له الخبر جاء الينا هكذا يا أستاذ «عبد الوهاب»، فقال : الصحافة تهول وإعقلها يا أستاذ «لويس» لما «عدوية» يبيع مليون شريط، «عبد الحليم» يبيع كام؟ فقلت «عبد الحليم» يبيع أكثر، وكان «عبد الوهاب» يتمتع بخفة دم عالية وانهى المكالمة بذكاء وخفة دم.

**** ما هى أهم الحوارات التي أجريتها ومن هى شخصياتها ؟**

* أهم الحوارات التي أجريتها كانت مع «مكاريوس» رئيس جمهورية قبرص، وكنت معجباً به لأنه كان راهباً، وفي ذات الوقت متمرداً وقاد ثورة، وهذا على غير طبيعة القساوسة، وأيضا اجريت حواراً مع الرئيس اليوناني « اندرياس باباندريو»، وكان أستاذ للعلوم السياسية في جامعة «سان فرانسيسكو»، وإلتقيت به في اليونان، وأيضاً اجريت حواراً مع «موزينديس» وكان رئيس المسرح القومي باليونان، وفي قامة ومكانة «يوسف وهبي» لدينا، وقاد المسرح اليوناني وأدخل فيه ما كان يريد أن يفعله «يوسف وهبي» في المسرح المصري.

**** هل يوجد قضية ما شغلتك وحاولت أن تروج لها من خلال كتاباتك ؟**

* بالفعل.. ومن ضمن الأمور التي كنت أسعى إلى ترويجها في الصحافة، انه إبتداءً من الإسبوع الأول من شهر ديسمبر، وحتى الإسبوع الأول من شهر يناير

من كل عام، تقام في جميع الكنائس تراتيل وأناشيد تحيي ذكرى العذراء «مريم» ويتحدث فيها الكثيريين عن مناقب هذه البتول التي حملت من غير رجل وحلت عليها الروح القدس وولدت السيد «المسيح»، وانا في عام ٦٨، و١٩٦٩، كتبت في «صباح الخير» وقلت طالما يوجد إجماع من المسيحيين والمسلمين حول شخصية السيدة «مريم» فلماذا لا تحتفل مصر بشكل واضح وصريح بالسيدة العذراء، خاصة انها نقطة تلاقي بين المسلمين والمسيحيين ولا خلاف عليها، والجميع يؤمن بان الله إصطفاها وفضلها على نساء العالمين، فلماذا لا يتحد المسلم والمسيحي على منبر المسجد، وعلى باب الهيكل في الكنيسة لكي يتحدثوا عن «مريم»؟ والقرأن يقول: «فنفخنا فيها من روحنا فتمثل لها بشراً سوياً».. والإنجيل يقول: «وبشرها الملاك ميخائيل إنك ستحبلين وتلدين طفلاً إسمه اليسوع» في إنجيل «متى» وإنجيل «لوقا»، ولكن للأسف قيل لي عبر الأنبا «مكاري» لا تقترب من كتابة مثل هذه الأمور.

**** هل شعرت بلحظات ضعف إنساني ؟**

* هذه اللحظات شعرت بها في المدرسة الإبتدائية، عندما كان كل تلميذ يقف ويتحدث عن والده، فمنهم من كان يقول أبيه وكيل البوستة، وغيره يقول والده ضابط، أو طبيب، أما انا كنت اقول والدي ميت، وكنت أشعر أنني ضعيف وبدون سند من أبويا، وأيضاً في حصة الدين قالوا: الإخوة المسيحيين يتفضلوا يخرجوا خارج الفصل، ولكني لم أخرج، فقال الأستاذ: أخرج يا «لويس» لأنك مسيحي، وفي هذه اللحظة شعرت أني مختلف، وكنا نخرج في الشمس، ولكني بعد ما كبرت لم أشعر بهذه اللحظات على الإطلاق.

**** وهل شعرت بلحظات القوة؟**

* لم أشعر بهذه اللحظات نهائياً، ودائماً كنت أقدم الناس عليَّ وخاصة زملائي، مثلاً كنت أكون حاجز لنفسي صفحتين سأكتبهم أو موضوع (٤) صفحات ثم

يأتي «مفيد فوزي» أو «رؤوف توفيق» أو «زينب صادق» أو «نهاد جهاد» أو «عبد الله الطوخي» أو «صبري موسى» ومعه موضوع فكنت أجور على نفسي وأعطيهم هذه الصفحات، إلى الدرجة التي أصبح مثلاً «مفيد فوزي» أشهر مني مع اني رئيسه وأستاذه، إلا أن إسمه كان يكتب كل إسبوع، وأنا كل حين على ما انشر موضوع، وأذكر ذات مرة أحد الشخصيات سأل «مفيد» عني قائلاً: مين اللي معاك؟ فقال : «لويس جريس» مدير التحرير .. فقال : أنا لم أسمع عنه من قبل !!، لأني لم أكن من النوعية التي تزاحم أو تفاخر .

**** موقف مؤلم لم تنساه من ذاكرتك؟**

* بالطبع يوم تأميم الصحافة شعرت بألم ووجع «إحسان عبد القدوس»، عندما نُزعت منه مؤسسة «روزاليوسف»، فقد كان موقف مؤلم ومحزن، وأحزنني كثيراً، لأنني وضعت نفسي مكانه لو أن هذه المؤسسة ملكي ونزعت مني فما هو كان موقفي ؟

**** هل انت راضي عن مشوارك الصحفي؟**

* راضي عنه جداً، لسبب بسيط وهو انني ظللت في «صباح الخير» منذ إنشاءها وقبل صدورها، وختى هذه اللحظة، وأعتبر انني أحد المؤسسين لها والحارس على إزدهارها في كثير من الأحيان .

**** ما الذي كنت تحلم به وتريد تحقيقه في «صباح الخير»؟**

* كان لدى حلم وانا أدرس وأعمل في أمريكا، لأن المجلات الأمريكية التي تشبه «روزاليوسف» مثل «التاييم» و«النيوزويك» كانوا يوزعون (٦) مليون نسخة، وكنت دائماً أحلم أن «روزاليوسف» و«صباح الخير» توزعان بالملايين.

**** هل كرمتك الدولة ؟**

* مع خروجي إلى المعاش منحت وسام الإستحقاق من الرئيس «مبارك».

**** موقف إنساني تأثرت به كثيراً ؟**

* أذكر موقف زميلتي «هدى زكريا» المحررة الدبلوماسية في جريدة الأخبار، وكانت إنسانة ذكية ومن الصحفيات اللاتي برعن في ذلك الجيل بالحس الخبري، وكانت تأتي إلينا في «روزاليوسف» وتعطي أخبار إلى «إحسان عبد القدوس» و «أحمد بهاء الدين»، وكانت متزوجة من «حمدي فؤاد» وكان اسمه الحقيقي «سيزوستريس سيداروس» وكان المحرر الدبلوماسي في الأهرام، ولكن «هدى» كانت أكفأ منه حيث كانت تنفرد بالأخبار الدبلوماسية، ونظراً للمنافسة الشديدة بين الأهرام والأخبار، وحرصاً على زوجها وعدم منافسته، طلبت نقلها إلى جريدة الجمهورية التي لم تكن تنافس الأهرام التي يعمل بها زوجها .

**** من الذي يعجبك من الفنانين ؟**

* أعجبت بـ«يوسف وهبي» في مقدمة فنانين هذا العصر، وكنت أحرص على مشاهدته في ستوديو مصر، وأيضاً «زوزو ماضي» و«ميمي شكيب» و«سراج منير» و«فريد شوقي» و«محمود المليجي» و«هند رستم» و«عمر الشريف» و«فاتن حمامة»، والجيل الذي يليهم، مثل « سميحة أيوب» و«سناء جميل» و«محمود ياسين» و«حسين فهمي» و«سعاد حسني» وكانت صديقة عزيزة لي وعندما كانت تأتي لـ«إحسان عبد القدوس» كان يقول لها إنتظريني في مكتب «لويس جريس».

**** ومن هم الكُتاب السياسيين الذين أعجبت بهم ؟**

* «هيكل» في مقالة «بصراحة» و«أحمد بهاء الدين» في مقاله «هذه الدنيا» والذي كنت أميل له أكثر من «هيكل».

**** وماذا عن الروائيين ؟**

* دائما كنت أتابع «يحيى حقي» و«نجيب محفوظ» و «إحسان عبد القدوس» و «يوسف السباعي» و «توفيق الحكيم» حيث كنت أهتم بمسرح المجتمع لديه،

حيث جمعت مقالاته في أخبار اليوم ووضعت في كتاب باسم «مسرح المجتمع، وأذكر انني مثلت احد الأدوار من مسرحية «أريد هذا الرجل» لـ«توفيق الحكيم» على خشبة المسرح في قاعة «إيوارت» التذكارية عندما كنت طالب في الجامعة الأمريكية، وحضر الرئيس «عبد الناصر» عرض هذه المسرحية، وبعد أن صعد «عبد الناصر» وسلم علينا فوق خشبة المسرح، قالت لي زميلتي «آن هارت» إبنة المستشار الثقافي في القاهرة،: جريس جريس هل معك منديل؟

فقلت لها: اه معايا..

فقالت: من فضلك هاتوا.. وأعطيته لها فقامت بلف يديها به طوال اليوم وقالت لي هذه اليد سلمت على أقوى رجل في مصر مستر «عبد الناصر».

**** هل تعرضت للرفد أو تم منعك عن الكتابة ؟**

* لا .. ولكن «كمال الدين حسين» عضو مجلس قيادة الثورة، أراد يرفدني بعد تأميم الصحافة، ولكن «إحسان عبد القدوس» دافع عني وحماني لأني نشرت قصة بعد ما بدأ «إحسان» يتكاسل عن كتابة حكاياته في «روزاليوسف»، وطلب مني أن أتصرف في هذا الأمر، وكنت أحاول أن أترجم قصصاً تكون قريبة من حكايات «إحسان»، وأسفل الصفحة أكتب ببنط (٩) عن قصة للكاتب (فلان) الإنجليزي أو الأمريكي أو الأسترالي، وفي بعض الأحيان كنت أكتب أنا القصة، وعندما قرأ «كمال الدين حسين» إحدى القصص إعتبرها خارجة.. وقال لـ«إحسان» : البنت اللي إسمها «لويس جريس» شوف لك طريقة معها ومشيها، فقال «إحسان»: «لويس» رجل ومش بنت وهو مجتهد ودارس في أمريكا، ومعه ماجستير في الصحافة، وليه عاوز تمشيه؟.

فقال له: قرأت له قصة وكانت خليعة.

ورد إحسان: لا.. بس هى كانت محاولة لسد الفراغ في الصفحة، ولكني سألفت نظره، ولن يكررها مرة ثانية، ومرت الأزمة على خير.

**** وهل تكرر هذا الموقف بعد عصر عبد الناصر ؟**

* نعم.. تكرر هذا الموقف مع الدكتور «فؤاد محي الدين» رئيس الوزراء الراحل الذي قال ذات مرة وكنا في قصر رأس التين مع «مبارك» : ياريس «لويس جريس» أهوه.

ورد عليه «مبارك» إيه مالوا «لويس»؟

فقال فؤاد: حول «صباح الخير» إلى منشورات للشيوعيين..

فنظر إلى «مبارك» وقال: إسمع يا «لويس» خد بالك انت ما تستحملشي غالوة.

فقلت له: ولا نص غالوة يا ريس.

فقال مبارك: أيوه خد بالك وفتح عينيك على كل ما ينشر لأنك المسؤول قصادي..

فقلت له حاضر يا ريس وتحت أمرك.. وذهب «لويس» إلى الدكتور «فؤاد» وقال له : يا دولة رئيس الوزراء هل عملت حاجة؟ فرد عليَّ وقال: إتلم يا «لويس» ومشى .. ويقول «لويس» حاولت أن أمشي ورائه لأعرف لماذا هو غضبان مني، ولكني لم استطيع أن أفهم شيئاً، لأنه كرر قائلاً: إتلم يا «لويس»، إتلم يا «لويس»، وتركني ومشى .

**** مشهد عبثي لم تنساه من ذاكرتك طوال هذه السنوات؟**

* هو بالفعل مشهد أقرب إلى العبثي، عندما تشكلت لجنة العشرين في عصر «عبد الناصر»، وكان فيه تكوينات إشتراكية وغيرها وتحاول أن تجمع الكل في بوتقة واحدة لتصهرهم، ليكونوا أعضاء في الإتحاد الإشتراكي، ذلك التنظيم السياسي الوحيد في تلك الفترة، وكنا جميعاً إشتراكيين ولكن بدرجات متفاوتة، وكنت أحتار وأقول ما هى الإشتراكية؟، وكيف يمكن أن تكون هناك إشتراكية

ونحن لازلنا في لجان مختلفة ومختلطة؟ ولا يوجد فاصل يفصل بين الإشتراكي وغير الإشتراكي، وكان الأعضاء يتحدثون عن الإشتراكية كطلاسم غير مفهومة، أو متحققة على أرض الواقع، وأنا كنت عضو في لجنة العشرين ومعي «عبد الله الطوخي» و« صالح مرسي» و«صبري موسى» وكانوا يتخذون موقفاً رافضاً لوجودي، على إعتبار انني أمريكاني، وهذا كان مشهد عبثي لأن ما الذي كان يميزهم عني كإشتراكي، بل قد أكون انا في سلوكي ومواقفي أكثر إشتراكية منهم، وكانت الأمور ليست بالهينة او البسيطة التي يمكن أن تستمر في هدوء، وكنا دائماً نردد شعار «حرية، إشتراكية، مسؤلية» ولكننا لم نكن نفهم معناها.. وكانت اللجان تجتمع وتتحدث عن الإشتراكية وهى لا تفهم شيئاً فيها، ولجان أخرى تتحدث عن الرأسمالية دون أن تفهم ماذا تعني الرأسمالية، وكانت اللجان تضم مديرو المؤسسات الصحفية الذين من المفترض انهم ضد الإشتراكية، والمحررين الذين من المفترض أن يروجوا للإشتراكية، وكنا نتساءل مندهشين كيف تضم اللجان الرأسماليين مع الإشتراكيين؟ ولكن هكذا كان سمة عصر «عبد الناصر».

**** لماذا لم تحصل على السيارة المرسيدس من صدام حسين؟**

* يضحك .. ثم يقول لأني نمت، وصحوت متأخراً عن طائرة الرئيس «مبارك»، وعلى ما وصلت المطار كانت الطائرة أقلعت، ولكن الوحيد الذي إحتفظ بالسيارة المرسيدس ٥٠٠ هو الدكتور «عاطف صدقي» رئيس الوزراء حينها، وقال لـ«مبارك»: ياريس بعد إذنك أنا ما عنديش عربية وسوف أدفع جمرك السيارة واحتفظ بها، ووافق «مبارك» له فقط ، لأنه قال تسحب جميع السيارات المرسيدس بالكامل وتضم إلى اسطول سيارات رئاسة الجمهورية.

**** كيف ترى وضع الأغلبية المسلمة في مصر ؟**

أنا كـ«لويس جريس» المسيحي أتفهم وضع الأغلبية في مصر وأعرف انه لا يقلل مني ولا يضيف الىّ، ولا يجعلني اقل شأناً من الأخرين، بل بالعكس أشعر

بنفسي كقبطي تمتد جذوري إلى أقباط مصر القدامى الذين ظلوا على دينهم لأن أجدادي دفعوا الجزية، وإخوانهم المسلمين هم أقاربي ولكنهم دخلوا في الإسلام، ولكن أهلي إستطاعوا أن ينفذوا من الباب الضيق للحكام والذي لم يستطيع أن ينفذ منه إخوانهم الذين دخلوا في الإسلام، وهذا ما جعلني أتفهم وضع الأغلبية وأحترمها، كما أنهم يحترمون وجودي بين الأقلية، مع أن المسيحيين في مصر لا يشعرون بأنهم أقلية أو ينقصهم شيئ بما يجعلهم كاملي الأهلية المصرية، وأنا أشعر بمصريتي كاملة دون نقصان، وأعرف أن المسلم والمسيحي يكملان بعضهما.

**** كيف ترى التعايش المصري بين المسلمين والمسيحيين ؟**

* لا أريد أن أقول أن المسلم والمسيحي في مصر يختلفان عن غيرهما في أي دولة في العالم، لأنهما في مصر نسيج واحد وشبه واحد، ولا يستطيع احد أن يفرق بينهما في الشكل أو اللبس أو طريقة المعيشة، كما قال اللورد «كرومر»: هذا يدخل الجامع وذاك يدخل الكنيسة، إلى أن قامت ثورة ٣٢ يوليو ١٩٥٢، وبدأت الثورة تنظر إلى بعض الأمور بنظرة ضيقة، وبدأو بتعين وزيرين مسيحيين، بل كانوا أوشكوا أن يجعلوا في الوزارة وزير مسيحي فقط، ولكنهم قالوا لا يصح لأن مصر إعتادت على أن يكون في وزارتها (٢) من المسيحيين.. ومع هذا وضع المسلم والمسيحي في مصر هو وضع فريد في العالم كله، فلا يوجد مسلم مثل المسلم المصري، وكذلك لا يوجد مسيحي مثل المسيحي المصري، لأنهما يختلفان عن غيرهما في جميع أنحاء العالم، لأن المسيحي المصري هو الذي صدر المسيحية إلى العالم، والمسلم المصري هو الذي صدر علم الإسلام إلى العالم، والإسلام الوسطي المعتدل العاقل يتمثل في المسلم المصري، لأنه متعايش ومنفتح ومتسامح يتقبل الأخر أسرع من غيره ويتفهمه ويتفهم طبيعته، والمسلم الأخر تجده منغلق ومن السهل تزمته وتطرفه .. والمسلم المصري يعتبر أن سيدنا

«عيسى» مولود نبي، ويحترمه ويقدسه مثل غيره من الأنبياء، ومن السهل أن تجد المسلم المصري يقول: «موسى» نبي، و«عيسى» نبي و«محمد» نبي وكل من له نبي يصلي عليه.

**** ولماذا لم تقول يسوع وقلت سيدنا عيسى ؟**

* لأن اسمه في القرآن «عيسى» وانا هنا أخاطب جمهور المسلمين، ولهذا لم أقول «يسوع المسيح» .

**** ولكن ربما هذا يغضب منك المسيحيين ؟**

* نعم.. ومن لن يفهمني منهم قد يقول عني «لويس جريس» مسيحي منحرف، مع انه لا يحق لأحد أن يدعي أن إيمانه هو الأقوى والأفضل، فيقول هذا مسلم إيمانه قوي أو ذاك مسيحي إيمانه قوي، لأنه لا يعرف حقيقة هذا إلا الله، ويوجد حديث نبوي يقول: لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى.

**** ما الذي يميز المسيحيون المصريون حتى لا أغضبهم منك ؟**

* فيضحك عالياً .. الذي يميز المسيحي المصري هو انه يتعايش ويتعاون مع جاره المسلم بإحترام عقيدته وإيمانه دون تقليل أو تسفيه، والمسلم يتعامل من منطلق القاعدة القرأنية لكم دينكم ولي دين، والمسيحي يتعامل من منطلق لكم إيمانكم ولي إيماني، وكل واحد بما يؤمن به عليم، ثم أن مشاكل الحياة وهمومها وصعوبتها وظروفها القاسية والتي يعاني منها المصريون على مر العصور، وإعتيادهم على جور الحاكم، أصبح ينطبق عليهم المثل القائل: لا تعايرني ولا أعايرك دا الهم طايلني وطايلك، ولكن الجميع في مصر يعرف أن القبطية ليست ديانة ولكنها جنسية سكان مصر.

**** فلتعطيني مثالاً قوياً عن هذا التقارب بين المسلم والمسيحي في مصر ؟**

* يضحك عالياً.. ويقول الأمثلة كثيرة يا «ممدوح» مثلاً بيوت المسلمين

والمسيحيين في صعيد مصر متلاصقة، والسيدات يتعاملن في ما بينهم بمنتهى الأخوة والمحبة لدرجة إننا كنا نسمع في الصعيد بعض السيدات وهن يضحكن ويقولن: هذه البنت (وتكون مسيحية) لا تجوز لهذا الولد (ويكون مسلم)، لأنهم أصبحوا إخوة في الرضاعة، لأنه عندما كانت تنشغل إحداهن في أي من الأعمال سواء في البيت أو الغيط،، فكانت تترك إبنها أو إبنتها الرضع لدى جارتها المسلمة أو المسيحية إذا كان لديها وليداً أخر، حتى تنتهي من عملها، وبالطبع كان هذا الوليد يبكي إحتياجاً للرضاعة، فما كان من السيدة المصرية مسلمة أو مسيحية إلا أن تقوم برضاعته حتى يهدأ وينتهي بكائه، ومن ظهرت مقولة فلان المسلم لا يجوز لفلانه المسيحية.

**** كيف حاز البابا تواضروس« على قبول المصريين خاصة انه جاء بعد البابا «شنودة» والذي كان شخصية وطنية إحترمها المصريون؟**

* البابا «تواضروس» قدم أوراق إعتماده للمصريين جميعاً بعد أحداث ٣٠ يونيه، وبعد الإرهاب الذي وقع من جماعة الإخوان ومؤيديها، وإحراقهم للكنائس، فمنع المسيحيين من التصدي لهم وهم يحرقون كنائسهم، وقال جملته الشهيرة: وطن بلا كنائس أفضل من كنائس بلا وطن.. لأن الكنائس يمكن تعويضها أما إذا أحترقت الأوطان فماذا سنفعل، وأين نعيش؟، ومن هنا ظهرت شخصية البابا «تواضروس»، الذي كان يضع في الإعتبار الكنائس التي أغلقت في ليبيا، والحرب الأهلية الدائرة هناك، ولكن في مصر فوت الفرصة على الجماعات الإرهابية حتى لا تشعل حرب أهلية، او تعطى للخارج الزريعة بالتدخل في شؤون مصر بحجة حماية الأقليات، وأصبحت مقولته شهيرة ويرددها المصريين.

**** وكيف ترى ثورة ٣٠ يونية ؟**

* ثورة ٣٠ يونية قامت على تجار الدين، والحكم الفاشي الذي كان يريد أن يغتنم الفرصة، أكثر منها التمسك بنهضة دولة، لكن إخوان الخارج كانوا أسبق من

الدولة المصرية في طرح رؤية مغايرة للحقيقة من خلال علاقتهم بدول الخارج، لكن مع مرور الوقت إعترف العالم بالنظام المصري الجديد الذي إختارته ثورة ٣٠ يونية، و«أوباما» كان يريد أن يسيطر على الجماعات الإسلامية في العالم عن طريق السيطرة على جماعة الإخوان في مصر،لكي ينفذون ما تريده أمريكا، وهو في صالح إسرائيل وليس في صالح الشعب المصري .

**** لماذا لم نسمع عن أقباط المهجر بعد ٣٠ يونية ؟**

* لأنه لا يوجد من يخرجهم، وهم عرفوا الخطر الحقيقي من جماعة الإخوان، فوقفوا جانب ٣٠ يونية، وايدوا الدولة، وساندوا «السيسي» بعد إزاحة كابوس الإخوان، ثم خطى «السيسي» خطوات هامة جداً مع المسيحيين خاصة بعد ما ذهب إلى الكنيسة وهنأهم بعيدهم وأيضاً عزاهم في قتل المسيحيين الذين قتلهم تنظيم داعش في ليبيا، بعد أن وجه ضربة جوية إلى مواقع داعش في ليبيا وهذا أسعد المسيحيين والمسلمين في مصر .

**** كيف تم إختيارك عضوا في اللجنة العليا للإنتخابات في عهد مبارك ؟**

* اعتقد انهم كانوا محتاجين واحد مسيحي، وكنت من ابرز المسيحيين الموجودين فتم إختياري، وكنا نطلق على رئيس اللجنة وصف أمير القضاة، والأعضاء أفراد بحكم مناصبهم مثل رئيسا محكمة النقض والإستئناف ومعظم الأعضاء كانوا من القضاة، وكان معنا رئيس أحد البنوك، وكانت اللجنة في إنعقاد دائم لفض المنازعات ومواجهة كل ما يحدث من أزمات في حينها، وكنا نعرف وجود تزوير في الإنتخابات ونحقق في الشكاوى ونكتب التقارير بنتيجة التحقيق ونحيلها إلى لجنة لتقوم بالتحقيق فيها.

ملف صور



لويس جريس يحكي لممدوح دسوقي



مع ممدوح دسوقي



لويس وسناء



لويس وسناء



حوار صامت



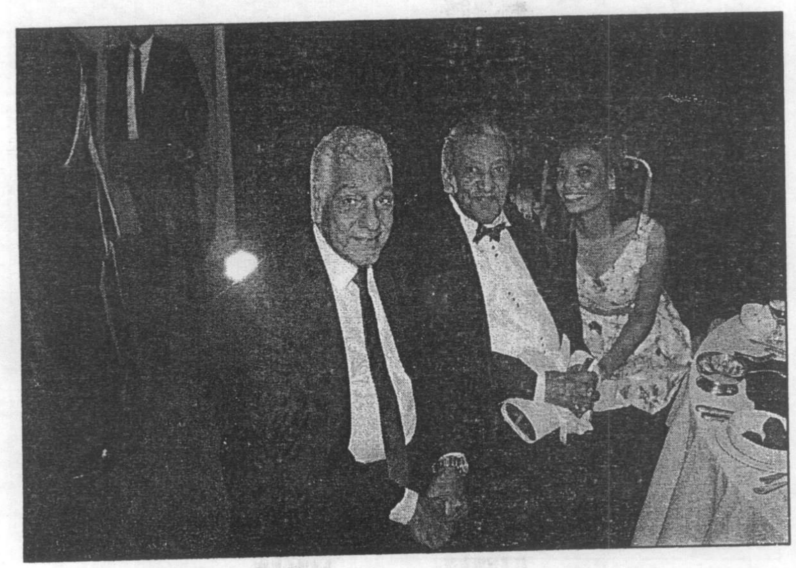
لويس وسناء



ذكريات الزمن الجميل



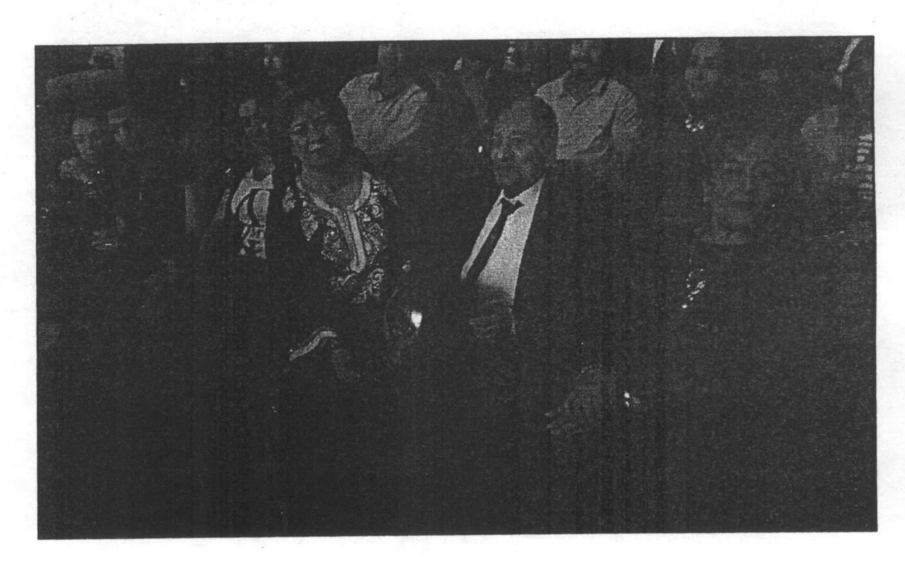
لحظة صفاء



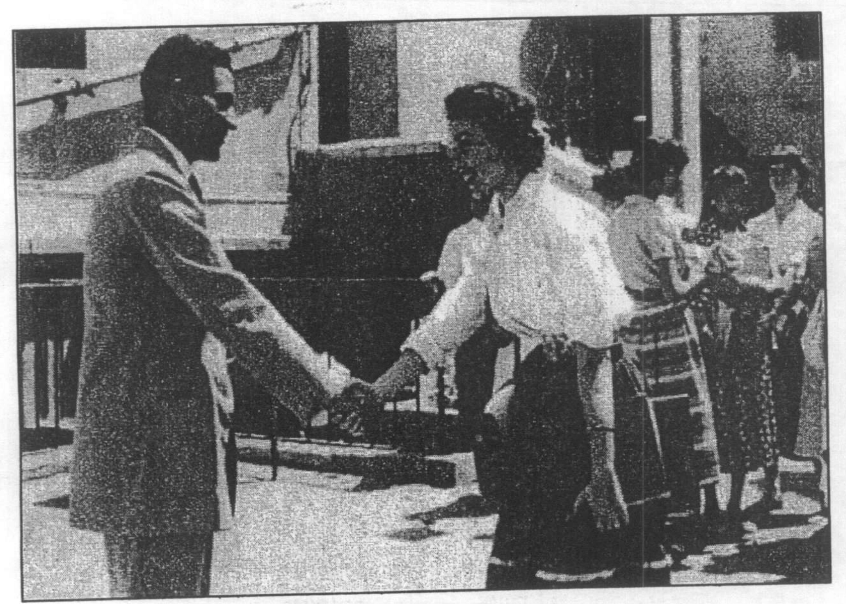
مع أحمد عبد الوارث



عيد ميلاد لويس



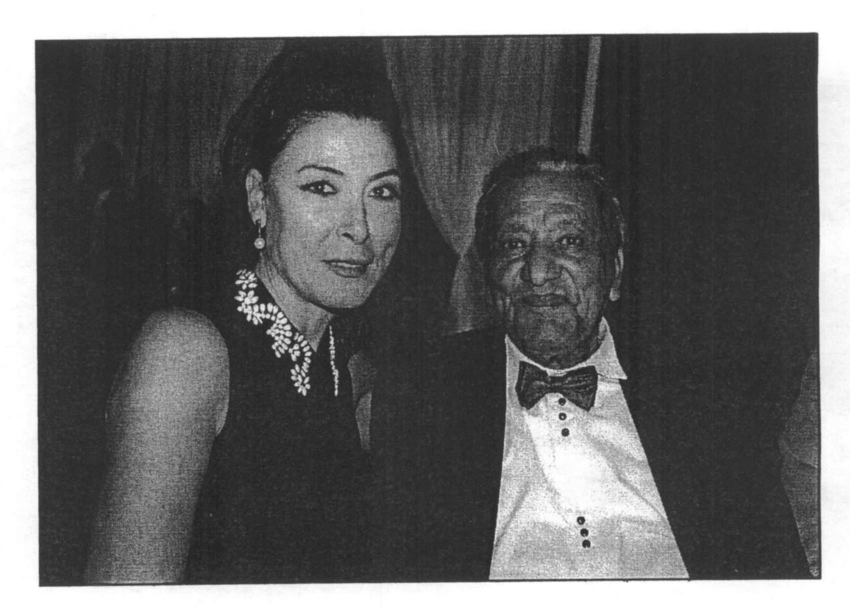
في إحدى الاحتفاليات



لويس في الجامعة الأمريكية



في فيلم بداية ونهاية



مع أنوشكا



مع بعض الأصدقاء



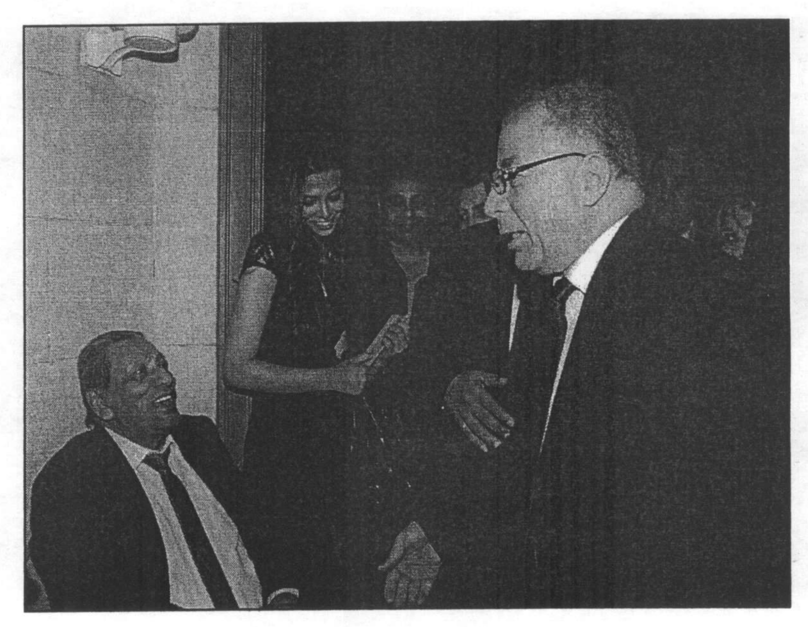
مع سميحة أيوب



مع سهير المرشدي والملحن محمد سلطان



مع لبنى عبد العزيز



مع وزير الثقافة



مع الإعلامي مفيد فوزي ومحمود سعد



مع مجموعة من الأصدقاء

المؤلف في سطور

* الاسم / ممدوح محمد دسوقي .

* الاسم الصحفي/ ممدوح دسوقي .

* المهنة / كاتب صحفي .

* عضو نقابة الصحفيين.

* صحفي بجريدة الوفد.

* باحث ومتخصص في ثورة يوليو.

* حاصل على دورة الدراسات الإستراتيجية والأمن القومي رقم (٨) من كلية الدفاع الوطني بأكاديمية ناصر العسكرية العليا.

نشرت له مقالات في جرائد:

الوفد، الأحرار، الغد، المشهد، اللواء العربي «جريدة أمريكية تصدر باللغة العربية».

صدر له :

* كتاب جملة خسائر في السياسة والنسوان .

له العديد من الدراسات :

* الحرية في الإسلام في زمن الإخوان.

* المشروع التنويري بين فقهاء التنوير وشيوخ السلفية.

* القاهرة وتل أبيب بعد ثورة ٢٥ يناير وفي ظل ثورات الربيع العربي.

* الإخوان المسلمين وثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

* أسباب هزيمة يونيو ١٩٦٧.

* الناصريون وثورة ٢٣ يوليو.

* الشيوعيون وثورة يوليو.

* ثورة ٢٣ يوليو والليبرالية المصرية.

* الفارون من جنة «الإخوان».

* عامر «شماعة» عبد الناصر.

* ماذا فعلت جماعة الإخوان في مصر.

* تجديد الخطاب الديني بين الواقع والمأمول.

* مصر بين عهدين.

* سد النهضة أزمة إستراتيجية للدولة المصرية.

محتويات الكتاب

